تاريخ مدينة طليطلة

TOLEDO

تاليف الباحث المحقق

ياسر سلامة أبو طعمة

تاريـــــخ مدينـــــة طُلَيْطُلَـــــة

(TOLEDO)

سلسلةُ دراساتٍ في جغرافيةِ وتاريخِ مدن الأندلس

(الكتـــاب الأول)

تأليف الباحث المُحَقِّق

ياسر سلامة أبو طُعمة

الإهـــــــــــداء

آثـــارُهُ تُنْبِيـــكَ عَـــنْ أخْبـــارِهِ حتَّـــى كأنَّـــكَ بالعَيَـــانِ تـــراهُ

تَـــالله لا يـــأتي الزَّمـــانُ بِمثِلـــهِ كـــلاّ ولا يحمـــي الثُّغُـــورَ ســـواهُ

إلى من دانتْ له الأندلسُ وما حولها؛ ووطأتْ سنابكُ خَيْلِهِ الأرض التي لم تطأها خيول المسلمين من قَبْلِهِ؛ إلى الفاتح الجديد في عهد بني أمية؛ المتوغل في بلاد قشتالة (Castilla) ولُيون (Leon)، ونَبره (Navara)؛ فاتحاً ورافعاً راية الحقّ في وجه الظُلم على مـدى مـا يقربُ من ثلاثين عاماً، غزا نيِّفاً وخمسين غزوةً، لم تسقط له راية، ولا خابت له غايـة، ولا أُسِرت له سريةً حتى النهاية، وكان النصرُ حليفه وله في كُلِّ مكرمةٍ آية.

إلى الروح الساكنةِ بمدينة سالم (Medinaceli) من الثغر الأعلى مـن الأنـدلس؛ الحاجـب المنصور محمد بن أبي عامر المعافريّ عليه رحمة الله أُهدي هذهِ الدراسة المتواضعة

ياسر أبو طعمة

مكتبة الأسد

دمشق- سوريا

حزيران ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَ تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩)﴾ الدخان الآيات من ٢٥- ٢٩

By The Name of Allah the Most Gracious the most merciful

(25) How many were the gardens and the water-springs that they left behind them!

(26) And plantaion and noble buildings!

(27) And the pleasant things in which the took delight.

(28) Thus we made these an inheritance for other people

(29) The heavens and the earth did not weep for them, nor were they reprieved.

أقـــــوال

أَقُـــــــولُ:

*** لو جَمَعتِ الأُمّةُ العَربيَّةُ والإسلاميَّةُ ما ذَرَفَتْهُ من الدُّموع على ضياع مُدُنِهَا، ومَمَالِكِهَا، وحَقوقها؛ لأجْتَمَعَ لهُمْ من دَموعِ أحزَانِهِم بِحارٌ وأنهارٌ، أغرقت أعداءَهم وإلى الأبد. لكنَّ الدَّمع لم يَكُن يَوْماً من الأيَّامِ لِيَرُدَّ مُلْكَاً مُضاعاً، أو حَقّاً مــسلوباً، أو مملكــةً أو مدينـــةً اغتصبها أعداؤها، لأنَّ ما أُخُذَ بالسّيفِ؛ لا يعود ولا يرجِعُ لأهله إلاَّ بالسّيف، فــلا يَفُــلُّ الحديد إلا الحديد.**

*** لو كانتِ الدَّموعُ تَرُدُّ أحباباً قَدْ رَحَلوا، أو تُعيدُ للمرءِ شيئاً مــضى، أو حَقّــاً غُــصِب؛ لاسْتمطرنا دموعَنَا ليلاً، ونهاراً.**

*** الدُّموعُ عادةً ما تكونُ سلاحاً للمهزومين، والحسرةُ والنَّدامة أسْهُماً نُطْلِقها في الهــواء بعد فوات الأوان، فهيهاتَ هيهاتْ.**

*** عندما غَابَتْ شَمْسُ الأَنْدَلُسِ، وعَمَّ الظَّلام ديارَ أمة العربِ والإسلام، ضنّت الأُمّةُ أنّهــا سَترتقبُ فجراً جديداً، لكنّها فوجئت بغياب شمس فلسطين، ثم كــسوف شــمس بغــداد، ولبنان فلا نَدْري إن كان سرمدُ هذهِ الأُمّةِ سيطولُ، وهل نداؤنا سيبقى كالمنادي فــي وادٍ سحيقٍ لا يسمعُ إلاّ صدى صوته.**

*** الصفحاتُ المشرقةُ من تاريخِ أجدادنا العرب المسلمين؛ سطّرها رجالٌ أفــذاذ، صــنعوا تاريخَهُمْ بأنفسِهم، بالقلمِ والسيفِ، بالعزمِ والإرادة، وشيّدوا أركانَهُ بانتمائهم إلى العقيدةِ الإسلاميّة، مؤمنين بقضيتهم، ناظرين إلى الشمس التي ستشرقُ مــن جديــد؛ ليقولــوا للأجيالِ القادمة؛ هكذا يُكْتَبُ التاريخ؛ فاقْرأوا تاريخ أجدادكم وافْخروا.**

تقسيمات مملكة طُلَيْطُلَة (Toledo)
حسب تقسيمات ابن سعيد في كتاب المُغرب

مدينة طُلَيْطُلة	(Toledo)
مدينة طَلْبِيرة	(Talavera)
مدينة وادي الحجارة	(Cuada Lajara)
مدينة طَلَمنكة	(Talmanca)
مدينة مجريط	(مدريد Madrid)
قرية وَقَّش	(Huescas).
قرية مكَّادة	(Maccada).
قلعة رَبَاح	(Castillo de Caltarava)

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدّمة

الحمدُ للهِ مُديلُ الدّول، ومُفْنِي حضاراتِ الجبابرةِ الأُول، وقاضٍ عليهم مهما طالَ أمدُهُمْ بالأجل؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياءِ والرُسُل، والشرائِع والرسائل والمِلل أقولُ: [الكامل]:

دُنْياكَ أحلامُ الكرى لو زُخْرِفتْ	**كم من وجوهٍ قبلَنا قَدْ قلَّبتْ**
كم من مُلوكٍ تُوّجوا ما خُلِّدوا	**لم تغنِ عنهم شامخاتٌ شُيّدتْ**
كم من جُيوشٍ خُيّبت آمالها	**كم من حضاراتٍ لها بأسٌ قَضَتْ**
أضحتْ ديارُهُم خراباً بعدهمْ	**عَمُرَتْ بهم عهداً تولّى وانْقَضَتْ**
وكنوزهم مدفونةٌ في أرضهم	**رحلوا فأبقوها وعَنهم قصَّرتْ**
يا طالبَ الدنيا ومُلْكاً زائِلاً	**العُمْرُ يفنى لو بُدُورُكَ أقمرتْ**

حَضيتْ مدينة طليطلة (Toledo) بمكانةٍ مرموقةٍ على امتداد تاريخها، فكان لها الشأن العظيم من بين مدن الأندلس وخاصةً على الصعيد السياسي، فقد كانت عاصمةً لمدن شبه الجزيرة الأيبيرية في العهد الروماني، والعهد القوطي، وقد مكنّها موقعها الجغرافي الاستراتيجي من احتلالِ هذهِ المكانة المرموقة، فهي موسطة بالنسبة لمدن شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد بُنيتْ على تلٍّ عالٍ على ارتفاعِ ألفي قدم فوق سطح البحر، ويحيط بها نهر تاجه (Tajo) من ثلاث جهات، تشرفُ على جوارها، حيث المرج الخصب الذي يمتد إلى الشمال الشرقي وإلى الشمال الغربي بمحاذاة مجرى النهر، وهذا ما جعلها من أمنع مدن الأندلس، وأحصنها، ناهيك عن

قنطرتها العجيبة البنيان، التي زادت من حصانتها ومنعتها، فأصبحت محطَّاً لأنظار ملوك الرومانِ والقوط الغربيين (Visigoth) ليجعلوا منها دار ملك وقرار، وعاصمةً لدولتهم، ومداراً لولاتهم، وعلى امتدادِ سنواتِ تاريخها، حتى بدايات الفتوحات الإسلامية لشبه الجزيرة الإيبيرية سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م.

لقد ازدهرت طليطلة وتألَّقت حضارتها خلال العهدين الروماني والقوطي، فكان لها من ولاة الأمر بالغ الاهتمام وعظيم التقدير، عمروها وحصّنوها بالأسوار المنيعة، ففي العهد الروماني، أقاموا بها الدور والقصور، والمسارح والجسر العظيم (القنطرة)، وجعلوها أمَّ مدائنهمْ وقاعدتها، ودار ملكهم، ومداراً لولاتها، فأضحت عاصمةً للرومان في شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد زادت أهميتها على الصعيد الدينيّ عندما انتشرت الديانة المسيحيّة في إسبانيا، فأقام سان أيوجينو (San Eugnio) بطُليطُلة مركزاً أسقفيّاً. ولم تَقِلُّ شأناً في عهد دولة القوط الغربييّن (Visigoths) كذلك، فقد جعلوها قاعدةً لملوكهم، منها يغزون وبها يجتمعون، وإليها يعودون، جعلوها عاصمةً لملكهم لما تمتّعت بهِ من المنعة والحصانةِ، فبنوا بها الكنائسُ، وجعلوها محطّ أنظارهم، فكان ملوكهم الخَلف عن السّلف يزيدون في عمارتها، وزخرفةِ كنائسها حتّى غَدَت سيّدة بلادهم، وقد عُرفت في عهد الملك القوطي أتانا جليدو (Atan Gildo) (٥٥٤-٥٦٧م)؛ بالمدينة الملكية (Ciudad Regia)، وقد وجد المسلمون بها عندما دخلوها سنة ٩٣هـ/ ٧١١م؛ عظيم الذخائر، والمال الزاخر، وأنواع المتاع الملوكي، والقناطير من الذهب والجوهر، وخاصةً المائدة المصنوعة من الذهب والزبرجد ونفائس الدرِّ والياقوت، وغيرها من المعادن والجواهر الثمينة، ووجدوا بها السيوف المرَّصعة بالجواهر المصنوعة من خالص الذهب، مما يدُلُّ على عظمة مكانتها عند القوط، وما بلغته تلك المدينة من تقدّم الحضارة، وما حضيت به من الاهتمام كعاصمةٍ لدولتين عظيمتين. وفي العهد الإسلامي ومنذ فتوحها سنة ٩٣هـ/٧١١م، وحتى

سقوطها سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م؛ كان لطليطلة دور بارز ومميّز على الصعيد السياسي، وما رافقه من أحداثٍ جّمة؛ أبرزت دورها من بين مدن الأندلس كافةً، فقد جُبِلَ أهلها على النفاق والشقاق والعصيان، والقيام على ولاة الأمر وخلعهم وشقِّ عصا الطاعة، وذلك لأنّ سكانها خليط من العرب والبربر واليهود والقوط، والرومان، فلم يكن ولاءهم لدولة الإسلام كالعرب المسلمين وهم قلّة بالنسبةِ للأجناسِ الأخرى، فقد بدأت نيران ثوراتهم تضطرم في وجه أمراء بني أميّة وخلفائهم ابتداء من الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١٣٨هـ/ ٧٥٥م- ١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، واستمرّت حتى الأعوام الأولى من خلافة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (٣٠٠هـ/ ٩١٢م- ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وفي عهد ملوك الطوائف كانت أول مدينةٍ استقلّت، فأسرعت لشقِّ عصا الطاعة، واتخاذ الفرقة عن الجماعة، بعد سقوط الخلافة الأموية في بلاد الأندلس، وانقراض الدولة العامريّة، بقيام الفتنة البربرية التي دارت رحاها في الأندلس سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، وكانت كذلك أولّ حبّات المسبحة التي سقطت من طوقها، بيد ملك قشتاله الفونسو السادس (الفنش) سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م.

لقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء إلى جانب الدراسات السابقة القليلة على جغرافية هذه المدينة؛ ثم تسلسل تاريخها السياسي المفصّل، فقد عرَّجت على تاريخها خلال العهد الروماني والقوطي بشكل مختصر لقلة الأخبار وغموض بعضها خلال تلك الفترة، وتوسّعتُ في الحديث المفصل عن تلك المدينة في العهد الإسلامي منذ الفتح وحتى السقوط، مروراً بوصفها، وذكر خوّاصها وغرائبها والحديث المفصّل عن نهرها وقنطرتها العجيبة البنيان، وذكر من اشتهر من أهلها من ولاة الأمر، وأهل العلم والأدب والفضل، والشعراء، مع ذكر شيءٍ من أخبارهم وآثارهم وأشعارهم، ومفاخرهم ومآثرهم من خلال تراجمهم الوافية، وذكر ما قيل بطليطلة من الأشعار في وصفها ووصف أماكنها ورثائِها بعد سقوطها. وقد جاءت هذه الدراسة

في ثلاثة فصول (ستة أبواب) مزوّدة بقائمةٍ للمصادر والمراجع العربية والأجنبية، والعديد من الملاحق والخرائط والصوّر والرسومات اللازمة والفهارس، والله أسألُ أن يجعل عملي المتواضع ابتغاء وجهه الكريم، وعلماً تنتفع به الأجيال إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ وما عليها، وأن يمتّعني بالصحة والعافية، رغم عجزي وقلة حيلتي، لإكمال مسيرتي في هذه السلسة، وهذا الكتاب هو الكتاب الأول ضمن سلسلة دراسات في جغرافية وتاريخ المدن الأندلسية، والذي سيليه إن شاء الله الكتاب الثاني: **تاريخ مدينة قرطبة (Gordoba)**.

وقد جاء هذا الكتاب **(تاريخ مدينة طليطلة Toledo)**؛ ليضيف الجديد إنْ شاء الله والمميّز، إضافةً إلى ما سبقَ من دراساتٍ وإنْ كانت قليلةً جداً التي خصصت للحديث عن طُليطلة بشكل مفصّل، لا أدّعي الكمال، وجزى الله عنّي وعن المسلمين من سبقني في هذا المجال. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الكهف، الآية رقم ١٠).

الباحث المحقق والشاعر

ياسر أبو طعمة

المركز الفرنسي للدراسات العربية

دمشق- سوريا

حزيران ٢٠٠٦م



الفصـــــــل الأول

الباب الأول

إسم طُلَيْطُلة (Toledo) عند الجغرافيّين

موقع طُليطة من الأقاليم

موقعها من بلاد الأندلس والمراحل بينهما

وصف طليطلة وذكر خواصّها وغرائبها

- وصفها
- خواصّها وغرائبها.
- نهرها وقنطرتها

من اشتهر من أهل طليطلة بالعلم والأدب

طُلَيْطُلَة (Toledo)

ذكرها ياقوت الحَموي، وضبطها: بضم الطائين، وبضم الأولى، وفتح الثانية، وذكرها كذلك بألف ممدودة بعد اللام (**طُلَيْطُلا**)[١]، أما الزهري فقد ضبطها بكسر الطاء الثانية[٢]، والبكري ضبطها بضم الطائين[٣]، وضبطها أبو الفداء بضم الطاء الأولى وكسر الثانية[٤]، وعند البكري: (**معنى طُليطلة باللطيني**[٥]**: تولاطو**[٦]**. ومعناه: فَرِحَ ساكنوها، يريدون لحصانتها ومنعتها، وفي كتب الحدثان كان يقال: طُليطلة الأطلال بُنيت على الهرج والقتال إذا وادعوا الشرك لم يقم لهم سَوْقَة ولا مَلِك، على يدي أهلها يظهر الفساد، ويخرج الناس من تلك البلاد**)[٧]. وسبحان عالم الغيب فقد كانت طليطلة في عهد بني أمية منبعاً للثورات المتتالية، كما سنذكر لاحقاً، وكانت أول حبّات المسبحة التي سقطت من عقدها بيد النَّصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م.

كانت طُليطُلَةُ قاعدة ملوك القوط ومحل اختيارهم، وهي إحدى المدائن الأربع التي هي قواعد الأندلس، وكانت أعظم مدن الأندلس قديماً ولها المدن الكثيرة[٨]، منها: وادي الحجارة، طلمنكه، مجريط، مكّاده، قلعة رباح[٩]، ولها من الأقاليم كذلك: إقليم شاقِرة وفيه حصون عِدّة، ثم

---

[١] ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٩- ٤٠.

[٢] الزهري: الجغرافية، ص ٨٣، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٧٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٢٢٧، الجزري: اللباب ٢/ ٢٨٤.

[٣] البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٦، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٠، الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٠.

[٤] أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٧٦.

[٥] اللاتيني.

[٦] عند الحِمْيَري في الروض المعطار، ص١٢١، وصفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣ وردت: (تولاضو).

[٧] البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٨٦-٨٧، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص١٣١، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

[٨] ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩.

[٩] ابن سعيد: المُغرب، ص٩.

إقليم شِشْلة، ومدينة وقشَّ، ثم إقليم الأشبورة، ومن مدائنها مدينة طلبيرة وهي كانت حجراً بين المسلمين والمشركين وهي منيعة الأسوار، عالية المنار، ولها إقليم الفحص وإقليم السِّند وإقليم باشك (الباسك)[١].

موقعُ طُليطُلةٌ من الأقاليم

أجمعت المصادر على أنَّ طُليطُلة تقع في الإقليم الخامس وهي موسطة بلاد الأندلس، قال ابن سعيد: **(وهي في الإقليم الخامس موسطة، منها إلى الحاجز الذي هو درب الأندلس، نحو نصف شهر، وكذلك إلى البحر المحيط (الأطلسي) بجهة شلب،... ومنها إلى قرطبة، وغرناطة، وإلى مرسيّة بلنسية نحو سبعة أيام)**[٢] وقال القلقشندي: **(موقعها في الإقليم الخامس. قال ابن سعيد: حيث الطول خمس عشرة درجة، وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة)** [٣]. وقال المقرّي: **(والإقليم الخامس يمرُّ على طُليطُلة)** [٤]. وقال البكري: **(... وهي أولَّ الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة التي هي ربع معمور الأرض، وإليها ينتهي حدّ الأندلس، ويبتدئ بعدها الذكر للأندلس الأقصى)** [٥].

---

(١) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩– ٢٠، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج/١، ص٥٥١.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٠.

(٣) القلقشندي: صبح الاعشى ٥/ ٢٢٧– ٢٢٨.

(٤) المقرّي: نفح الطيب ١/ ١٣٨.

(٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

موقعها من بلاد الأندلس والمراحل بينهما

أجمعت المصادر كذلك على أنَّ طُليطلة هي موسطة بلاد الأندلس، وتقــع علــى نهــر تاجه(Tajo)، وهي على جبلٍ عالٍ. قال البكري: **(أوفت على نهر تاجه)** [١]، وقال الإدريــسي: **(وهي على ضفة النهر الكبير المسمّى نهر تاجه)** [٢]، وقال ياقوت: **(... وهي على شاطئ نهر تاجه)** [٣]، وقال أبو الفداء: **(وهي في شرقي مدينة وليد، وطُليطلة على جبلٍ عالٍ، ولها نهــر يمرّ بأكثرها)** [٤]، وقال ابن سعيد: **(ونهر تاجه قبليّها)** [٥]، وقال ابن حيّان: **(... وهي موســطة بلد/ الأندلس، بينها وبين البحر الجنوبي الجاري إلى الشام الذي من ساحله مدينة المرية وما ولاها عشرة مراحل، وبينها وبين البحر الشمالي أقيانس المحيط الذي مــن ســاحله مدينــة أُشبونة وشِنترة وما ولاها ثلاث عشرة مرحلة، وبينها وبين البحر الشرقي الشامي الذي مــن ساحله مدينة طُرطوشة، قاصية الأندلس، وما ولاها من ساحل الأرض الكبيرة ثــلاث عــشرة مرحلة أيضاً)** [٦].

---

(١) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، الحِميَري: الروض المعطار، ص٣٩٣، ٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص٥٥١، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٠.

(٤) ابو الفداء: تقويم البلدان، ص١٧٧، وقد ذَكَرَ هذا النهر باسم نهر باجه. وهو وحده من تفرّد بهذهِ التسمية نسبةً إلى حصن باجه.

(٥) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٠.

(٦) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٨.

وقال الحِمْيَري: (**بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسةٌ وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأنّ منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المريّة في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً**)[١].

وشكل مدينة طُليطلة قريبٌ من الإستدارة شبيهٌ بِثُريّا، وتكسير ما يحيط بها حائطها نحو ثلاثةِ أميال[٢].

مملكة طُليطلة تقع في وسط شبه جزيرة ايبيريا على مسيرةِ ستين ميلاً إلى جنوب الجنوب الغربي من مدريد عاصمة إسبانيا اليوم، وقد بنيت كما أسلفنا على تلٍ جرانيتي على ارتفاع ألفي قدم فوق سطح البحر، ويحيط بها من ثلاثة جوانب ثنية نهر تاجه التي احتفرت مجراها على امتدادِ قاعٍ لصدعٍ عميق في الأرض[٣].

وطليطلة تشرف على جوارها حيث المرج الخصيب الذي يمتد إلى الشمال الشرقي، وإلى الشمال الغربي بمحاذاة مجرى النهر، كما يمتد فيما ورائِها سهل كونته عوامل التعرية في هضبة قشتاله[٤].

وصف طُليطلة، وذكر خواصِّها وغرائبها

وصفها:

أطنبت المصادر الإسلاميّة التاريخية منها والجغرافية بوصف طُليطُلة، حيث وصفوها بالمنعةِ والحصانة، وطيب الأرض وإحداق البساتين بها، ووصفوا زرعها وثمارها. قال الإدريسي: (**... وهي مدينة عظيمة القُطر كثيرة البشر، حصينة الذات، لها أسوار حسنة، ولها**

---

(١) الحِمْيَري: الروض المعطار، ص٣٩٣، صفة جزيرة الاندلس، ص١٣٠.

(٢) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٥/ ٢٥٩.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١٥/ ٢٥٩.

قصبة فيها حصانة ومنعة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وقليلاً ما رؤي مثلها اتقاناً وشماخة بنيان، وهي عالية الذرى، حسنة البقعة زاهية الرقعة) [1]. ويصف الإدريسي كـذلك بـساتين طُليطلة وخيراتها في موضعٍ آخر قائلاً: (**.... ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بهـا، وأنهـار مخترقة ودواليب، وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال، لا يحيط بها تكييف، ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكتنفها. وعلى بعدٍ منها في الجهة الشمالية الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات؛ وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينـة قلمرية في آخر المغرب، وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثيـر الـذي يتجهـز بـه الجلابون إلى سائر البلاد، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً بل هي في نهايةٍ مـن السُّمن، ويضرب بها في ذلك المثال في جميع أقطار الأندلس، وعلى مقربةٍ من مدينة طليطلة قرية تسمى بمغام وجبالها وترابها الطين المأكول الذي ليس على قرارة الأرض مثله يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراقات، وبلاد الترك، وهو نهاية في لذاذة الأكـل، وفي نظافة غسل الشعر، ولطليطلة في جبالها معادن الحديد والنحاس)**[2]. وقال ابـن غالـب: **(وهي من أجلّ المدن قدراً، وأعظمها خطرا، وأشدّها حصانةً، ولم تزل موئلاً وملجئاً للخلـق يقصدونها من كل الجهات، فتعود عليهم بالرفق)** [3].

وقال ابن سعيد: **(وأطنب الحجاري في وصفها، ووصفها بعظم الامتناع، وإحداق الشجر بها من كل جهةٍ، وأنّه كان يُتفرَج من باب شقرا في الجلنار الذي لم يُرَ مثلـه، إذ الجلنـاره تقارب الرّمانة. وفيها من ضروب التركيب والفلاحة ما تفضل بها غيرها، وابن بصّال، صاحب**

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج/١، ص ٥٥١.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج/١، ص٥٥٢.

(3) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٠/٤.

الفلاحةِ منها. قال: ورأيت فيها الشجرة تكون فيها أنواع من الثمر، وذكر أنّه صحب عيسى بن وكيل إليها، وقد توجّه رسولاً فقال ابن وكيل فيها [البسيط]:

زادت طُلَيْطُلَــةٌ علــى مــا حــدّثوا بلــــدٌ عليــــه نــــضارةٌ ونعــــيمُ

الله زيّنــــــه، فوشـــــح خـــــصرهُ نهــــر المجــــرةِ والقــــصور نجــــومُ

ويصنع فيها من آلات الحرب العجائب، وذكر الحجاري أنّ فيها صنفاً من التين، النصف أخضر، والنصف أبيض، في نهاية الحلاوة)[١]. وذكر ابن سعيد كذلك نقلاً عن الحجاري: أنَّ في طليطلة ما يستحق الذكر، المباني الذنُّونيّة الجليلة، وخاصةً القصر الذي بناه المــأمون ابــن ذي النون، وقبة النعيم التي كان يشرب بها مع خواصّه أيام الصيف، ولا تصل إليــه ذبابــه، فــي البستان المعروف ببستان الناعورة[٢]. ولا بأس هنا أن نتحدّث عن هذا القصر ومــا قيــل فــي وصفهِ لأنّه من أهمِّ معالمها، وقد شاده أحد ملوك الطوائف، وبالغ في إتقانه، وقــد نقــل إلينــا المقرّي هذا النص الجدير وفي صفة القصر وما قيل فيه من الأشعار. قال المقرّي[٣]: **(وتذكرتُ بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طُلَيْطلــة المأمون ابن ذي النّون بها، وذلك أنّه أتقنه إلى الغاية، وأنفق عليه أموالاً طائلة، وصنع فــي وسطه بحيرة، وصنع في وسط البحيرة قبّة من زجاج ملوّن منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها ويتّصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يَفْتر من الجَرْي،**

---

(١) ابن سعيد: المُغرب، ٢/ ٩-١١.

(٢) ابن سعيد: المُغرب، ٢/ ٩-١١.

(٣) المقرّي: نفح الطيب، ١/ ٥٢٨- ٥٢٩.

والمأمون قاعد فيها لا يمسّه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد بها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب، وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشداً ينشد [الطويل]:

أتبنـــي بنـــاء الخالـــدين، وإنمـــا بقـــاؤك فيهـــا لـــو عَلِمْـــت قليـــلُ

لقد كـــان فـــي ظـــل الأراك كفايـــة لمـــن كُـــلَّ يـــوم يقتـــضيهِ رحيـــلُ

فَنَغَّصَ عليه حاله، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعُون، أظن أن الأجل قد قرب، فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفي، ولم يجلس في تلك القبّة بعدها، وذلك سنة ٤٦٧هـ، تجاوز الله تعالى عنه، هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب.

وقد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبّة بلفظ ابن بدرون شارح العبدونيّة فليراجع. وتذكرت هنا قول أبي محمد المصري[1] في صفة قصر طُليطلة [الطويل][2]:

قَصْرٌ يُقَصِّر عن مداهُ الفرقدُ عَذُبَتْ مصادره وطاب المَوْرِدُ

نشَر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمٍ فَعَلَيْه ألويّةُ السعادة تُعقَدُ

وكأنّما المأمونُ في أرجائِه بَدْرٌ تمامٍ قابلَتْهُ أسعُدُ

وكأنّما الأقداحُ في رَاحاتِه درٌّ جمادٌ ذابَ فيه العَسجَدُ

وله في صفة البركة والقبة عليها [السريع][3]:

شَمْسيّةُ الأنساب بدريّةٌ يَحارُ في تشبيهها الخاطرُ

كأنّما المأمونُ بدرُ الدُّجى وَهْيَ عليه الفَلَكُ الدائرُ

---

(1) هو: أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي المعروف بالمصري لطولِ إقامتِه بمصر، اشتهر بالطب ورواية الشعر، مدح من ملوك الطوائف: باديس بن حبوس صاحب غَرناطة، والمعتمد بن عبّاد صاحب إشبيليه، وكان يفد على مجلس المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، وكانت وفاته سنة ٤٩٦هـ، ذكره صاحب الذخيرة فذَمّه، وذكره ابن سعيد وغيره. (للمزيد: ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٢٠٤-٢١٤، ابن سعيد: المُغرب ١/ ٨١- ٨٣، المقرّي: نفح الطيب ١/ ٥٢٩، ٣/ ١١٨، الحاشية رقم ١، ٤٠٩، ٥٤٣، ٤/ ٢٨١.

(2) الأبيات موجودة عند ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ٢١٢.

(3) الأبيات موجودة عند ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ٢١٢.

انتهى كلام المقرّي.

وقال ابن غالب في وصف طُليطلة: (**كريمة الأرض، زاكية الزرع، طعامها مع الزمان لا يتغيّر، ومع الزمانِ لا يتنكّر**)[1].

وقال أبو الفداء: (**وتحدق الأشجار بطليطلة من كل جهةٍ، ويبصر بها الجلنار في قدر الرّمانة من غيرها، ويكون بها الشجرة فيها أنواع من الثمر**) [2]. والظاهر أن أبا الفداء هنا كان ينقل عن الحجاري وابن سعيد بتصرّف. ووصفها كذلك الحِمْيَري بأنّها حسنة البقعة[3]. ونختمُ الحديث عن وصف طليطلة بقول المقرّي: (... **وبطُلَيْطُلة بساتين محدقة، وأنهار مخترقة، ورياض وجنان، وفواكه حسان، مختلفة الطعوم والألوان، ولها من جميع أقاليمها أقاليم رفيعة، ورساتيق**[4] **مريعة، وضياع بديعة، وقلاع منيعة، وبالجملةِ فمحاسنها كثيرة**)[5].

خواصّها وغرائبها

لقد خصَّ الله هذهِ المملكة عن غيرها من الممالك الأندلسية ببعض الخواص، وفيها من الغرائب التي تفرّدت بها عن غيرها، نذكر منها: قال ابن غالب: (... **يودعُ قمحَها بطون الأهراء فيلبث غاية الأعمار سبعين عاماً ثمُّ يُلفى صحيحاً لم تمازجه عاهة، ولا وصلت إليه آفة، وزعفرانها المتناهي الفضل تتفاوت**[6] **جودته على كُلِّ زعفران**)[7].

---

(١) ابن غالب: فرحة الانفس، ص١٩.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٧٧.

(٣) الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠.

(٤) الرساتيق جمع رستاق: الرُّزادق وهو موضع فيه مُزدرع وقرى.

(٥) المقرّي: نفح الطيب ١/ ١٦١– ١٦٢.

(٦) هكذا وردت من المصدر المُحقق ولا معنى لها هنا، ولعلّها تفوقُ، وهذا أفضل.

(٧) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٠ وعند المقرّي في النفح ١/ ٤٤٧، وعند ابن بسّام في الذخيرة ٤/ ١٠١، يمكثُ أكثر من خمسين عاماً.

وقال البكري: **(ومن خواصِّهَا؛ أنَّ حنطتها لا تتغيّر ولا تُسوّس على مرّ السنين، يتوارثها الخلف عن السّلف، وزعفران طُليطلة هو الذي يعمُّ البلاد، ويُتجهز به إلى الآفاق، وكذلك الصبغ السماوي)**[1]. ومن غرائبها ما نقله لنا القزويني قال: **(أنَّ بقرب طُليطُلة حَجَراً إذ أراد القوم المطر، أقاموه فلا يزال يأتي المطر إلى أن يُلقوه. وكلّما أرادوا المطر فعلوا ذلك)**[2]. وهذا غريبٌ جداً، ولم أجدهُ إلاّ عند القزويني، فلا أظن أنَّ الله يربط أمره بصلدٍ جمادٍ من مخلوقاتِهِ فلا يغاث الناس إلا بهِ، فإن الغيث من علم غيبه وينزلُ بأمرهِ، وهذا أمر مسلَّم فيه، فإليه يرجع الأمر كله وبيده ملكوت كل شيء، وإليه المآب.

ونقل إلينا ابن بسّام هذا الخبر الطريف بشأن حنطة أهل طُليطلة عندما استولى عليها العدّو سنة ٤٧٨هـ. قال: **(وكان من غريب ما اتّفق وعجيب ما انْتظم من ذلك واتسق، أنَّ (البُرّ)** [3] **كان على زعمهم يمكث أكثر من خمسين سنةً لا يؤثر فيه طول القِدَم، ولا يخافُ عليه آفة العدم، ولم يُرفع مدة الفتنة من البيادر- على تعذّر بِذَرِهِ، وضيق الحيلة عن محاولة شيء من أمرهِ- إلاّ وقد بدا البلى عليه، وأسرعت الآفة إليه، أمرٌ من الله لم يكن له مَردّ)**[4].

ومن الغرائب الموجودةِ في مملكة طُليطلة ما نقله لنا أبو عبد الله الحِمْيَري قال: **(وعلى مقربةٍ من طُليطلة قرية قنيشرة، وهي حارتان فيهما عيناء ماء، إذا نضبت إحداهما جرت الأُخرى، هذا دأبها كلّ عام، وهما يتعاقبان لا يجريان في زمانٍ واحد)**[5]. **وقال: (وغربيّها على**

---

(١) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص ٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٠، القزويني: آثار البلاد، ص٢٤٥.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٤٦.

(٣) البُرّ: القمح.

(٤) ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠١، المقرّي: نفح الطيب ٤/ ٤٤٧ حيث كان ينقل بالمعنى عن ابن بسَّام.

(٥) الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٤.

نحو عشرين ميلاً منها تمثالان عظيمان على صورةٍ ثورين قد نُحتا في حجر صلد) [١]. وقـال ابن سعيد أيضاً: **(وفي سنة ٤٥هــ نتجت بغلةً في طُليطلة فِلْواً في صورةِ مُهر، وكانت بغلـةً كُمَيتاً لبعض السقّائين، فتشاءَم به النصارى، وما زالوا يختلونه حتى عقروه، وبِقُلّة العِهن من جوفي طُليطلة على خمسةٍ وعشرين ميلا منها بئر ما لا يَعرف بها عَلق قطّ فنبشت في بعض السنين فكثر العَلَقُ فيها كثرةً مفرطةً، فنظروا فيما استخرجوه من نبشها فإذا فيه عَلَقة نحاس؛ فرُدّت إلى البئر فانقطع العلق منها)**[٢]. هذا غيض من فيض، والله أعلم.

نَهْرُها و قُنْطَرَتُها

نَهْرُها: أسلفنا وبإجماع المصادر التاريخيّة والجغرافية، بأن طُليطلة تقع على نهر كبيـر اشتهر بنهر تاجه (El Rio Tajo)، ونهر تاجه يقع قبلي طُليطلة كما ذكر ابن سعيد[٣]، وعند ابن خلدون وأبي الفداء ورد نهر باجه، ونهر طُليطلة. قال أبو الفداء: **(ولها نهر يمرُّ بأكثرهـا،...)** وقال: **(ونهر طُليطلة ينحدر إليها من عند حصن هناك يقال له باجه، ويُعرفُ نهر طُليطلة بِـهِ فيقال نهر باجه)**[٤]، وهو أكبر أنهار الأندلس عرضاً بإجماع أهل طليطلة[٥]، وأطولها كـذلك إذ يبلغ طوله (١٠١٠كم) وذلك من منبعِهِ من مويلادي سان خوان (Muel de san Juan) إلـى الجنوب الشرقي من جبل سان فليب (San Felipe) بين حدود مدينتي طرويل (tervel) وقونقه (Cuenca) حتّى مصبّه في المحيط الأطلسي[٦]، وتبلغ مساحة هذا النهر نحو مئـة وأربعـين

---

(١) الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٤، القزويني: آثار البلاد، ص٥٤٦ وفيه: وقال العذري: **أنَّ طارقاً لمّا غزا طُليطلة ركب على الثيران، وكان ذلك موضع عسكره، فلعل ذلك شيء من الطلمسات.**

(٢) الحِمْيَري: صفة جزيرة الاندلس، ص١٣٤– ١٣٥.

(٣) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٠.

(٤) ابن خلدون: العِبر ١/ ٥٦، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٧٧.

(٥) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٩.

(٦) حتاملة: ايبيريا، ص٨٥– ٨٦.

فرسخاً[١]، وقد وصفه الإدريسي بالأكبر وقال: **(ونهر تاجه المذكور يخرجُ من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة والفنت (Alpuente)، فيزل ماراً مع المغرب على مدينة طُليطلة، ثم إلى طلبيرة (Talavera) ثم إلى المخاضة، ثم إلى القنطرة، ثم إلى قنيطرة محمود، ثم إلى مدينة شنترين (Santaren) ثم إلى لشبونه (Lisbona) فيصب هناك بالبحر)**[٢]، (المحيط الأطلسي)، وقد ذكر القزويني أنَّ ماء هذا النهرُ لا ينقطِعُ أبداً[٣].

وأورد لنا ابن حيّان تحديداً لهذا النهر أكثر تفصيلاً فقال: **(... فبذلك [...]**[٤] **من حولها أقصى بلد كورة شنت برية، المجاورة لمعمل السَهلة، مدينة شَنْت مرية**[٥]**، بلاد بني رَزِين، على مسافة مائة وثلاثين ميلاً من مدينة طُليطلة، وفيما بين مشارق الاعتدال والصَيف منها، ثمّ يَمرّ حتى يقرُب من حُصون سُرته، على نحو ستين ميلاً من طُليطلة، فتضغطُه هنالك جبال إلى مضيق يسمى قلارق بين جبلين فتصير سعته هنالك نحو سبعة أذرع وعُمقه ما لا يعلَمه إلا الله عزّ وجل، فيتحدَّر بين ذَيْنك الجبلين على شُنعة عمقه من الانصباب يسمع لانحداره أصوات هائلة على بُعد من مكان، ثم يتَّسع بعد نفوذه من تلك الضيقة ويتسرَّح جريانه، إلى أن يأتي باب طُليطلة من جهة مشرقها الصيفي، فيتعطَّف إلى جنوبها وينضغط هنالك تحت قنطرتها ذات القوس الواحدة الهائلة الصنعة، ثم يمر فيستدير حوالي جنوبها كله إلى مغاربها الشتوية،**

---

(١) الزهري: الجغرافية، ص١٤٠.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص٥٥٣.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص٢٤٦.

(٤) هكذا من المصدر، قال المحقق: يوجد هنا مقدار سطرٍ إلى سطرين قد سقطا، حول منشأ النهر.

(٥) هي مدينة شنتمرية (Santamariade) وهي من مُدن أكشبونة (Ocsonoba)، مدينة أوّليّة، وهي على معظم البحر الأعظم (المحيط الأطلسي)، وهي أولّ الحصون التي تعد لنبلونه (Pamplona)، وهي مدينة متوسطة القدر، حسنة التربة، كثيرة الأعناب، والتين، بينها وبين شلب (Silves) ثمانية وعشرون ميلاً (الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٤– ١١٥).

ويصير حواليها قريباً من ثلثي دائرة، ثم يأخذ إلى نحو مغاربها الصيفية، فيمرّ بمدينة طلبيرة وبجنوبها، وهي على خمسين ميلاً من مدينة طليطلة، ثم إلى شمال حصن اليشة، وهو على ثمانين ميلاً من طليطلة، وذلك شمال قرطبة بالتحقيق، ثم يمر إلى الموضع الذي عليه قنطرة السيف أفخم قنطرة بالأندلس وأعلاها سمكاً وأعجبها شأناً، ثم يمر في القفز الذي في شمال مدينة بطليوس على مسافة خمسين ميلاً منها، إلى أن يوافي على مدينة شنترين على مسافة ثلاث مائة ميلاً وعشرين ميلاً من طليطلة، ثم يمر إلى مدينة أُشبُونة/ على ثلاث مائة وثمانين ميلاً من طليطلة، فيصُبّ هنالك بخليجها المُمَد إليها من البحر الأعظم الغربي المسمى أقيانُس[١])[٢].

وأشار الإدريسي إلى أنَّ هذا النهر قد أقيمت عليه أرحاء كثيرة، كان أهل مدينة طلبيرة يستفيدون منها، حيث المزارع الزاكية[٣].

قُنْطَرَتُها: كذلك أجمعت المصادر التاريخية، والمصادر الجغرافيّة، أنّهُ أقيم على نهر طُليطلة (تاجُه Jajo) قنطرةً عظيمةً عجيبةً، يعجزُ الواصفون عن وصفها[٤]. قال الإدريسي: (**... ولها قنطرةٌ من عجيب البنيان، وهي قوسٌ واحدة، والنهر يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جَرِّي، ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعونَ ذراعاً، وهي تُصعد**

---

(١) المقصود ببحر أقيانس المحيط الأطلسي.

(٢) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٨– ٢٧٩.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج/ ١، ص ٥٥١.

(٤) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٤. الإدريسي: نزهة المشتاق المجلد/ ٢، ج/١، ص٥٥١، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص٣٩٣، ٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، المقرّي: نفح الطيب، ١/ ١٦٢، البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/ ٨٩٢، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ٢/ ٦٩٤.

الماء إلى أعلى القنطرة، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة)[١]، ويبلغ طـول القنطـرة ثلاثمائة باع، وعرضها ثمانونَ باعاً[٢]، ووصف القزويني هذه القنطرة فقال: (**... وبها القنطرة العجيبة التي وصفها الواصفون أنّها قوس واحد من أحد طرفي الوادي إلى الطرف الآخر. لم يُرَ على وجه الأرض قوس قنطرة أعظم منها إلاّ قنطرة صور؛ قال محمـد بـن عبـدالرحيم الغرناطي: بقرب طليطلة نهر عظيم، بنت الجنّ على ذلك قنطرة من الصخر، عالية من الجبـل إلى الجبل كأنّها قوس قزح، كلّ صخرة منها مثل بيت كبير، وقد شدّت تلك الحجارة بجذوع من حديد، وأذيب عليه الرصاص الأسود وهي أزج واحد، يتعجّب الناظرون منها لجودة بنائهـا، وماء ذلك النهر لا ينقطع أبداً)**[٣]، أمَّا العصر الذي بُنيت فيه القنطرة فهو العصر الروماني. قال ابن حيّان من خلال حديثهِ عن دولة الرومان فيها: (**... وصارت إمارتهم إلى رجلٍ منهم يسمّى أَنْتُنِش**[٤]**، فاحش السيرة فيهم، واعتنى بعمارة مدينتهم، فابتنى سورها العظيم الشان، وعقـد قنطرتها المنقطعة النظر)** [٥]، وعند الزهري أنها بُنيت من الحجر الغرانيتي الصلد فـي عهـد الرومان[٦]، وعند سالم أنّ طُليطلة ازدهرت في العهد الروماني حيث حُصنت بالأسوار، وأقاموا بها المسرح الكبير والجسر الأعظم، المقصود به القنطرة[٧].

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج/١، ص٥٥١، الحِمْيَري: الروض المعطـار، ص٣٩٣، صـفة جزيـرة الأندلس، ص١٣٠.

(٢) المقرّي: نفح الطيب ١/ ١٦٢.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص٥٤٦.

(٤) عند ابن خلدون في العِبرانيش.

(٥) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٤، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٨، طبعة دار الفكر.

(٦) الزهري: الجغرافية، ص٨٥، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ٢/ ١٠٩٦– ١٠٩٧.

(٧) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١.

وكانت هذهِ القنطرة تسمّى قنطرة السيف، وذلك لأنَّ البرج المقام عليها فيه ثقبٌ من أعلاه وفي الثقب سيف من (اللاطون) إذا جُبِذَ خرج منه قدر ثلاثة أشبار ونحوها،... وإذا ترك هــبط في الحجر هبوط السيف في غمدهِ، وسمع له دوي كالرَّعد القاصف، وقد بنيت هذهِ القنطرة مــن الحجر الغرانيتي الصلد في عهد الرومان[1].

وقد خربت هذهِ القنطرة العظيمة في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨– ٢٧٣هــ/ ٨٥٢/٨٨٦م) وكان ذلك سنة ٢٤٤هــ/ ٨٥٨م انتقاماً من أهلها[2]. قال ابــن عِذاري: (... **وفي سنة ٢٤٤هــ، خرج الأمير محمد بنفسِهِ إلى طُليطلة، وعــددهم قــد قــلَّ؛ وحدَّهم قد فُلّ، بتواتر الوقائع عليهم، ونزول المصائب بهم، فلم تكن لهم حروب إلا بالقنطرة، وجمع العرفاء من البنَّائين والمهندسين، وأداروا الحيلةَ من حيثٍ لا يشعر أهل طُليطلــة، ثــم نزلوا عنها، فبينما هم مجتمعون بها، إذا اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأتْ بمــن كــان عليها من الحماة والكماة، فغرقوا في النهر عن آخرهم، فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم)**[3].

---

(١) الزهري: الجغرافية، ص٨٥، الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤، حتاملة: موسوعة الديار الأندلــسية، ٢/ ١٠٩٦–١٠٩٧.

(٢) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٨٧.

(٣) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢م/ ٩٦، أحداث سنة ٢٤٤هــ، ابن حيّان: المقتبس، ص ٣٠٥– ٣٠٧، مــن تحقيــق محمود علي مكي، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، س٨٧، الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣، الروض المعطار، ص ٣٩٤، المقرّي: نفح الطيب، ١/ ١٦٢، عنان: دولة الإسلام فــي الأندلس، العصر/١، القسم/٢، ص ٢٩٥.

وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس[١] [السريع] [٢].

أضـــحتْ طُليطلـــةٌ معطّلـــةٌ	**مـــن أهلهـــا فـــي قبـضةِ الـــصقرِ**
تُركـــت بـــلا أهـــلٍ تؤهّلهـــا	**مهجـــورةَ الأكنـــافِ كـــالقَبْرِ**
مـــا كـــانَ يُبقـــي الله قنطـــرةً	**نُـــصِبَتْ لحمـــل كتائـــبِ الكُفْـــرِ**

وفي سنة ٣٢٠هـ أعاد الناصر لدين الله بناء القنطرة، بعد أن فتح طُليطلة، وقد أمر فتاه درى بن عبد الرحمن الصقلبي بالإشراف بنفسه على أعمال البناء والترميم[٣].

وفي سنة ٣٨٧/ ٩٩٧م، أعاد بناء هذهِ القنطرة قائد طُليطلة خلف بن محمد العامري بأمر المنصور محمد بن أبي عامر، حاجب الخليفة هشام بن الحكم المستنصر بالله[٤]. وفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وعندما دخلت القوات القشتاليه إلى طُليطلة بقيادة الفونسو السادس تعرّضعت للخراب والدمار مجدّداً، ولم يبقَ منها سوى الكتف للجانب المقابل للمدينة، وقد رُمِّمت سنة ١٢٥٩م وظلت على حالتها إلى يومنا هذا[٥] وعند عنان أيضاً أنّ الفونسو السادس قد جدّدها بعد

---

(١) هو الحكيم والفيلسوف أبو القاسم عباس بن فرناس، بربري الأصل من موالي بني أميّة، كان صاحبُ اختراعاتٍ وتوليدات، شاعرٌ أديبٌ مشهور، كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي، فيلسوفاً، له علمٌ بالفلك، وهو أول من استنبط صناعة الزجاج بالأندلس، كَثُرَ عليه الطعن في دينه لسعة حيلته ونُسب إليه السحر عمل الكيمياء، ةعمل المنقالة لمعرفة الأوقات، وكان قد حاول الطيران وكسى نفسه بالريش: فحلّق في الهواء ثم وقع على مسافةٍ بعيدةٍ، توفي بعد وفاة الأمير محمد، وكانت وفاته سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م (للمزيد انظر: ابن سعيد: المُغرب نقلاً عن ابن حيّان ١/ ٢٥٥– ٢٥٦، الحُميدي: الجذوة، ص ٢٨٦، الضبي: البغية، ص٢٣٨، المقرّي: نفح الطيب ١/ ١٦٢ والحاشية رقم ٢.

(٢) المقرّي: نفح الطيب، ١/ ١٦٣، ابن حيّان: المقتبس، ص ٣٠٦– ٣٠٧ من تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

(٣) ابن حيّان: المقتبس، ٥/ ٢١٩– ٢٢٠، ابن عذاري: البيان المُغرب ٢/ ٢٠٧– ٢٠٨.

(٤) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٢٥، عنان: الآثار الأندلسية، الباقية، ص٨٢.

(٥) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٢٥– ٢٢٦.

أن كادت تهتدم، وما زالت هــذهِ القنطــرة إلــى يومنــا هــذا تــسمى Puentde Alca- tra (قنطرة القنطرة)[١].

من اشتهر من أهل طُليطلة بالعلم والأدب

لقد اشتهرت مملكة طليطلة ومدنها بنخبةٍ من العلمــاء الأفاضــل، والفقهــاء الأجــلاّء، والكُتّاب، وأهل صناعة المنثورِ والمنظوم، كغيرها من ممالك الأندلس، وامتداداً لازدهار وتوسع الحركة الفكرية في جزيرة الأندلس، وعلى مدى الفترة التي حكم بها المسلمون تلك البلاد، فكان هناك نخبة من أهل العلم والفضل وفحول الشعر والنثر، ذاع صيتهم، واحتفظت لنــا المــصادر بهم، ونذكر منهم هنا من اشتهر، على سبيل الذكر والاختصار. قال ابن حيّان من خلالِ حديثــه عن طُليطلة: (... **ولم تزل منذ دخلها المسلمون وافرة العدد من الفقهاء والعبَّــاد والزهــاد، مشهورةٌ بذلك في العباد)** [٢].

الكُتَّـــــــــــــــاب

الكاتبُ أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون[٣] **التجيبي الطُليطُلي**[٤]، كان جيّد الصناعة، أبيَّ النَّفس لا يتكسب بالشعر، (أحد بحور البراعــة ورووس الــصناعة، وكــان شاعراً جَزِلاً، قال الشعر متحبباً لا متكسّباً، ألمَّ به مترنّماً لا متزيّنا، وقد أثبتَ من كلامِــهِ مــا يُزري بالدر في السلك، ويخلُّ بالكافور المسك) ومن جميل شعرهِ قوله [الطويل]:

---

(١) عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص٨٢.

(٢) ابن حيّان: المقتبس، ٥/ ٢٧٩- ٢٨٠.

(٣) ابن عطيون وردت في موسوعة شعراء العرب والمُغرب عيطون.

(٤) ابن بسّام: الذخيرة، ٣/ ٥٠٤- ٥١١، ابن سعيد: المُغرب، ٢/ ١٥- ١٦، موسوعة شعراء العرب، ٢/٤٨٠.

غُـــدوٌّ لنـــا فـــي حـــبكمْ ورواحُ وليسَ علـــى حكـــمِ الغـــرامِ بـــراحُ

تنكرّتِ لمّا خـــالط الـــشيبُ لمّتـــي[1] وأسفر فـــي ليـــلِ الـــشبابِ صـــباحُ

إلى كم نوى تتلـــو نـــوى وتغـــربٌ كـــأني بأيـــدي الياســـرين صـــباحُ

الكاتبُ الوزيرُ أبو مروان عبد الملك بن حصن[2]: (من أعيان الوزراء وأعلام الكتّـــاب والشعراء، هجا المأمون بن ذي النون بقوله [الطويل]:

سطور المخازي دونَ أبواب قـــصرهِ بحجّابِـــهِ للقاصـــدين مُعنونـــه

فلما تمكن منه المأمون سجنه، فكتب إلى ابن هود [الطويل]:

أيـــا راكـــب الوجنـــاء بلّـــغ تحيّـــةَ أميـــرَ جـــذامٍ مـــن أســـيرٍ مقيّـــدِ

غريبٌ عن الأهلين والـــدارِ والعُلـــى فريدٌ وكـــم أبـــصرته غيـــر مفـــردِ

تلـــوذ بـــه الأعـــلام تحـــت ركابـــهِ وتلثم منهُ في الرِّكـــابِ وفـــي اليَـــدِ

فرقَّ له وسعى في خلاصه)

الكاتب أبو بكر محمد بن قاسم أشكهباط[3]: ذكره الحجاري وقال: أصله من وادي الحجاره، نشأ بقرطبة، وسادَ فيها، وجارى حلبة الأعيان والكتاب في تلك الفتنة التي قلبت أسافلها أعاليها، وأطنب في ذمّهِ رحل إلى المشرق بعد الفتنة، ثم عاد إلى دانية عند صاحبها مجاهد العامري، وطاب عيشه عنده، فقال [الطويل]:

---

(١) اللمّة: مقدمة شعر الرأس.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/٢٥، المقرّي: نفح الطيب ٣/ ٣٦٣– ٣٦٤، وقد ورد اسمه عبدالملك بن غصن، وفيه أيضاً أن ابن هود تحيّل حتى خلّصه، وأنشده شعراً أعجبه فخلع عليه ثوب وزارته، وجعله من أعلام سلطانه.

(٣) هكذا عند ابن سعيد في المغرب ٢/ ٢٦، وعند المقرّي في نفح الطيب يعرف باشكنهاده، وقد ترجم لـــه المقـــرّي وأورد له شعراً ونثراً، المقري: نفح الطيب، ٢/ ٩٥– ٩٧.

وقــد لقيـــتُ الجهـــدَ قبـــل مجاهـــدٍ وكم أبصرتْ عيني وكم سمعتْ أُذنـــي

ولاقيتُ من دهري صروف[1] خطوبـــه كما جَرَتِ النكباءُ في معطفِ الغُـصنِ

فـــلا تـــسألوني عـــن فـــراقِ جهـــنمٍ ولكن سلوني عن دخولي إلى عدنِ[2]

الكاتب راشد بن عريف[3]: قال ابن سعيد: (ذكره الحجاري أنّهُ من أعيان وادي الحجارة، وساد في الكتابة. ومن شعره وقد حضر عنده شرب، فاحتاج أحدهم للقيام، فقام له، ثم تسلـسل ذلك حتى ضجر، فلم يقم، فاغتاظ الذي لم يقم له فقال راشد ارتجالاً: [مخلع البسيط] [4]:

جُمِّـــع فـــي مجلـــسي نـــدامى تحـــــسدني فـــــيهم النجـــــوم

فقـــال لـــي مـــنهم خليـــلٌ[5] مالـــــكَ إذا قمـــــتَ لا تقـــــوم

فقلـــتُ إنْ قمـــتُ كلـــصِّ حـــين فــــإنْ خطبـــي[6] بكـــم عظـــيم

ولـــيس عنـــدي إذن نـــدامى بـــل عنـــدي المُقْعـــد المقـــيم

وفي الخريدة: راشد بن سليمان بن موسى بن عريف اللخمي من أهل طُليطلة، يكنى أبـا الحسن وهو أحد كتاب المأمون بن ذي النون.

الكاتب أبو عبد الله المجريطي[7]: نسبةً إل مجريط (مدريد)، قال ابن سـعيد: (فاضـل، ذكره صاحب السمط، وقال: تارةً هو أُويس القرني، وآونة إبراهيم الموصلي، وما خلا قلبه من غرام، ومن شعره [الكامل]:

---

(1) عند المقرّي في النفح وردت: (صرف).

(2) الأبيات موجودة عند المقرّي في النفح ٢/ ٩٦.

(3) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٧، العماد الأصفهاني: الخريدة، القسم/٤، ج/٢، ص٧.

(4) الأبيات موجودة عند المقرّي في النفح ٣/ ٤٢، وعند الأصفهاني في الخريدة، القسم/٤، ج/٢، ص٧.

(5) عند المقرّي في النفح وردت: (نديم)، وعند الأصفهاني: (ظريف).

(6) عند المقرّي في النفح وردت: (حظي) وعند الأصفهاني (خطبي).

(7) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣٦.

لا عذرَ أوضح مــن أســيلٍ واضــحٍ	**صــقل الــشبابِ أديمـــه المــشبوبا**
هلاّ ســألت لحاضـــه يــوم النــوى	**هل غادرت لك في الحيــاة نــصيبا**

العلماء والفقهاء

الفقيه أبو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون المعروف بـــابن العـــسّال[1]: المـــشهور بالكرامات وإجابة الدعوات، كان متفنّناً فصيحاً لَسِناً، وكان الأغلبُ عليه حفظ الحديث والإِنْحـــاء واللغّة والآداب. كان عارفاً بالتفسير، شاعراً مغلقاً، منقبضاً متصاوناً، يلزم بيته. وكانت وفاتـــه سنة ٤٨٧هـــ، وهو الذي رثى طُليطلة بعد سقوطها سنة ٤٧٨هـــ بيد النصّارى، وسيأتي الحديثُ عنهُ مفصلاً من خلال رثاء طُليطلة ومن شعرهِ في نفح الطيب قوله [الطويل]:

أعنـــــدكم عِلـــــمٌ بـــــأنّي متَـــيّمٌ	**وإلاّ فمـــا بـــالُ المـــدامعُ تـــسجمُ**
وما بالُ عينـــي لا تغمـــضُ ســـاعةً	**كأنّي فـــي رعـــي الـــدَّراري مُـــنَجّمُ**

رحل عن طُليطلة رحمه الله، إلى غَرناطة بعد سقوطها، وبغرناطة كانت وفاته، وهنالك قبره مكرّم مزورٌ إلى اليوم، كما حكى ابن سعيد في المُغرب.

الفقيه ابو القاسم بن الخياط[2]: قال ابن سعيد نقلاً عن الحجاري في المـــسهب: (أقـــام خمسين سنةً على العفاف والخير، لا تُعرف له زلّة، ولمَّا أخذ النصارى طُليطلة حلق وسط رأسه

---

(١) للمزيد: (ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٨– ١٩، ابن بشكوال: الصلة ١/ ٢٣٩، المقرّي: نفح الطيـــب ٣/ ٢٠٨، ٢٢٨، ٤/ ١٣٥، ٣٥٢، السيوطي: بغية الوعاة، ٢/ ٥٢. ابن سعيد: رايات المبرزين، ص١٤٠، ابن بسام: الـــذخيرة ٢/ ١٥٤، السلفي: تراجم أندلسية، ص٧٠، كحالة: معجم المؤلفين ٦/ ١٠١– ١٠٢، عفيـــف عبـــد الـــرحمن: معجـــم الشعراء الأندلسيين والمغاربه، ص٢٣٥.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٩.

وشد الزنّار، فقال له أحد أصحابه في ذلك وقال له: أين عقلك؟! فقال: ما فعلتُ هـذا إلاّ بعـدما كمل عقلي. وقال شعراً منهُ [الطويل]:

تلـوّن كالحربـاءِ حتّـى تلـوُّنِ   وأبـصر دنيـاهُ بمـلءِ جفونِـهِ

وكلٌّ إلى الـرحمن يُـومِي بوجهِـهِ   وبـذكره فـي جهـره ويقينِـهِ

الفقيه العالم عيسى بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي(١): كان عالماً متفنّناً، وكان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي على جلالة قدر يحيى بن يحيى وعظمه، وكان فقيه الأندلس، عابـداً فاضلاً وَرِعاً، وكان كما قيل مجاب الدعوة، إمام المذهب المالكي، وكانت وفاته بطليطلة سـنة ٢١٢هـ.

المُنجّمُ عبد الرحمن بن غزوان(٢): كان متصلاً بالأمير عبد الرحمن الأوسط، وهو الذي هجا هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، فأغراهُ بهِ، وأنشد للأمير محمد أبياتاً كان مروان بن غزوان قالها متغزلاً بمحمد الأمير لمّا كان غُلاماً، فأمر لـه بمائـة سوط لكل بيت ثم سَجَنَهُ ومن هذه الأبيات قوله [الطويل]:

أُعلّـلُ نفـسي بالمواعِـدِ والمُنـى   ومـا العـيشُ واللّـذاتُ إلا محمـدٌ

بذاكَ سبى عقلي وهاج لي الجـوى   ولـم يـسبهِ حـورٌ أوأنـسُ نُهَّـدُ

ولكن غـزالٌ عبـشميٌّ سـما بِـهِ   أبٌ ماجـدٌ الآبـاءِ قـرمٌ مُمَجَّـدُ

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٢٦٢، الحميدي: الجذوة، ص ٢٦٥، الضبي: البغية، ص٣٥٢، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٠– ٢١، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٤/ ٤٠، الذهبي: سير أعـلام النـبلاء ١٠/ ٤٣٩– ٤٤٠. العِبر ١/ ٢٨٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢/ ١١٥، المقـرّي: نفـح الطيـب ٢/ ٧، ٩، ٤٦. القاضـي عياض: ترتيب المدارك ٣/ ١٦– ٢٠.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٩.

الفقيه عيسى بن محمد بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي[1]: سمع مــن يحيــى بــن إبراهيم بن مزين وغيره، ورحل فسمع من يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المــؤذن، والمزني، ولي الصلاة بطليطلة أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ).

الطيب أبو إسحاق غبراهيم بن الفخار اليهودي[2]: (ساد في طليطلة وصار رسولاً من الفونش (الفونسو) إلى أئمة بني عبدالمؤمن، بحضرة مراكش، وصف بالتفنن بالشعر ومعرفــة العلوم القديمة والمنطق) ومن شعرهِ في نفح الطيب قوله [الطويل]:

ولمّــا دجــا ليــلُ العِــذارِ بخــدِّهِ — تيقنــتُ أنَّ الليــلَ أخفــى وأســترُ

وأصبح عُـذالي يقولــون صــاحبٌ — فــأخلو بــه جهــراً ولا أتــستّرُ

العالم أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن مسعده الأوسي[3]: (كان متفنّناً في العلــوم وهو من أهل وادي الحجاره، قال فيه ابن دحيه: صاحبُ لواء العربيّة، وذو الأنساب الــسريّة، وكانت وفاته بمالقه سنة ٥٧٥هـ، ومولده سنة ٤٨٥هـ[4]، ومن شعرهِ قوله [الطويل]:

حنانيــك مــدعواً ولبَّيــك داعيــا — فكلٌّ بمــا ترضــاهُ أصــبح راضيــا

طلعت علــى أرحائِنــا بعــد فتــرةٍ — وقــد بلغــتْ منّــا التَّراقيــا

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٦٣، الحُميدي: الجذوة، ص ٢٦٤، الضبي: البغية، ص٣٥١.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٠، المقرّي: نفح الطيب ٣/ ٥٢٧- ٥٢٩.

(٣) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٢، المقرّي: نفح الطيب، ٣/ ٤١٩، السيوطي: بغية الوعاة ٢/ ٢٥٥، وله ترجمة عند ابن دحيه في المطرب، ص ٢١٦- ٢١٩.

(٤) ابن دحيه: المطرب، ص ٢١٦.

الأديب العالم أبو مروان عبدالملك بن غصن الحجاري[1]**:** قال ابن سعيد بحقّه: (من المسهب: هذا الرجل يفخر به إقليم لا بلد، ويقوم بانفراده مقام الكثير من العدد؛ فإنّه كان أحد أعلامها في الأدب والتاريخ والتأليفات الرائقة التي تبهر الألباب، وكان ملوك الطوائف يتهادونه تهادي الريحان يوم السَّباسب، ويلحفُونه أثواب الكرامة من كل جانب ومن شعرهِ قوله [الكامل]:

فديتكَ لا تَخَفْ منّي سُلُوّاً … إذا ما غيّر الشعرُ الصِّغارا

أهيمُ بدنٍّ خلٍّ كان خمراً … وأهوى لِحَيَّةٍ كانت عِذارا

كانت وفاته بغرناطة سنة ٤٥٤هـ. وقال بحقه ابن بسّام: (وكان اقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به عالم عصرهِ علماً، وفي الكمال عالماً، نكبه المأمون بن ذي النون وله فيه رسالة: السجن والمسجون والحزن والمحزون وغيرها، وهو القائل في سجنهِ وكتب بها إلى أخيه [المتقارب]:

أَأروى وبين ضلوعي حريق … وأشجى وإنسانُ عيني غريقُ

وفي كل يومٍ وفي كلِّ حينٍ … يحملنّي الدهر ما لا أُطيقُ

أيا واحدي وشقيقي ويا … فريقاً يبكّيه منّي فريقُ

أخوك أخو نكباتٍ لها … يرقُّ العدوّ فكيف الصديّقُ

---

(١) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٧، ابن بسّام: الذخيرة ٣/ ٢١٠– ٢١٣، الحُميدي: الجذوة، ص٣٦٤، رقم ٩٥٦، الضبي: البغية: ص٤٦٢، رقم ١٥٤٩.

العالم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الكندي الحجاري (جاحظ المغرب وصاحب كتاب المسهب) [1]: هو صاحب كتاب المسهب في أخبار المغرب، ذكره ابن سعيد، وقال: أطنب والدي في الثناءِ عليه من طريق البلاغةِ نظماً ونثراً، ومعرفة التصنيف، وقال فيه: وبِمَ أصفه، وقدرةُ اللسانِ لا تُنصِفه، وأنشد له [الوافر]:

عليكَ أحالني الذكر الجميلُ فجئتَ ومن ثنائِكَ لي دليلٌ

أتيتُ ولم أُقدّم من رسولٍ لأنَّ القلبَ كان هو الرسولُ

وفد على عبدالملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد وصنف له الكتاب المذكور، وكانت وفاته رحمه الله سنة ٥٨٤هـ.

الفقيه أبو عبد الله الطليطلي[2]: روى كتاب مسلم بن الحجَّاج، وكانت وفاته سنة ٤٥٨هـ.

الفقيه محمد بن عبد الله بن عيشون الطُليطلي أبو عبد الله[3]: كان فقيهاً وله مختصر في الفقه وكتاب في توجيه حديث الموطأ، وسمع كثيراً من الحديث ورواه، رحل إلى المشرق وسمع بها من جماعة، وكانت وفاته بطليطلة سنة ٣٤١هـ.

---

(١) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٩.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٠.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٠.

الشُّعـــــــــراء

أبو بكر محمد بن أرفع رأسه[1]: قال ابن سعيد: نبّه الحجاري على بيتِهِ بطليطلـــة، وأنَّ المأمون بن ذي النون اشتمل عليه، وشهر عنده ذكره، وله موشحات مشهورة في بلاد المغرب، ومنها في مدح المأمون، ومن شعره بالمأمون صاحب طليطلة قوله [البسيط]:

دعـــوا وأبنـــاء الملـــوك فمـــن	**أضحى على البحرِ لم يشتق إلـــى نهـرِ**
يا واحداً ما علـــى علياه مختلـــفٌ	**مذ جاد كفّـكَ لـم نحـتجِ إلـى المطـرِ**
ومذ [2] طلعت لنا شمساً فما نظـرتْ	**عيني[3] إلى كوكـبٍ يهـدي ولا قَمَـرِ[4]**
وقدْ بــدوتَ لنــا وُسـطْى ملــوكهم	**فلـــم نعـــرّج علـــى شـــذرٍ ولا دُررِ**

الشاعر: أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الطُليطُلي[5]: قال فيــه ابــن خاقان: (رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض، أقـــام شـــرائعه، وأظهـــر روائعه، وكان عصيّة طائِعَهُ، إذا نظم أزرى بنظم العقود). وقال فيه ابن بسّام: (... وأخرجتــه فتنة طليطلة جبرها الله، ولمّا يسطع بعد ضوءه ولا نشا نوءه، فاحتل إشبيليه، ثم شرّق وغرّب، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب)، ومن شعرِهِ قوله [البسيط]:

---

(١) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٦، المقتطف، ص٢٥٥-٢٥٦، ابن خلدون: المقدمة، ٣/١١٩٠، المقرّي: نفح الطيب ٤/ ١٣٤- ١٣٥، وقد ذكر المقرّي حكاية هذهِ الأبيات عندما شرب مع المأمون بن ذي النون، حيث أمر لـــه بإحـــسان جزيل عتيد.

(٢) في النفح: وقد.

(٣) في النفح: عينٌ.

(٤) الأبيات موجودة في النفح ٤/ ١٣٥.

(٥) ابن خاقان: قلائد العقيان ٣/ ٩١٩، ابن بسام: الذخيرة ٢/ ٣٦٣- ٣٧٦ وقد أورد له الكثير من شعره، ابن ســـعيد: المُغرب ٢/ ١٧، المقرّي: نفح الطيب ١/ ٤٧١، العماد الأصفهاني: الخريدة، القسم/٤، ج/٢، ص١٣٠، ابن فــضل الله العمري: مسالك الأبصار ١١/ ٢٨٠، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٦٢٦، طبعة دار الكتب العلميّة.

عندي حشاشةُ نفسٍ في سبيل رَدى	**إن شئتها اليوم لم أمطل بهــا لغــدِ**
وكيف أقوى على السلوانِ عنك وقدْ	**ربّيتُ حبّكِّ حتى شبتُ[1] في خُلــدي**

وكانت وفاته سنة ٥٤٠هــ، وقيل ٥٤٥هــ، بوادي آش.

الشاعر الزجّال أبو العباس أحمد المكادي[2]: نسبةً إلى قرية مكاده (Maccada) مــن قرى طُليطلة، ومن شعرهِ قوله [الطويل]:

شــربنا وبُــردُ الليــلِ فوّقــهُ ســناً	**من الصبحِ والأطيار تنشدُ في القُضبِ**
وقد أبرزتُ شمسُ السماءِ مطارفــاً	**من الوشيِ ألقتها على الأُفُقِ الرَّحبِ**

الشاعر أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجّام[3]: قال فيه ابن بسّام: وكان معــدوداً في شعراء عصرهِ، وقال فيه الحجاري: (شاعر القلعة الذي نوّه بقدرها، ورفع من رأس فخرها، وكان في مدة ملوك الطوائف. وكان أبو تمام قد رُبّي في قلعة رباح غربي طليطلة، ولا يُعلم له أب، وتعلّم الحجامة فأتقنها، ثم تعلّق بالأدب حتى صار آية، ومن شعرهِ فــي كتــاب المُغــرب [الوافر]:

الشاعر الحسن بن حسَّان السنَّاط[4]: قال فيه الحجاري: شاعر زمانه وواحــد أوانــه، اشتهر بقرطبه في مدح الخليفة الناصر، وأصله من وادي الحجاره، وعنوان طبقته قوله [الوافر]:

أدِرْ نجميــكَ يــا قمــرَ النّــديِّ	**فقدْ نــامض الخلــيُّ عــن الــشجيِّ**
كفَى بــك والمدامــةُ لــي صــباحاً	**يفــرّقُ عــسكرَ الليــلِ الــدّجيِّ**
فَخُــذْ ذَهَبــاً وردّ لنــا لُجينــاً	**تكنْ في النــاسِ أربــحَ صــيرفيٍّ[5]**

قتل نفسه غيظاً، لأنه وجد امرأته مع رجل.

---

(١) في الذخيرة شبّ، وفي القلائد: شبَّ.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣٧.

(٣) ابن بسّام: الذخيرة، ٣/ ٥٣٥– ٥٤٧، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣٤، المقرّي: نفح الطيب ٣/ ٤١٥– ٤١٨.

(٤) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣٠، ابن بسّام: الذخيرة ١/ ٣١٨. الحُميدي: الجذوة، ص١٦٧، الضبي: البغية، ص٢٢٤.

(٥) الأبيات في الذخيرة ١/ ٣١٨.

الشَّاعرة: حفصة بنت حمدون الحجاريّة[1]: قال الحجاري: (إنَّ بلدها يفخر بها، وكانت في المائة الرابعة، ولها شعر كثير، منهُ قولها [الخفيف]:

لــي حبيــبٌ لا ينثنــي بعتــابِ[2] **وإذا مــا تركتــه زاد تيهــاً**

قال لي هل رأيتِ لــي مــن شــبيهٍ **قلتُ أيضاً وهل ترى لــي شــبيهاً**[3]

وقال ابن الآبّار: إنّها كانت أديبةً عالمةً شاعرةً، وهي من أهل وادي الحجاره (Cuada Lajara) بطُليطلة.

الشاعرة: أم العلاء بنت يوسف الحجاريّة البربريّة[4]: قال الحجاري: (أنّها ممن تفخر به بلدها وقبيلها، وهي من أهل وادي الحجاره بطليطلة كذلك، ومن شعرها [الرمل]:

كُــلُّ مــا يــصدرُ مــنكم[5] **حــسنُ** **وبعليــاكُمُ تحلَّــى**[6] **الــزَّمنُ**

تعطــفُ[7] **العــين علــى منظــركمْ** **وبــذكراكمُ تلــذ الأُذُنُ**

مــن يعــشْ دونكــمُ فــي عمــرهِ **فهــو فــي نيــل الأمــانيُ يُغْــبَنُ**

وعند المقري أنَّ رجلاً عشقها وكان أشيباً، فكتب إليه [السريع] [8]:

الــشيبُ لا يُخْــدَعُ فيــه الــصِّبَا **بحيلــةٍ فاســمع إلــى نُــصحي**

فلا تكن أجْهَــلَ مــن فــي الــورى **يبيــتُ فــي الجهــلِ كمــا يــضحي**

---

[1] ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣١، المقرّي: نفح الطيب ٤/ ٢٨٥- ٢٨٦، كحالة: أعلام النساء ١/ ٢٧٢، العاملي: الـدرّ المنثور، ص٢٦٦، الزركلي: الأعلام، ٢/٢٩٢.

[2] في النفح وردت: لعتاب ١/ ٢٨٥.

[3] الأبيات موجودة في النفح ١/ ٢٨٥.

[4] ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٣١، المقرّي: نفح الطيب، ٤/ ١٦٩، كحالة: أعلام النــساء، ٣/ ٣٢٧- ٣٢٨، والأبيــات موجودة في النفح، ١٦٩/٤، والمُغرب ٣٢/٢.

[5] في المُغرب: عنكم.

[6] في المُغرب: يُحلّى.

[7] في المُغرب: تعكفُ.

[8] المقري: نفح الطيب ٤/ ١٦٩.

الفصل الأول

الباب الثاني

طُلَيْطُلة ما قبل الفتح الإسلامي

- مدخل
- طُلَيْطُلة في العصر الروماني

طُلَيْطُلة عصر دولة القوط

- مدخل
- من هم القوط ومن أين جاءوا
- رحلة القوط الغربيين الشاقة حتى وصولهم طُلَيْطُلة
- ملوك القوط الغربيين في إسبانيا.
- ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين حسب الروايات الإسلامية/ رواية ابن الأثير.
- ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين في إسبانيا حسب الروايات اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها.
- ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين في إسبانيا على جميع الروايات.

طُلَيْطُلة (Toledo) **ما قبل الفتح الإسلامي**

مدخـــــل

أجمعت المصادر على أن طُلَيْطُلة (Toledo) قديمةٌ أزلية البنيان، وهي من بناء الأوائل. ونجد كذلك عند ابن حيّان حامل لواء تاريخ الأندلس رأيين مختلفين حول من بناها وفي أيّ زمن. قال ابن حيّان: **(قال عيسى بن أحمد الرّازي: كان الذي بنى مدينة طُلَيْطُلة، وسبق على اختيارها، واهتدى لبديع خلقتها وقوة حصانتها ومنعتها دُيوسُقُيُوس**[١] **الملك الجاهلي، وذلك قبل أنْ يستكمل العالَم من تأريخ آدم البشري عليه السلام، خمسة آلاف (٥٠٠٠) سنة بيسير فتأثّل شرَفها، واتصلت عمارتها، وشُهِرَ اسمها...)** [٢]. وقال ابن حيّان في موضعٍ آخر: **(قرأت بخطِّ صاعدِ بن صاعد القرطبي، قاضي طُليطلة، وكان من العلم بمكان: مدينةُ طُلَيْطُلةُ قديمة البناء، لا يُعرفُ من بناها ولا زمانه)** [٣]. وقال البكري: **(... وهي إحدى القواعد الأربع المقدّم ذكرها**[٤]**، وهي أقدمهنَّ ألفتها القياصرةُ مبنيّة)** [٥]. وقال الحِمْيري: **(وهي أزليّة من بناء العمالقة)** [٦]. وعند ابن سعيد نقلاً عن التاريخ الرومي: **(أنّها إحدى المدن الأربع التي بُنيت في**

---

(١) عند ابن خلدون في كتاب العبردير نيقيوش الجبار (ابن خلدون: العبر ٤/ ١٨٠) طبعة دار الفكر، ١٩٨١.

(٢) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٢.

(٣) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٨.

(٤) هي طُليطلة (Toledo)، قرطبة (Cordoba)، مارده (Merida)، إشبيليه (Sivilla) وقيل سرقسطة (Zragoza)، وقيل قرمونة (Caramona). (المقري: نفح الطيب ١/ ١٥٧، ٤٨١).

(٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا ص٨٧، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣، الروض المعطار، ص٣٩٤.

(٦) الحِمْيري: الروض المعطار، ص٣٩٣، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد ٢، ج١، ص٥٥١.

مدة **أُكتبيان**[١]، **الذي يؤرّخ في مدته الصفر**)[٢]، وأضاف المقري: (**أنّها تسمى مدينة الأمــلاك لأنّها ملكها اثنان وسبعون إنساناً، ودخلها سليمان بن داوود عليهما السلام، وذو القرنين**)[٣].

ومما سبق رغم بعض الاختلاف يمكن القول بأن طُليطلة يحيط بأصلها وتاريخها القــديم بعض الغموض، والمرّجح أنّها بنيت وكانت عامرة قبل العهد الروماني استناداً إلى مــا ســبق، وعند سالم أنّها بُنيت زمن الإغريق على أغلب الظن وبناؤها يسبق مقدم الرومان[٤]. وعلى كل الأحوال، وبإجماع المصادر التاريخيّة والجغرافية، فقد كانت طُليطلة قاعدة الأنــدلس، ومركــز لجميع بلاد الأندلس، فهي موسطتها.

طُلَيْطُلَةُ في العصر الروماني

لا شكَّ أنَّ هذه الفترة من تاريخ طُليطلة خلال العصر الروماني أكثر وضوحاً من العصر الذي سبقه، وهذا ما سيظهرُ لنا من خلال ما أوردته المصادر حول تاريخها خلال ذلك العــصر الغابر، قال الإدريسي: (**ومدينة طُليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم**) [٥]، وقال في موضعٍ قبلهُ (**وطُليطُلة كانت أيام الروم مدينة الملك ومدار لولاتها**) [٦]، وقال الحِمْيري: (**وكانت طُليطلة دار مملكة الروم**) [٧] أما ابن سعيد فقد أشار إلى أنَّ طليطلة هي إحدى المــدن الأربعة التي ذكرناها والتي بُنيت في مدة أكتبيان (أكتفايوس Octavian) [٨] وهنا يــشير ابــن

---

(١) وهو: (Octavian) المعروف باسم اكتافيوس قيصر (المقري: نفح الطيب ١/ ٤٨١، الحاشية رقم ١).

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٠.

(٣) المقري: نفح الطيب ١/ ١٦١، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٤٠ وزاد: أن الخضر عليه السلام قد دخلها كذلك.

(٤) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج١، ص٥٥١.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ ٢، ج١، ص٥٣٦.

(٧) الحِمْيري: الروض المعطار ص٣٩٣، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠.

(٨) ابن سعيد: المُغرب ٢/١٠.

سعيد إلى ازدهارها في العهد الروماني وإعمارها، وليس بناؤها الأول الذي أثبتنا أنه كان قبل مجيء الرومان إليها، ومن هنا يتبيّن لنا أن طُليطلة كانت هي العاصمة لجميع بلاد الأندلس في العهد الروماني، بها كرسي الملك، وقيادة الجيش، ومنها تخرج الأوامر لإدارة جميع بلاد الأندلس، وهذا ما سيحدثنا عنه ابن حيّان من خلال حديثه عن طُليطلة خلال مدة قياصرة الروم.

وقال ابن حيّان: (**... فلمّا ملك قوّاد رومة أرض الأندلس أصابوا دار مملكة الأفارقة فيها مدينة طالِقة من بلد إشبيلية، فلم يستحبّوا نزولها لبعدها من بلادهم، التي منها قوَّتهم، ونقلوا المُلك عنها إلى مدينة طُليطلة، فجعلوها أم مدائن الأندلس وقاعدتها ودار ممْلكتها، دانت لها مدائن الأندلس وأذعنت لأميرهم، واجتبوا كُور الأندلس مدة من قِبَلها. ثم إنّها الْتَاثَتْ على قُوّاد رومة قبل دولة القياصرة بمدة، وقام عليهم قائم فيها من لُجِدانية[1] ماردة، المُسمّى برباط[2]، ملكها على القائد الذي كان بالأندلس من قِبَل رُومة، ودفعه رجال رومة عنها، فكانت أول ثورة، كانت لأهل طليطلة منذ بدأة ثورة برباط هذا.**

وصارت بعدُ لأهلها دِيْدَناً وعادةً، فلم يزل قواد رومة يتكرّرون بصوائفهم عليها عاماً بعد عام، وبرباط مُستَظهر عليهم، عالٍ في الحرب على عساكِرهم، إلى أن غَدر به بعض أصحابه، فقتله بداخل المدينة بعد سبعة أعوام من ثورته فيها، وقد أحسن حِمايتها وأشجى أهل روُمة المُنازعين له ملكها. وقتل العدد الجمّ من رجالهم. وعلا ذكره في الآفاق. وقام رجل من أهله بعد قتله مكانه، فضبط طُليطُلة وسلك سبيل برباط في مدافعة قوّاد رُومـة/ ومحاربتهم، وكانوا قد قصدوها أثر مقتل برباط في جموعهم لحصارهم، فأعجزهم منالها وقاومهم بأس

---

(1) تقع في منطقة لوسيتانيا (ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٢، الحاشية رقم٤) وقد وردت عند ابن خلدون في العبر ٤/ ١٨٠ نجدانيّة.

(2) هو بِرِيْاط أو فِرِيْاط هكذا في الحاشية رقم ٥ من المقتبس ٥/ ٢٧٢، وعند ابن خلدون ٤/ ١٨٠، كذلك برباط لأنه ينقل عن ابن حيّان

أهلها [...][١] يغريهم في العطاء ويعدهم الإعلاء والإحسان، فقاموا في تشتيت أهلها، وأمكنت بعضهم الفرصة في الثائر الذي ملكها، فقتله وأنفذ رأسه إلى قائد أهل رومة، ودعاه هو ومن مالأه إلى دخولها، فتعجَّل إليها ودخلها ليلاً، فصار فيها ملكاً لها، وأدخل فيها رابطة رومة، فاستقرُّوا بها على عادتهم، واستقام لهم ملك الأندلس باحتِوائهم على طُليطُلة الغرّاء. وقد كانت مضطربة الحال جداً طول أيام خلافها عليهم، فاستَقام أودها واعتدل ميلها، واستوسق ملكهم بعد ارتجاعهم لطليطلة مائة سنة في تواريخهم محصلة، ثم إن طليطلة خالفت بعد على أهل رومة ودفعت طاعتهم، وأخرجت قائدهم، فصارت سبباً لشتات أهل الأندلس عليهم وفرقتهم، وأتَّخذ بعضهم الحُصون على بعض، وانهمكوا في الحروب والغارات، حتى قلّت أعدادهم ودرست عمارتهم، وضاقت معايشهم لقلّة الزراعة عندهم، وعدموا الأقوات وأشرفوا على الهلاك. وصارت إمارتهم إلى رجل منهم يُسمى انتُنس[٢]، فاحش السيرة فيهم، واعتنى بعمارة مدينتهم، فابتنى سورها العظيم الشأن، وعقد قنطرتها المنقطعة [النظير]، وغزاها يُوليش ملك رُومة الأكبر، أول القياصرة الذي قطع أسماء القواد، وتسمى قيصر فتوالت بعده القياصرة، وخرج بعد اجتماع أهل رومة عليه من أرض رُومة في جُموعه الكِبار إلى الأندلس، فألفاها على سفا هلكة، وقد شمل أهلها البَلاء، وقتلتهم الفِتن، وانحجزوا في الحصون، فقصد دار الملك طليطلة وأحاط بها، محاصراً أميرها أنتنش فيها، وقد امتنع بحصانتها، فأطال الثواء عليه، فأعيا عليه شأنها ونبا به مكانها، وفنى ما كان استعدّ به، ولم يجد ما يعتاضه، فرجع إلى بلده خائباً خاسراً دون أثر في غزوت[ـه]، فاستقصر أهل رومية سعيه ونسبوه إلى العجز وقـ[ـلَّة] الجرأة، ولم تزل طليطلة شجًى على القياصرة بعد يوليش. وقيل مبعث

---

(١) سقوط بعض الكلمات أظنّها بمعنى: حتى بدأ قائد رومه، أو إلى أن أخذ قائد رومة.

(٢) عند ابن خلدون في العبر ٤/ ١٨٠ (أنيش).

المسيح/ عيسى بن مريم، صلعم، فقلَّ ما دانت لهم، بل تمادَتْ غُصّة عليهم، إلى أن انقرضت من الأندلس دولتهم)[1].

ويفهمُ من كلام ابن حيّان؛ أنَّ الرومان جعلوا طُليطلة عاصمةً لهم بدلاً من مدينة طالقة[2] من بلد إشبيلية، وذلك لقرب طليطلة من روما التي هي عاصمة الامبراطورية الرومانية في بلاد أوروبا، حيث العدد والعدّة والطعام، لكن سكان طُليطلة لم يقبلوا بهذا الاستعمار الغاشم حيث الثورات المتتابعة على الرومان، الثورة الأولى بقيادة **برباط/ برياط/ فِرْياط**، ثم ثورة الرجل الذي جاء بعده حيث تابع المسيرة في ثورته ضد الرومان في طُليطلة، حتى اتخذ قادة رومة الحيلة مع أهلها، وأغروا بعض الأهالي بالعطاء الجزل والإحسان، فقاموا هؤلاء بالعمل على تشتيت أهالي طُليطلة والإفساد فيما بينهم حتى خمدت نار ثورتهم، ثم قام بعضهم ممن يعمل لصالح الرومان بقتل الرجل الذي خَلَفَ برباط في ثورته، وأرسل رأسه إلى قائد رومه، فدخلوها وتمكنوا منها ليلاً، وبقيت طُليطلة خلال العصر الروماني عرضةً للفتن والثورات، ثم حالفت طُليطلة من هم ضد الرومان وخلعت طاعة الرومان، وأخرجوا القائد الروماني منها، ثم قاموا على بعضهم حتى تشتتوا وتفرقوا وقلّت أقواتهم، وأشرفوا على الهلاك لانشغالهم ببعضهم، و تولّى أمرهم **(أنتُنِش)** الذي وصف بفحش السيرة، لكنه اعتنى بالعمارة، ثم غزاهم ملك رومه **يوليش** وهو أول القياصرة، و قام بمحاصرة طُليطلة، لكنه رجع خائباً، وبقيت طُليطة غير خاضعةً تماماً لهم، إلى

---

(١) هذا النصّ موجود عند ابن حيّان ٥/ ٢٧٢- ٢٧٤، وكان ابن خلدون ينقل عن ابن حيان بالمعنى وعلى سبيل الاختصار الشديد، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٨٠.

(٢) **طالقة** (Italica): قيل مدينة وقيل ناحية وقيل قرية، وهي من أعمال إشبيلية، أول من سكنها الأفارقة، وقد ازدهرت في عهدهم وبقيت عاصمتهم حتى دخلها عليهم إشبان بن طيطش من ملوك الرومان. (الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٢، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٨/٤، البكري: جغرافية الأندلس، ص١٠٩، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص١٦٦- ١٦٧، المقري: نفح الطيب، ١/١٣٣-١٣٤، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ٢/٦٤٠- ٦٤٢.

أن انقرضت دولتهم بوثوب القوط على دولتهم، هذا موجز مفصل وموضح لحديث ابن حيّـان، يفهم منه أنَّ طُليطلة كانت خلال العصر الروماني مضطربة بالثورات ضدهم، ولم يستقر أمرها لهم كاملاً إلى أن دخلها القوط، وعندما دخلها القوط كانوا قد انتزعوها من الشعوب الجرمانيـة المقيمة فيها كالوندال والان والهون كما سنتحدث لاحقاً.

وعند سالم: أنَّ القائد الرومـاني مـاركوس فولفيـوس نوبليـور (Marcus Fulvius Nobilior) قد حاصر مدينة طليطلة واستولى عليها سنة ١٩٠ق.م[١]، ولكن سكان طُليطُلة لـم يتحمّلوا في بادئ الأمر معاملة الرومان، فثاروا عليهم وهزموا حاكمهم كـايوس كـالبورنيوس ماركوس فالفيوس (Caius Calpurnius Pison) سنة ١٨٦ق.م، لكنهم ما لبثوا أن أُخـضعوا أخيراً للرومان، واستسلمت المدينة للفاتحين[٢]، لكن ابن حيّان ذكر أن طليطلة لم تخضع تمامـاً للرومان، وبقيت نار الفتن تضطرم بها يوماً بعد يوم، ولم تخضع لهم طوال بقائهم بها إلاّ مئـة عام. (**... ثمَّ إنّها التاثت على قُوّاد رومة قبل دولة القياصرة بمدة، وقام عليهم قائم فيها مـن لُجدانية مارده، المسمَّى برباط، ملكها على القائد الذي كان بالأندلس من قِبل رومـة، ودفعـه رجال رومة عنها؛ فكانت أول ثورة كانت لأهل طُليطلة منذ بدأت ثورة برباط هذا، وصارت بعدُ لأهلها ديناً وعادةً...**) [٣] فلم تخمد الثورات ضد الرومان في طُليطلة، وإن كان الرومـان قـد سيطروا عليها فليس تماماً في ظل الثورات المتعاقبة، بل لأزمان منقطعة. (**وقد كانت مضطربة الحال جداً أيام خلافها عليهم، فاستقام أودها واعتدل ميلها، واستوسق ملكهم بعد ارتجـاعهم لطليطلة مائة سنة في تواريخهم محصَّلة، ثم إنّ طُليطلة خالفت بعدُ على أهل رومـة ودفعـت**

---

(١) في دائرة المعارف الإسلامية ١٥/٢٥٩ أن فولفيوس استولى على طليطلة سنة ١٩٣ق. م.

(٢) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١.

Aguado Bleye: Manuel de la Historia de Espana T.I Madrid, 1947, p.211- 212.

(٣) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٢، ابن خلدون: العبر ٤/ ١٨٠، طبعة دار الفكر، لبنان، ١٩٨١م.

طاعتهم وأخرجت قادتهم) [1]. وهذه هي المرة الثانية التي يخرج بها قادة رومة مـــن طليطلـــة، وبقيت هذه المدينة دائمة التَّغير، قليلة الاستقرار حتى بعد أن غزاها القيصر الروماني يـــوليش، وبقيت على حالها من عدم الاستقرار حتى قدم القوط. **(وغزاها يوليش ملك رومة الأكبـــر أول القياصرة... فيرجع إلى بلده خائباً حاسراً دون أثر في غزوته،... ولم تزل طُليطلة شجى على القياصرة بعد يوليش، وقيل مبعث المسيح عيسى بن مريم صلعم، فقلّ ما دانت لهم، بل تمادت غصةً عليهم، إلى أن انقرضت من الأندلس دولتهم)**[2].

وازدهرت طُليطلة في العصر الروماني خلال مدة تواجـــدهم واســـتقرارهم، فحـــصّنت بالأسوار وأقاموا فيها المسرح الكبير والجسر العظيم[3]. **(... فجعلوهـــا أم مـــدائن الأنـــدلس وقاعدتها ودار مملكتها)** [4]، **(وكانت طليطلة دار مملكة الرومان)** [5]. **(وطُليطلة كانـــت أيـــام الروم مدينة الملك ومداراً لولاتها)** [6] وعندما انتشرت المسيحية في إسبانيا أقام سان أيوجينـــو (San Eugenio) بطليطلة مركزاً اسقفيّاً[7]. هذا موجزٌ مختصر من تاريخ تلك المدينة خـــلال العصر الروماني.

---

(1) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٣، ابن خلدون: العبر ٤/ ١٨٠، طبعة دار الفكر، لبنان، ١٩٨١م.

(2) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٤، ابن خلدون: العبر ٤/ ١٨٠، طبعة دار الفكر، لبنان، ١٩٨١م.

(3) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١.

(4) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٢.

(5) الحِميْري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠، الروض المعطار، ص٣٩٣.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص ٥٣٦، ٥٥١.

(7) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١.

طُليطلة عصر دولة القوط الغربييّن (Visigoths)

وهذا العصر هو العصر الثالث من العصور التي مرَّت على طُلَيطُلة (Toledo) قبل الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد تداول ملوك القوطّ ملكها بعد أن غصبوها من الرومان بعد حروبٍ دامية، فصارت طُليطلة دار مُلك القوط وعاصمة دولتهم، وهي مركزهم ومستقرّهم، وقرارهم، وقاعدتهم وعمادهم، منها تتحرك الجيوش للغزو، وفيها يتشاور أولو الأمر، وبقيت طُليطلة كذلك في عهد القوط من المكانة والأهمية، حتى جاءت طلائع الجيوش الإسلاميّة إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، قال صاحب التاريخ ابن حيّان رحمه الله مُتحدثاً عن مكانة طُليطلة في عهد القوط: (**قرأت بخطِّ صاعد بن صاعد القرطبي، قاضي طُليطلة، وكان من العلم بمكان،... وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأُمم الذين تملكوا بلاد الأندلس، إلى أن دخلتْ العربُ عليهم**) [١]. وقال أبو عُبيد الله البَكري رحمه الله: (**ومدينة طُليطلة قاعدة القوط، ودار مملكتهم، منها كانوا يغزون عدوّهم، وإليها كان يجتمعُ جنودهم**) [٢]. وقال ابن خلدون: (**وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم**) [٣] لكن ابن خلدون يضيف بأنَّ القوط ربّما كانوا ينزلون مدن أخرى من مدن الأندلس خلال وجودهم، أيّ أن طُليطلة لم تكن عاصمتهم على الدوام فكانت ماردة وإشبيلية وقرطبة كذلك من المدن التي اعتبروها عاصمةً لملكهم (**وربّما انتقلوا ما بينها، وبين قرطبة وماردة وإشبيلية**) [٤]. لكن على الأرجح وإنْ صحَّ قول ابن خلدون؛ فإنَّ طليطلة بإجماع المصادر كانت هي العاصمة الأطولُ أمداً على الأغلب، فلا ننسى أن نأخذ بالاعتبار وبإجماع المصادر أنَّ طليطلة كانت زمن الروم، دار ملكهم وموضع

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٨، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص١٩، المقري: النفح ١٦٢/١.

(٢) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص٦، ١٣٣ نقلاً عن البكري.

(٣) ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٤٦، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١.

(٤) ابن خلدون: العبر ٤/ ١٤٦، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١.

قصدهم[١]، وهذا يعود إلى حصانتها ومنعتها وموقعها الاستراتيجي على مرتفعٍ شاهقٍ يحيط بها نهر التاجه من جهاتها الثلاث، وقنطرتها العظيمة البنيان، المنقطعة النظير في الأندلس، ويجدر بالذكر أنَّ طليطلة بقيت عاصمةً لملوك القوط، حتى دخلها المسلمون. قال القلقشندي: **(كانت قاعدة الأندلس في القديم، وبها كرسي لذريق آخر ملوك القوط)** [٢]، ومن كلام ابن حيّان: **(... وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأمم الذين تملّكوا بلاد الأندلس؛ إلى أن دخلتْ العرب عليهم)** [٣].

من هُمْ القُوط ومن أين جاءوا

يحدثنا ابن خلدون كمصدرٍ إسلامي عن أصل القوط فيقول: **(هذه الأمة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العَرَب وقد ذكرناهم عقب اللطينيّين[٤] لأنَّ المُلك صار إليهم من بينهم كما ذكرناه[٥]، وسياقة الخبر عنهم أنَّهم كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسيسيين، نسبةً إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالمشرق فيما بين الفرس واليونان، وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث)** [٦] ويذكر ابن خلدون أنَّ القوط كانت لهم حروب مع أُممٍ قبل حروبهم مع الرومان. **(وكانت لهم مع الملوك السريانيّن حروب موصوفة زحف إليهم فيها مُوقمَن مالي ملك سريان فدافعوه لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم كانت**

---

(١) ابن حيان: المقتبس ٤/ ٢٧٢، ابن خلدون: العبر ١٤٦/٤، ١٨٠، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج١، ص ٥٣٦، ٥٥١، الحِميْري: الروض المعطار، ص٣٩٣، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠، ابن سعيد: المغرب ٢/ ١٠، المقري: نفح الطيب ١٦١/١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٢٧- ٢٢٨.

(٣) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٨.

(٤) اللطينيّون: هم الرومان.

(٥) حديثه عن تملكهم شبه الجزيرة الإيبيرية من الرومان، (ابن خلدون: العبر ١٤٦/٤، ١٨٠).

(٦) ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨٠، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت المقدس وبناء رومة) [(١)]، غير أنَّ المصادر الإسلامي لم توضح لنا كثيراً عن هذه الحروب، وابن خلدون هو وحده من تفرّد بهذه الأخبار البسيطة نقلاً عن المؤرخ هروشيوش، بيد أن ما يهمنا هنا هو أخبار القوط الغـربيين (Visigoths) الـذين ملكوا طليطلة، وحروبهم مع الإمبراطورية الرومانية حتى وصولهم إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وسأوجز الأخبار عنهم ما استطعت لأني لستُ بصدد الحديث المفصّل، فما يخدمني هنـا هـو الحديث عنهم كأحد الأمم التي ملكت طليطلة، وكيف كانت في عهـدهم، وبمـا أنَّ المـصادر الإسلامية لم تتوسع في حديثها عنهم في حروبهم حتى ملكوا طليطلة؛ فسيكون الحديث عنهم وفي أغلبه من خلال المصادر والمراجع الأخرى.

القوط من القبائل أو الشعوب البربرية التي هبطت من شمال أوروبا، وقوّضت صـروح الامبراطورية الرومانية[(٢)]، وقد استخدم الرومان كلمة **(بربري)** بمدلول التحقير والإزدراء للدالة على الشعوب التي وفدت لتعيش على حدود الراين والدانوب، وقد أطلق الرومـان علـى هـذه القبائل والشعوب جميعها اسم **(الجرمان** Germani**)** [(٣)] على أن هذه الشعوب الجرمانيّة قد وفدوا في الأصل من سكنديناوة[(٤)]، وعند عنان: "**وتقول الأساطير أنّهم نزحوا من اسكندناوة، وهـي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد، ويذكر المؤرخ تاسيتوس أنهم كانوا منـذ ظهـور النصرانية إلى أواخر القرن الثاني يسكنون شواطئ البلطيق الجنوبيّة**"[(٥)] فقد عبر القوط خاصةً وهم مدار حديثنا البحر البلطي من سكندناوة قبل حلول منتصف القرن الثاني المـيلادي حتـى

---

(١) ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨٠، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١م.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٢٨/١/١.

(٣) كانتور، نورمان ف كانتور: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق قاسم عبده، ص ١٦٩.

(٤) كانتور، نورمان ف كانتور: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق قاسم عبده، ص ١٦٩.
عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٢٨/١/١، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٦؛ الشيخ، محمـد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٨٩؛ سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٤.

(٥) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٢٨/١/١.

وصلوا مصبّ الفستولا. وقرب منتصف القرن الثاني الميلادي بدأت قبائل القوط رحلةً طويلــةً نحو الجنوب الشرقي حيث استقروا شمالي البحر الأسود. وهناك انقسم القوط إلى قسمين شرقييّن (Ostrogoths) وكانوا تحت حكم أسرة أمالوس(Amalos) وغربييّن (Visigoths) وكــانوا تحت حكم أسرة بالطة (Baltes) انتشر القوط الشرقيين فوق سهول روسيا الجنوبية، لكن القوط الغربيين اتجهوا نحو إقليم داشيا ودول البلقــان، وســمحت الإمبراطوريــة الرومانيــة للقــوط بالاستقرار والإقامة مرغمةً، فتنازلت لهم عنهُ لقرنٍ من الزمان (٢٧٥- ٣٧٥م) وكان هذا قبــل أنْ يعبروا إلى داخل الامبراطوريّة الرومانية[١].ويرى الأستاذ عاشور أنّه لم تكن لهذه التــسمية في الأصل علاقة بالموقع الجغرافي الذي استوطنه كل قسم مــن القــوط، وأن مــدلول لفــظ (Ostrogoths) معناه القــوط الــساطعون أو الزاهــرون (Auster) بينمــا مــدلول لفــظ (Visigoths) معناه الأذكياء (wise).[٢]

رحلة القوط الغربيين (Visigoths) الشاقّة حتى وصولهم طُليطلة

هنالك روايات أوردتها المصادر الإسلامية حول رحلة القوط، وحــروبهم مــع الهَــوْن والرومان، حتى تمكّنوا من دخول إسبانيا والسيطرة عليها، ومن ثم اتخاذ طُليطلة عاصمةً لهــم. غير أن هذه الروايات غير وافية وغير مفصلة وهناك اختلاف في أسماء ملوك الرومان والقوط وفي أغلبها ما يشبه الخرافة والحديث المتقطع الغير وافي. ويقول عنان " **أنّها فيها الكثير مــن الخلط والخرافة** "، ولهذا سأعتمد على المراجع الأخرى التي اهتمت بأخبار دولة القوط اللاتينية المترجمة والعربية التي نقلت عن اللاتينية، مع الأخذ من المصادر ما كان موافقاً للحقائق علــى

---

(١) عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٦؛ سانت موس: ميلاد العصور الوســطى، ص٨٤؛ الــشيخ، محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٨٩، طرخان: دولة القوط الغربيين ص ١-٣، حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٢،

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83

(٢) عاشور: أوروبا في العصور الوسطى ص ١٦٥ الحاشية رقم ١.

قدر المعرفة والتمييز إن شاء الله، وابن خلدون وابن الأثير هما أقرب إلى الحقـائق مـن بـين المصادر الإسلامية الأخرى.

كان أول ظهورٍ للقوط على أراضي الامبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور اسكندر سيفروس (٢٢٢- ٢٣٥م)؛ فقد ظهرت طلائعهم في ولاية داسيا الواقعة فـي شـرقي حـوض الدانوب وتشغل مكان رومانيا والمجرّ حالياً، وكانـت هـذه الولايـة مـن الـبلاد الخاضـعة للامبراطورية الرومانيّة، ثم أغاروا على بعض مدنها، وكان هذا هو نـزوحهم الثـاني، حيـث استقرّوا عندئذ في إقليم **(اليوكرين)**، وفي عهد الامبراطور ديسيوس كان القوط قد عبروا نهـر الدانوب وخرّبوا ولاية ميزيا الواقعة وسط البلقان وتشغل مكان بلغاريا الحديثة، وهي من البلاد الخاضعة لسيطرة الرومان كذلك، ثم تقدمت أُمة القوط إلى قلب بلاد البلقان، فلما علم ديـسيوس بذلك سار لقتالهم، لكن أمة القوط هزمته وقتلت معظم جيشه وعاد خائباً وكان ذلك سنة (٢٥٠م)؛ وبعد هذه المعركة سار القوط إلى اليونان فعاثوا فيها وخرّبوها، وبقي القوط على هذه الحالة من العبث والتخريب بالأراضي الرومانية حتى حاربهم الامبراطور قسطنطين الكبير، فحاربهم فـي مواقع عدة، وردّ عدوانهم وأوقع بهم الخسائر والهزائم فكرّوا عائدين إلى إقليم داسيا وكان ذلـك سنة ٣٢٢هـ ثم حاربهم الامبراطور فالينس قيصر قسطنطينية وهـزمهم وكـان ذلـك سـنة ٣٦٩هـ[1].

هنالك رواية أخرى؛ وذلك أنَّ الرومان هم من سمحوا للقوط بالعيشِ فـي إقلـيم داشـيا والبلقان، بل والاستقرار في هذه الجهات لقرنٍ من الزمان تقريباً (٢٧٥- ٣٧٥م)، واحتكوا بهم وقد تأثر القوط الغربيون بحضارة الرومان؛ فاعتنقوا المسيحية عن طريق مبشر مـنهم اسـمه **(ولفلاس** Wulfilas)، (٣١١- ٣٦١) وقد عيّن **ولفلاس** هذا أسقفاً للقوط سنة ٣٤١م تقريبـاً، وكان قد تلّقى تعليمه بالقسطنطينية، وترجم الكتاب المقدس إلى لغة القوط، وهذه الترجمة تعتبر

---

[1] للمزيد عن هذه الأحداث انظر. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ١/١/٢٨.

اليوم من أقدم آثار اللغة الجرمانية التي كانت سائدةً في ذلك الوقت. وقد تلقى القوط المسيحية على المذهب الأريوسي، وذلك أن ولفلاس كان أريوسياً، فانتشرت الأريوسيه بين أفراد أُمة القوط، بل انتشرت كذلك بين طوائف من الجرمان غير القوط الغربيين، مثل الوندال، والبرجنديين واللمبارديين، وكان لانتشار المذهب الأريوسي أثراً بالغاً في مستقبل المجريات التاريخية في أوروبا في عصورها الوسطى[1] في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وقيل سنة ٣٧٥هـ، وقيل سنة ٣٧٦هـ؛ اندفعت قبائل الهون[2] الآسيويون خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا، وهاجموا القوط، وكان هجومهم عنيفاً، فغلب الفزع على أمة القوط، وفرّوا أمام الهون من هول الهجوم، فطلبوا من الامبراطور الروماني في القسطنطينية (**فالنز** Valens) (٣٦٤- ٣٧٨) السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من الخطر المحدق بهم من الهون، فوافق على طلبهم لا رحمة بهم بل ليجعل منهم سوراً يحمي حدود الامبراطورية الرومانية من خطر الهون، وسمح لهم بالعيش والإقامة في إقليم ميزيا جنوب الدانوب الأدنى (ولاية مواشيا وتراقيا) وكان قد عبر الدانوب منهم ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب، وشرط عليهم الامبراطور فالنز أن يكونوا له حلفاء لمشاركتهم في دفع الأخطار

---

(١) عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٦- ٦٧، الشيخ: محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩١- ٩٢، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، والسيد الباز العريني، ص٨٤، ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة د. عبدالحميد حمدي.

Moss (H. Sant. L> B Moss): the Birth of the Goths, p. 61.

(٢) **الهون**: قبائل بربرية فاقت في الإرهاب جميع العناصر التي تعاملت مع الإمبراطورية الرومانية، وأثناء تحركات الهون توقفوا زها نصف قرن في وسط أوروبا واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والجبيدي Gepide وقابل الماركوماني Marcomani، وسلاف الجنوب، كان يحكمهم أتيلا Attil ابن مونـدزوك Mundzuk، وكان الرمز الديني لهم خنجر مغروس بالأرض، وأصل الهون من قبائل تركية مغولية، كانوا قد تحركوا في القرن الرابع الميلادي من منغوليا نحو الغرب فخضعت لهم القبائل القاطنة بين الغولغا والدون والقفقاز، تابعوا زحفهم نحو الغرب حتى وصلوا نهر الدانوب، فهرب القوط الغربيّون منهم وعبروا الدانوب إلى أراضي الرومان. للمزيد عن الهون: عمران، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٨٠، فرح، نعيم فرح: تاريخ اوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٢، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٢/ ٣٩٠- ٣٩٢.

عن الامبراطورية الرومانية، وبالمقابل وعدهم بإعفائهم من الضرائب، وإعطائهم بعض الامتيازات الأخرى، لكن جنود الرومان كانوا خلافَ ما وعدهم، فأخذوا بابتزازهم وذلك بأخذ الضرائب الباهضة، وربما اضطر القوط إلى بيع أولادهم ونسائهم في العبودية من أجل قضاء ما عليهم من الضرائب؛ فاستاء القوط من معاملة الجنود الرومان، وكانت ردة فعلهم عنيفةً، فثاروا بوجه الرومان، ولم يكونوا وحدهم، وقد انضم للقوط عدد كبير من العبيد المضطهدين، وبعض أفراد الجيش البيزنطي الذين هم من أصول بربرية، وقد أوقع القوط مع من انضمّ إليهم من المتمردّين هزيمةً نكراء بالجيش الروماني، وقتل الإمبراطور **فالنز** Valens في معركة (**أدرنة** ٣٧٨م)، عند مدينة أدرنة وكان القوط بزعامة فيتجرن. خلف فالنر الامبراطور ثيودوسيوس (٣٧٨- ٣٩٥) الذي أدرك خطر القوط فعقد معهم اتفاقية، لاسترضائهم، لأنه رأى أنْ لا طائلة من معاداتهم، وبذلك يصبح القوط معاهدين (Foederati) للامبراطور، وسمح لهم بالإقامة في شمال تراقيا (الشمال الشرقي من بلاد البلقان) وأعطاهم سلطة مطلقة مقابل الخدمة العسكرية التي تعهدّ القوط بتقديمها للامبراطور، وأعفاهم من الضرائب وكانت هذه الاتفاقية قد عقدت سنة ٣٨٢هـ، وبذلك يبدأ شأن القوط بالتواجد على الساحة السياسية كنقطة بدء للاستقلال، والعمل على تأسيس ممالك داخل الامبراطورية الرومانية دون أن يشعر الرومان بهم، وبقي القوط يتمتعون باستقلالية طابعهم وقوانينهم ومذهبهم الأريوسي، والمطلوب منهم هو الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الروماني، وحراسة الحدود من الأخطار الخارجية، وبقي الأمر على ما هو عليه حتى عام ٣٩٥م عندما توفي الامبراطور ثيودوسيوس، حيث جرت أحداث جديدة على الساحة السياسية بين القوط والرومان[١].

---

[١] للمزيد عن هذه الأحداث انظر: فرح، نعيم فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٧- ٢٨، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٧-٦٨، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩٠- ٩٢، العدوي، إبراهيم أحمد العدوي: المسلمون والجرمان، ص١٧-١٩، وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم،

بعد وفاة الامبراطور **ثيودسيوس** (Teodosio) سنة ٣٩٥هـ؛ تقسّمت الامبراطورية الرومانية بين ولديه: اركاديوس وكان في الثامنة عشرة من عمره، وكان قليل الحجم بادئ الكآبة، أ ما **هنوريوس (هنريوس)** فكان عمره إحدى عشر عاماً وكان قاصراً، عنيداً، قليل الكفاية، واعتلى إركاديوس القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية، وكانت عاصمته القسطنطينية، أما القسم الغربي فقد اعتلاه هنوريوس وعاصمته روما، وكان هنوريوس في الغرب قد فوّض الأمور معتمداً على قائد وندالي قويّ يدعى ستليكو (ستيلخو) ومنحه تفويضاً تاماً من الناحية الحربية، واعتمد أخوه أركاديوس في الشرق على فتى طواشي يوناني يدعى يوتروبيوس (روفنيوس)[1]. خلال هذه الفترة انتهز القوط هذه الأحداث ونقضوا عهدهم الذي كانوا أبرموه مع ثيودوسيوس سنة ٣٨٢م، وانتخبوا من بينهم ملك عسكري في الثلاثين من عمره وهو ألاريك (**ألرك، ألارك**) (Alaric)، وقاد القوط من تراقيا إلى مقدونيا واليونان وهم يدمّرون وينهبون ما يجدونه في طريقهم، واستولى القوط بعد مهاجمتهم اشنا وتساليا على كونشة واسبرطة، ورغم بعض الهزائم التي لحقت ألريك إلا أنهُ لم ينثنِ عن عزمهِ وحماسه في صنع

ترجمة محمد مصطفى زيادة، ٢/ ٣٩٣، عنان: دولة الإسلام في الأندلس ٢٨/١/١، موس، سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، السيد الباز العريني، ص٨٤– ٨٥، حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٤.

Wallace- Hadrill: the Barbarian west. P.12. ostrogorsky: Histoire of the Byzantine state, p.48. Rofael Altamira: A Hist of Spain from the Muna Lee,m London 1952, p.76. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 335.

[1] الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩٢– ٩٣، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٧– ٢٨، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٦٨–٦٩، وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة ٢/ ٣٩٣، موسى، ميلاد العصور الوسطى، ص ٨٥–٨٦، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٨٢/١/١. حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٥.

Hussey, J.M: The Byzant Word, London, 1987, p.14 , Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Espaňa, p.84

هيبة لقومهِ، ومكاناً يسكنوهُ ويكن لهم مستقراً، بل بدأ يعد العدّة لغزو إيطاليا نفسها[١]. لـم تكـن القسطنطينية قادرةً على مقاومة خطر القوط، فكتب الامبراطور أركاديوس إلى أخيه **هنوريوس** في روما يستنجده، فبعث له بما لديه من القوات لصدِّ هجمات القوط بقيادة ألرك، وطردها مـن اليونان، عندها انسحب القوط من اليونان بوصول القوات الرومانية بقيادة **ستيليكو (ستيليخو)**، وذلك سنة ٣٩٧م، واستقرّ تجمع القوط في جزيرة المورة، كان باستطاعة سـتيليكو أن يطبـق مجموعة على القوط الغربيين ويستأصل شافتهم لكنه لم يفعل، قيل (تعاطفاً منهُ مع القـوط لأن أصله جرماني بربري، وأن يضع سلطات القسطنطينية وروما في موقف يكن هو فيـه المنقـذ والمخلِّص، بعد أن بلغت شهرته الآفاق كقائد أعلى في جيش روما) [٢] (فقد انحى القديس جيروم باللائمة على سياسة ستيلكو وقال: إن كل ما أصاب روما لم يكن بسبب أباطرتها ولكن بـسبب سياسة هذا الرجل الذي كانت تجري في عروقهِ دماء نصف بربرية،

Not by the fault of traitor (Stilicho)… who with our crime of a half barbarian her emperors. But by the money has armel our agaiust us).[٣]

وحتى يخلص أركاديوس القسم الشرقي من الامبراطورية من خطر القـوط الغـربيين، صالحهم ومنح زعيمهم الارك لقب قائد في الجيش البيزنطـي (Magister Militun)، كمـا سمح لهم بالإقامة في القسم الشمالي من إيلِّيريا (تقع إيلِّيريا إلى الشرق من البحر الإدريـاتيكي). وهكذا تخلص القسم الشرقي من الامبراطورية من خطر القوط الغربيين، ولكن هذا الأمـر تـمّ على حساب القسم الغربي الذي تعرض لخطر القوط فيما بعد. ففي سـنة ٤٠١ تحـرك الأرك

---

(١) عاشور: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ص٦٩، فرح: تاريخ أوروبا الـسياسي فـي العـصور الوسـطى، ص٢٩، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ٢٨/١/١، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩٣.
Vasiliev: the Byzantine Empire, Madison, 1952, Tome, I, p.116.

(٢) فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٨،

(٣) الشيخ: تاريخ أوروبا فـي العـصور الوسـطى، ص٩٤- ٩٥، نقـلاً عـن مقالـة القـديس جيـروم بعنـوان (The barbarian Traitor) في كتاب (The med World 1000-1300 by Cantor, p.11).

بجموعه نحو إيطاليا، ولكن ستيليكو أوقف زحف القوط الغربيين وتعهد بإعطائهم مساعدة مالية سنوياً مقابل امتناعهم عن مهاجمة إيطاليا، وكانت تصرفات ستيليكو (قائد الجيش الروماني البربري الأصل) مثاراً للشكوك بتآمره وتواطئه مع الأعداء، فاتهمه امبراطور روما (أونوريوس) بالخيانة وأعدمه سنة ٤٠٨م[١].

وإذا كان القائد الذي أعدم بتهمة الخيانة قد استطاع رد القوط سنة ٤٠٢م عن إيطاليا، فإن الأمور قد تغيرت بعد إعدامه سنة ٤٠٨م، فكانت هذه الحوادث قد مهدّت الطريق ودخلوها سنة ٤١٠هـ واستباحوها وعاثوا بها فساداً[٢]، وقد دخلوها من باب سالا ريو (Salario) بمساعدة أحد الخونة،وذلك أن زعيم القوط ألريك (الاريكو Alarico) قد صفت له الأمور بعد مقتل ستيلكو (ستيلجو Stilicon) وبدأ يضغط على روما، ويشطط في مطالبه، فيطلب من الامبراطور هونوريوس (أونوريوس) أن يعيّنه حاكماً على المنطقة الممتدة إلى الشمال من البحر الإدرياتيكي وأن يقدّم له سنوياً إعانات مالية. لكن هونوريوس (أونوريوس) رفض مطالبه وشروطه، وهذا ما دفع ألاريك من الزحف نحو إيطاليا، ودخول روما سنة ٤١٠م، ونهب ما فيها من الثروات، أما الامبراطور الروماني فقد هرب من المدينة[٣].

---

(١) للمزيد عن هذه الأحداث:
حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٦-٢٠٧، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٨، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، والسيد الباز العريني، ص٨٦، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، تحقيق محمد مصطفى زيادة ٣٩٣/٢، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٩- ٧٠.
. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 336-337
Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83

(٢) الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩٣-٩٤، العدوي: المسلمون والجرمان، ص٢١؛ موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٦، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٧٠، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص ٢٨- ٢٩.
Bury (J.B.): History of the Later Roman, Empire (London, 1923) Vol, I p.180.

(٣) فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٨- ٢٩، حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٧

على أنَّ القوط لم يحدثوا مذبحةً بين الأهالي، كما أنّهم لم يحرقوا أو يتعرّضوا للكنائس على الرغمّ أنّهم على المذهب الأريوسي، ولم يلحقوا ضرراً بالآثار القديمة، فقد اقتصروا على حرق ونهب دور النبلاء في روما بما فيها من المال والمتاع والذخائر[(١)] وقد أسعفتنا بعض المصادر الإسلامية التي فيها توافق مع الرواية اللاتينية في حصار روما ودخولها. قال ابن الأثير من خلال حديثه عن الريق (ألاريكو): **(وكان زنديقاً شجاعاً،...، ونازل رومية وحاصرها وضيّق على أهلها ودخلها عنوةً وغنم أموالهم)** [(٢)] وقال ابن خلدون: **(... حتى إذا انتقل القياصرة إلى القسطنطينية وفشل أمرهم برومة، زحف إليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوةً فاستباحوها)** [(٣)]. وكان لا بدَّ للقوط من الانسحاب من روما إلى جنوب إيطاليا، فأزمعوا على التوجّه نحو صقلية وشمال إفريقية، حيث الجهات الغنيّة بموارد وغلال القمح، واقترح ألاريك (الريك) عبور البحر ليصل إلى بلاد الغلال والقمح الذي يعد مستودعاً لروما، ومكاناً يستقرّ به شعبة بعد كل هذا الترحال والتشرد. لكن الرياح جرت بما لا تشتهي سُفنه، تحطمت سفنه وغرق أكثر أصحابه وكان هو ممن غرق حسب رواية ابن الأثير:**(... ثم جمع أسطول وسار إلى صقلية ليفتتحها ويغنم ما فيها فغرق أكثر أصحابه في البحر وهو غرق فيمن غرق)** [(٤)] أما المراجع فتفيد بأنه مات في نهاية سنة ٤١٠م، دون الإفصاح أمات غرقاً أو غيره[(٥)]، وبعد وفاة

---

(١) موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٦، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٧٠، حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٧

Deanesly (m): A History of Early Medieval Europe, p.27- 28.
. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 336

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠- ١٢١.

(٣) ابن خلدون: العِبر، طبعة دار الفكر، ١٩٨١م، ٢/ ٢٨١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢١.

(٥) للمزيد عن هذه الأحداث: حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٩، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، السيد الباز العريني، ص٨٧، العدوي: المسلمون والجرمان، ص٢١، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور

زعيم القوط الغربيين (الاريك، ألريكو) سنة ٤١٠م، خلفه أخوهُ أتولف على المُلك، فاتّفق مع الامبراطور (هو نوريوس، أونوريوس) على السماح لشعبه القوطي بالاستيطان في جنوب غرب غاليا (منطقة أكيتانيا) وهي المنطقة الممتدة من نهر اللوار حتى حدود البرانس، على أن يستخلصوا هذا الإقليم من خصوم الامبراطورية الرومانية، من الوندال واللالان والسويفي الذين كانوا تطرقوا إلى هذه الأقاليم العالية، وقد تزوج أوتولف من شقيقه الإمبراطور (كالابلاسيدية)، وقيل أنه تزوجها على كرهٍ من أخيها هونوريوس وفقاً للطقوس الرومانية، وانخرط القوط في صفوف الجيش الروماني، وفي سنة ٤١٢هـ زحف أتولف (Ataùlfo) على بلاد الغال (غاليش Gaul, Galia جنوب فرنسا وشمالي إسبانيا)، وسيطر على الشطر الشمالي منها، لكن العلاقات ما لبثت أن ساءت بين أتولف والامبراطور هونوريوس، ربّما بسبب إقدام الأول على الزواج من أخت الثاني، وقام الاسطول الروماني بمحاصرة شواطئ الغال المطلة على البحر المتوسط وقطع الغلال عن القوط، مما اضطر أتولف من مغادرة بلاد الغال نحو إسبانيا حيث توفي سنة ٤١٥هـ[١].

وقد أوردت الرواية الإسلامية شذوراً عن هذه الأحداث، من خلال الحديث عن أتولوف، الذي يسميه ابن الأثير أطلوف. قال: **(ثم ملك بعدهُ أطلوف ست سنين وخرج عن بلد إيطالية**

الوسطى، ص٢٩، لانجر: موسوعة تاريخ العالم: ترجمة محمد مصطفى زيادة ٢/ ٣٩٤، عنان: دولة الإسلام ٢٩/١/١،

Oman: the Dark Ages (London, 1949)< p.7.

(١) للمزيد عن هذه الأحداث انظر: (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٧٠، العدوي: المسلمون والجرمان، ص٢١– ٢٢؛ فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٩، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٥–٦٦، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٧–٨٨، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة ٢/ ٣٩٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ١/١/ ٢٩، طرخان: دولة القوط الغربيين ص ٨٦–٨٧، حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٩–٢١٠.

وأقام ببلد غاليس[١]**. مجاوراً أقصى الأندلس، ثم انتقل بعدها إلى برشلونة)** [٢]، وقال ابن خلدون من خلال حديثه عن أريك بعد أن دخل رومة: **(ثم خرجوا عنها أيام طُوُوشيش بن أركادش**[٣]**، بعد حروبٍ كثيرة، وكان أميرهم لذلك أنطرك كما ذكرناه، ومات بعهد طودوشيش وأراد أن يجعل اسمه سمة الملوك برومة منهم مكان سمة القيصر، فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنهُ، ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلاث طوائف من الغريقيين فاقتسموا ملكها وهم الأبيون**[٤]**، والشوابيّون**[٥] **والقندلس**[٦]**)**[٧].

بعد وفاة زعيم القوط أتولف في إسبانيا، خلفه واليا (٤١٥- ٤١٨م)، وقد تولى خلال هذه الفترة (٤١٦هـ) الحكم كذلك سيجريك، وقد استطاع واليا Walia ملك القوط الجديد أن يطرد السويفي إلى الجزء الشمالي الغربي من إسبانيا، وأن يدحر الوندال إلى جنوبي نهر أبرو، وبذلك يتمكن والياً من الاستقرار سنة ٤١٨م/ ٤١٩م في الجزء الجنوبي من غاليا، وتمتد من تولوز

---

[١] غاليس: غاليش بلاد الغال.

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٢١/٤.

[٣] يعني الامبراطور الروماني هونوسيوس بن أركادس.

[٤] الأبيون: الآلان.

[٥] الشوّابيون: السوابيون.

[٦] القندلش: الوندال.

[٧] ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨١، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م، وقد أورد ابن خلدون نصّاً آخر حول حكم القوط لإسبانيا بعد خروجهم من روما قال: **وكان هذا القطر الأندلسي من العدوة الشمالية عن عدوة البحر الرومي، وبالجانب الغربي منها يسمى عند العرب أندلوش، وتسكنه أمم من إفرنجة المغرب أشدّهم وأكثرهم الجلالقة، وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أمره لمئين من السنين قبل الإسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة. ثم عقدوا معهم السلم على أن تنصرف القوط إلى الأندلس، فساروا إليها وملكوها. ولما أخذ الروم واللطينيون لبسلة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أهل إفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم)** ابن خلدون: العِبر، ٤/ ١٤٦، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

على نهر الجارون إلى إسبانيا التي طردوا منها الوندال سنة ٤٢٩م، كانت وفاة واليا سنة ٤١٩م، وقد خلفه تيو دو ريدو(Tedodoredo) على الملك والذي حكم هو وأربعة مـن أولاده فتـرة أمتدت ستة وستون عاماً، فعمل على توسيع مملكته في أربونة ووقع معاهدة جديدة مـع القائـد الروماني أيثيو(Aecio) ، وكان قد انتزع عدة مدن من الرومان سـنة ٤٣٦م، وألحـق بهـم هزيمة سنة ٤٣٩م، ومن ثم ساد السلام بينهم، وكانت وفاته سنة ٤٥١هـ، أثناء حربه مع الهون، فخلفه في حكم القوط ثيودريك الثاني (٤٥١- ٤٦٥م)؛ فحارب الوسيفي في شمال غرب إسبانيا، ووصلت حدود مملكة القوط في عهده حتى نهر اللوار، وقُتل بواسطة أخيـه أيـورك (٤٦٥- ٤٨٤) الذي يعتبر أقدر ملوك القوط الغربيين في إسبانيا، وتجمع المراجـع علـى أن أيـورك (يورك، يوريك، أيوريكو Eurico) هو أعظم ملوك القوط وأقدرهم، ففي عهده قضي على النفوذ الروماني في إسبانيا وأخضع السويف، وكان أول من وضع مجموعة للقانون الجرماني عرفـت باسم (Amtiqua)[١].

ثم تتابع ملوك القوط في إسبانيا، وسيطروا على معظمها، وكان لمدينة طُليطلـة الـشأن العظيم في عهد ملوك القوط، وقد اختاروا في بداية أمرهم مدينة ماردة كعاصمةٍ لهم في عهـد الملك أجيلا Agila، (٥٤٩-٥٥٤م)، وعندما ثار عليه أهل قرطبة خرج لقتالهم من ماردة ففـرّ منهزماً وعادَ إلى مقرّه ماردة فثار عليه (أتانا جليدو Atanagildo) (٥٥٤-٥٦٧)، عامله على مدينة إشبيلية، وقد نجح في استمالة أهل قرطبة إلى صفوفه، وعاونه الامبراطـور الرومـاني

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٤/ ١٢١ حيث ذكر لنا اسم ملك القوط والياً الذي خلف أتولف فحسب، عاشور: تاريخ أوروبـا في العصور الوسطى، ص٧١، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مـصطفى زيـادة، ٢/ ٣٩٥- ٣٩٦، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٧-٨٨، العدوي: المسلمون والجرمـان، ص٢٢-٢٣، سـالم: فـي تـاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥٢، حتاملة: أيبيريا ص ٢١٠-٢١٤.

. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 341-342

Bury (j.B): History of the later Roman Empire Vol, I, p.341.

حستيان وأمدَّه بجيش، وانهزم أجيلا أمام هذه الجموع وكرَّ عائداً إلى ماردة، حيــث قتلــه أحــد أتباعه سنة ٥٥٤م، ثم تولى مُلك القوط عامل إشبيلية أتانا جليدو (خليدو) حتى سنة ٥٦٧م، فخلفه ليو فيخلدوا (ليوف الأول) سنة ٥٦٨م؛ وفي عهده برزت مدينة طليطلة كعاصمةٍ لدولة القــوط، وانتقلت حاضرة دولة القوط الغربيين من ماردة Merida إلى طليطلة (Toledo)، وازداد شأنها وارتفعت إلى الذروة، وحضيت باهتمام ملوك القوط منذ ذلك العهد، فهي دار ملكهــم، ومكــان مشورتهم، فأقبل ملوك القوط على التوالي بتنميق عمائرها، وتزيين مغانيها، وزوّدوهــا بجليــل الآثار ورفيع البنيان وعرفت منذ ذلك الحين بالمدينــة الملكيــة (Ciudad Regia) [١] وبقيــت طليطلة تتمتع بمكانتها عند ملوك القوط حتى سنة ٧١٠م عندما دخلت طلائع الفاتحين المسلمين، وكان لذريق هو آخر ملوك القوط الذي قتله المسلمون في معركة وادي لكة سنة ٩٢هــ/ ٧١١م.

قال ابن حيّان: **(وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأمم الذين تملكوا بلاد الأندلس حتــى دخلت العرب عليهم)** [٢] وقال ابن خلدون: **(وكان ملوك القوط ينزلــون طليطلــة وكانــت دار ملكهم)** [٣]. **وقال القلقشندي: (وبها كرسي لذريق آخر ملوك القوط)** [٤]، ولم يلبث تاريخ إسبانيا، منذ أن نبذ الملك ريكاريدو (٥٨٦-٦٠١م Recaredo) المذهب الآري واعتنق المــسيحية؛ أن

---

(١) للمزيد عن هذه الأحداث انظر: (طرخان، إبراهيم علي طرخان: دولة القوط الغربيين، طبعــة القــاهرة، ١٩٥٨م، ص ٩٤-١٠٣، حتاملة: أيبيريا ص ٢٢٩- ٢٣٤، سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأنــدلس، ص٥١-٥٢، الشيخ: الممالك الجرمانية في العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٧٥م، ص٥٦-٧٤، حــسين حمــدي عبــدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٣-٤.

Bradley (H.): the coths from the earliest times to the end of cothic dominion in spain, London, 1887, p.318- 320. Deanesly (M.): A Hisotyr of Early Medieval Europe, London, 1956, p.29- 30.

Aguado Bleye: Historia de Espana, p.348- 349.

(٢) ابن حيان: المقتبس ٥/ ٢٧٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، طبعة دار الفكر ٤/ ١٤٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٢٧- ٢٢٨.

أصبح جزءاً لا يتجزأ من تاريخ طليطلة عاصمة البلاد ففي سنة ٥٨٩ م افتتح ريكاريدو بنفسه المجمع الديني الثالث الذي عرف بمجمع طليطلة الثالث وحضره اثنان وستون أسقفاً من إسبانيا وغالة وأربونة ووجه الملك القوطي رسالته في هذا المجمع بأن يتحول الشعب القوطي إلى الكاثوليكية، وأعلن إبطال مذهب أريوس. وشهدت المدينة الملكية أحداث العهد القوطي من خلافات بين ليوفيخيلدو (Leovigildo) وهو منخلدو (Hermenegildo) ومساوئ حكم فيتيريكو (Witerico) الذي قد اغتصب العرش وحاول إعادة الأريوسية، لكنه فشل وقام أهل طليطلة بثورة عليه وقتلوه سنة ٦١٠م وكذلك غيطشة (Witza)، وأقيم بها في هذا العصر كثير من البازيليكيات والكنائس: مثل كنيسة سانتا ماريا (Santa Maria) وسانتا ليوكاديا (Santa Leocadia) وسان بدرو (San Pedro) وازدهرت فيها العلوم والآداب.

وكان من أجل علمائها كوناثيو (Conancia) والقديس الدفنسو (Ildefenso) وأيوخينو الثالث (Eugenio III). واجتمعت في طليطلة المجالس العلمية الشهيرة، وأثرت في عهد القوط ثراء لم تشهده من قبل، يدل على ذلك عظم ما غنمه المسلمون عند فتحهم لها[١].

وهنالك بعض المعلومات عن طُليطلة زمن القوط قد أوردتها المصادر الإسلامية، نوردها هنا إنْ شاء الله ولها الفائدة، رغم عدم وضوحها وتفصيلها، وربّما الخلط أحياناً، قال ابن الأثير من خلال حديثه عن الملك القوطي لويد: **(... وهو أول من اتخذ طليطلة دار ملكٍ ونزلها ليكون متوسطاً لملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب)** [٢]. وعند حديث ابن حيّان عن الملك

---

[١] طرخان: دولة القوط الغربيين ص ١٠٦-١٠٧، حتاملة: أيبيريا ص ٢٣٩، ٢٤٢، سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥٢

. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 351

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٢١/٤.

القوطي فانبه[١] يقول: (**... كانت لدولتهِ غضارة وبهجة وهو الذي زيّن كنائس طليطلة، وأتقن بنيانها، ونقش الرخام على أبوابها**) [٢].

ملوك القوط الغربيين (Visigoth) في إسبانيا (الأندلس)

أوردت الروايات الإسلامية من خلال مصادرها، أسماء ملوك القوط الذين تداولوا على ملك الأندلس؛ لكن هذه الروايات فيها الكثير من الخلط والتناقض وخاصةً في لفظ أسماء الملوك، وفترة حكمهم، هذا قياساً مع بعضها البعض، وهناك اختلاف مع الروايات اللاتينية، الأجنبية المترجمة والمنقول عنها. وقد وجدتُ أنَّ رواية ابن الأثير هي أقرب الروايات للروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها، ثم تليها رواية العلامّة ابن خلدون والذي ينقل عنه بتصرّف القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، أمّا رواية ابن حيّان فهي قصيرة وفيها بعض الخلط، ولذلك سأعمل جدولاً يبيّن أسماءهم على مختلف الروايات وأقارنه مع الرواية اللاتينية/ الأجنبية والمنقول عنها مع بيان الفروق في لفظة الاسم وفترة الحكم الزمنية. أما عدّة ملوك القوط الغربيين (Visgoths) في إسبانيا؛ فقد أجمعت المصادر الإسلاميّة أن عدتّهم ستةٌ وثلاثون ملكاً، قال ابن حيّان: (**فوقع في تاريخ ا لعجم أنَّ عدة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس من عهد أتانا وبينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فليش القيصري لمضي أربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم إلى عهد لذريق أخرهم الذي ملك في السنة التاسعة**

---

[١] فأنبَه: ورد عند ابن الأثير: (بنيان) وكانت مدته ثمانية أعوام. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢١، وعند ابن خلدون: (قنتيان) وقال: وبنى الكنائس. ابن خلدون: العبر ٤/ ١٨٠، وورد عنده كذلك في الجزء الثاني: (مانيه) وقد حكم ثمانية أعوام، ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨٣، وعند القلقشندي: (بانيه) وقد حكم ثمانية أعوام. القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٤٠، على أن جميع هذه المصادر اتفقت على مدة حكمه وهي ثمانية أعوام. أما في الروايات الأجنبية فقد ورد اسمه: (وامبا) وقد حكم من سنة ٦٧٢–٦٨٠م، وهنا توافق تام بالفترة الزمنية ولفظة الاسم تقريباً.

[٢] ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٥.

والأربعين وسبعمائة من الصفر، وهو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولـــة القـــوط، ســـتة وثلاثون ملكـــاً) [1] وقال البكري: (وعدد من ملك منهم إلى آخرهم وهو لذريق ســـتة وثلاثونـــاً ملكاً)[2].

وقد اختلفت المصادر الإسلامية في مدة وجودهم في إسبانيا (الأندلس)، فعند ابن خلدون روايتان. الأولى: أنّهم أقاموا في بلاد الأندلس مئتين سنة، والثانية أنّهم أقاموا أربعمائة سنة. قال ابن خلدون: **(وكان القوط قد تملّكوه وغلبوا على أهلهِ لمئتين من السنين قبل الإسلام)** [3]. وقال في موضع آخر: **(وأقاموا كذلك نحواً من أربعمائة سنة إلى أنْ جاء الله بالإسلام والفـــتح)**[4]. وعند ابن حيّان أنّهم أقاموا في بلاد الأندلس ثلاثمائة واثنتانِ وأربعون سنة. قال ابن حيّان: **(وأنَّ مدة ملكهم بالأندلس ثلاثمائة واثنتانِ وأربعون سنة)** [5]، غير أنَّ ما ورد بـــالمراجع اللاتينيـــة والأجنبية المترجمة والمنقول عنها؛ يفيد بأنَّ دولة القوط في بلاد إسبانيا (الأندلس) قد بدأت فـــي عهد الملك القوطي أتولفَ، والذي تسميّه المصادر الإسلامية: (أطلوف[6] أدلوف)[7]، والذي خلف أخاه ألاريك، (ألريك)، وكان ذلك سنة ٤١٠م بعد أن كان ألاريك قد حاصر روما، ثـــم دخلهـــا واستباحها ثلاثة أيام، وكانت وفاة ألاريك في نهاية عام ٤١٠هـــ، بعد أن كان قد أعـــدّ أصـــولاً لغزو صقلية وافر يقيه، لكن الأسطول تحطّم وغرق الكثير من جيشه وقيل أنه كان ممن غرق،

---

(١) رواية ابن حيّان عند المقري: نفح الطيب ١/ ١٣٩.

(٢) الحِميْري: الروض المعطار، ص٣٤، صفة جزيرة الأندلس، ص٦، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٤١ نقلاً عـــن الحِميْري.

(٣) ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٤٦، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١م، المقري: النفح ١/ ١٤٧.

(٤) ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٤٦، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١م.

(٥) المقري: نفح الطيب ١/ ١٣٩ نقلاً عن ابن حيّان.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠– ١٢١.

(٧) ابن خلدون: العِبر ٢/ ٢٨١، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٩٨١م.

حيث خلفه أخوه أتولف الذي اتّفق مع الإمبراطور هونوريـوس علـى السـماح لـه ولـشعبه بالاستيطان غرب غاليا (منطقة أكتبانيا وهي المنطقة الممتدة من نهر اللوار حتى حدود البرانس، الجزيرة الإلبيرية، إسبانيا)، لكنّها كانت تسكنها شعوب من الوندال والسويفي، واللان، ثم ما لبثت أن ساءت العلاقات بين أتولف والقيصر الروماني بعد أن تزوج من أخت القيصر دون رضـاه، وحاصر الرومان شواطئ الغال، وقطعوا عنهم غلال القمح، فتوجه أتولف إلى إسبانيا وتـوفي هناك سنة ٤١٥م[١]. ومن هذا التاريخ سنة ٤١٥هـ كانت بداية دولة القوط في إسبانيا، والتـي انتهى عهدها سنة ٧١١م تقريباً بدخول العرب إليها فاتحين، وبذلك تكون مدتهم منذ دخولهم حتى بدايات الفتح ونهاية دولتهم ما يقرب من ثلاثمائة عام.

ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين (Visigoth) في إسبانيا (الأندلس) حسب الروايات الإسلامية. رواية ابن الأثير وهي الرواية الأكثر توافقاً مع الرواية اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[٢].

	اسم الملك القوطيّ	مدة حكمه بالسنوات
١.	لذريق	ثلاثة عشرة سنة
٢.	أقريط	
٣.	أماريق	
٤.	وغيش	

---

(١) للمزيد: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠– ١٢١ في خبر قصير، ابن خلدون: العبـر ٢/ ٢٨١– ٢٨٢ فـي خبر غير واضح تماماً فيه بعض الخلط.
عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٧٠، العدوي: المسلمون والجرمان، ص٢١– ٢٢، فرح: تـاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٨٧– ٨٨، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيـادة ٢/ ٣٩٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ١/١/٢٩.

(٢) هذه رواية ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠– ١٢١، وهي تتوافق مع الروايات اللاتينية والأجنبية، المترجمة والمنقول عنها في بعض الأسماء، وفتراتهم الزمنية لحكم القوط في الأندلس.

مدة حكمه بالسنوات	اسم الملك القوطيّ	
	ألريق[١]	٥.
ست سنين	أطلوف[٢]	٦.
ثلاث سنين	واليا[٣]	٧.
ثلاث وثلاثين سنة	بورداريش[٤]	٨.
	طرشمند	٩.
ثلاث عشرة سنة	لذريق[٥]	١٠.
سبع عشرة سنة	أوريق[٦]	١١.
ثلاث وعشرين سنة	الريق بطلوشة[٧]	١٢.
	عشليق	١٣.
سنتين	أمليق	١٤.
سبع عشر سنة وستة أشهر	توذيوش	١٥.
سنة وثلاثة أشهر	طودتقليس	١٦.
خمس سنين	أثلة	١٧.
خمس عشرة سنة	أطلنجة	١٨.
ثلاث سنين	ليوبا[٨]	١٩.
	لويلد	٢٠.
	ركرد	٢١.

(١) ألريق: وهو: (ألاريك، ألارك، ألرك Alaric)، وهنا توافق مع الرواية اللاتينية، الأجنبية وهو الذي قـاد القـوط وحاصر روما ودخلها سنة ٤١٠هـ، ثم توفي آخر العام. (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسـطى، ص٦٩، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٩، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسـطى، ص٩٣؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس ٢٨/١/١ Vasiliev: the Byzantine Empire, tomI, p.11

(٢) أطلوف: وهو أتولف، وهنا توافق كذلك حيث حكم ست سنين، وعلى الرواية الأجنبية كذلك (٤١٠– ٤١٥م).

(٣) واليا: وهنا توافق تام بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (٤١٥– ٤١٨م).

(٤) بورذاريش: وهو ثيودريك الأول: وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وثلاثين سنة، (٤١٩– ٤٥١م).

(٥) لذريق: وهو ثيودريك الثاني، وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث عشرة سنة (٤٥١– ٤٦٥م).

(٦) أوريق: وهو أيورك وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم سبع عشرة سنة (٤٦٦– ٢٨٣م).

(٧) الريق: وهو الرك الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وعشرين سنة (٤٨٣– ٥٠٦م).

(٨) ليوبا: وهو ليوفا الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (٦٠١–٦٠٣م).

	اسم الملك القوطيّ	مدة حكمه بالسنوات
٢٢.	ليوبا	
٢٣.	بتريق	
٢٤.	غندمار	سنتين
٢٥.	سيسيموط[١]	تسع سنين
٢٦.	ركريد[٢]	
٢٧.	شنتله[٣]	
٢٨.	شنند[٤]	خمس سنين
٢٩.	خنتله[٥]	ست سنين
٣٠.	خندس	أربع سنين
٣١.	بنبان[٦]	ثمان سنين
٣٢.	أروى[٧]	سبع سنين
٣٣.	أبقه[٨]	خمس عشرة سنة
٣٤.	غيطشة[٩]	كانت ولايته سنة ٢٧٧هـ
٣٥.	رذريق[١٠]	

(١) سيسموط: وهو سيسبوت وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم تسع سنين (٦١٢- ٦٢٠م).

(٢) ركريد: وهو ركاد الثاني، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه، وقد حكم (٦٢٠-٦٢١).

(٣) شنتله: وهو سونثيلا، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه وقد حكم (٦٢٠-٦٣١م).

(٤) شنند: وهو سيساند، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم خمس سنين (٦٣١- ٦٣٦م).

(٥) خنتله: وهو خنزيلا وهنا توافق بالأسم والفترة الزمنية تقريباً، إلاّ أن ابن الأثير ذكر أنه حكم ست سنين، وفي الروايات اللاتينية الأجنبية (٦٣٦- ٦٤٠م).

(٦) بنبان: وهو وامبا، وهنا توافق بالاسم والفترة تقريباً حيث حكم ثمان سنين (٦٧٢- ٦٨٠م).

(٧) أروى: وهو أريوج، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية، حيث حكم سبع سنين (٦٨٠- ٦٨٧م).

(٨) ابقه: وهو إجيكا وقد اختلف الاسم وتوافق الزمن، حكم خمس عشرة سنة (٦٨٧-٧٠١م).

(٩) غيطشة: وهو وترا (Wetza)، وقد حكم تسع سنين (٧٠١-٧١٠م).

(١٠) رذريق: وهو رودريك (Rodrigo) وهو آخر ملوك القوط الذي دخل المسلمون عليه.

أسماء ملوك القوط الغربيّين Visigoths في إسبانيا[1] حسب الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها.

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أتولف Ataùlfo	٤١٠م	٤١٥م
واليا، وسِجريكو (٤١٦م) Walia	٤١٥م	٤١٩م
ثيودريك الأول (تيودوريدو Teodoredo)	٤١٩م	٤٥١م
توريسموندو(Turismundo)	٤٥١م	٤٥٤م
ثيودريك الثاني (تيودوريك Teodoreco)	٤٥٤م	٤٦٥م
أيورك (يوريك Eurico)	٤٦٥م	٤٨٣م
ألرك الثاني (ألريكو AlaricoII)	٤٨٣م	٥٠٦م
خيساليكو (Gesaleico)	٥٠٦م	٥٠٩م
أمالاريكو وثيودريك (Amalarico , Teodreco)	٥٠٩م	٥٢٢م
أمالاريكو بمفرده (Amalarico)	٥٢٢م	٥٣١م
تيوديس (تيوديسيلو Teudis)	٥٣١م	٥٤٨م
ثيوديجزل (تيوديسيليو Teudiselo)	٥٤٨م	٥٤٩

---

(١) هذا ثبت بأسماء ملوك القوط في إسبانيا، من تاريخ خروجهم من روما سنة ٤١٠م بعد أن دخلوها واستباحوها، وحتى نهاية دولتهم على أيدي الفاتحين من أبطال المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م، وكانت طليطلة حتى عهد رودريك هي عاصمتهم ودار ملكهم. للمزيد: (حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٢ –٢٥٥، طرخان: دولة القوط الغربيين ص ١٣٦–١٣٩،عاشور: تاريخ العصور الوسطى ص٧٠، ٧١، ٦٦٨، الشيخ: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٩٣– ٩٧، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٨– ٢٩، العدوي: المسلمون والجرمان، ص١٩– ٢٣، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٥– ٨٩، عمران، محمد سعيد عمران: معالم تاريخ العصور الوسطى، ص٣٢٦، أرسلان، شكيب أرسلان: الحلل السندسية ١/ ١٧٧، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ٢/ ٣٩٢– ٣٩٦.

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83-114
. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 338-355

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أجيلا (أخيلا Agila)	٥٤٩م	٥٥٤م
أثانا جلدا (أثانا خيلدو Atanagildo)	٥٥٤م	٥٦٧م
ليوفا الأول (لوفا Liuva)	٥٦٧م	٥٧٢م
ليونيجلدو (ليوفيخيلدو Leovigildo)	٥٧٢	٥٨٦م
ركارد الأول (ريكاريدو Recarad)	٥٨٦م	٦٠١م
ليوفا الثاني (Liuva II)	٦٠١م	٦٠٣م
وتريخ (فيتيريكو Viterico)	٦٠٣م	٦١٠م
جوندمار (غونديمارو Gundemaro)	٦١٠م	٦١٢م
سيسيبوتو (Sisebuto)	٦١٢م	٦٢٠م
ركادوالثاني (ريكاريدو الثانيRecaradoII)	٦٢٠م	٦٢١م
سونتيلا (Suintiala)	٦٢١م	٦٣١م
سيسناندو(Sisenado)	٦٣١م	٦٣٦م
خنزيلا (كنتيلا Khintila)	٦٣٦م	٦٤٠م
تولجا (Tulga)	٦٤٠م	٦٤١م
خندا شفنتو(Khindasvinto)	٦٤١م	٦٥٢م
ريثيسفنتو(Rececvinto)	٦٥٢م	٦٧٢م
وامبا (Vamba)	٦٧٢م	٦٨٠م
ارفيخيو(Ervigio)	٦٨٠م	٦٨٧م
إجيكا (أخيكا Egica)	٦٨٧م	٧٠١م
وتزا (غيطشة Witiza)	٧٠١م	٧٠٩م
رودريك (لذريق Lodrigo)	٧٠٩م	٧١١م

ثبت بأسماء ملوك الغربييّن Visigoth حسب ما ورد في الروايات الإسلامية مقارنةً بالروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[١].

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
لذريق	١٣	أطفانش		أطفالش		أتولف	٤١٠م	٤١٥م
أقريط		طشريك		طشريك		واليا، وسجرريكو (٤١٦م)	٤١٥م	٤١٨م
أماريق		ماسته	٣	تالبه	٣	ثيودريك الأول	٤١٩م	٤٥١م
وغيش		لذريق	١٣	لُذريق	١٣	ثيودريك الثاني	٤٥١م	٤٦٥م
ألريق		طورديق		ورقيش	١٧	أيورك	٤٦٦م	٤٨٣م
أطلوف	٦	أدلوف	١٧	الريك	٢٣	ألرك الثاني	٤٨٣م	٥٠٦م
واليا	٣	الديك	٢٣	اشتريك بن طودريك	٥	أمالرك وثيودريك	٥٠٦م	٥٢٢م
بورزادريش	٣٣	طورديك		بشليقش	٤	أمالرك بمفرده	٥٢٢م	٥٣١م
طرشمند		أشتريك	٥	طودريق	١٦	ثيوديس	٥٣١م	٥٤٨م
لذريق	١٣	بشليقش	٤	أملريق	٥	ثيوديجزل	٥٤٨م	٥٤٩م
أوريق	١٧	طودريق	١٣	طودش	١٣	أجيلا	٥٤٩م	٥٥٤م
الريق ببطلوشه	٢٣	طودشكل	٢	طود شكل	٢	أنانا جلدا	٥٥٤م	٥٦٧م
عشليق		أيله	٥	أيله	٥	ليوفا الأول	٥٦٧م	٥٧٢م
أمليق	٢	طنجاد	١٥	طنجاد	١٥	ليونيجلدا	٥٧٠م	٥٨٦م
توديوش	١٧ وستة أشهر	لُيولَه	١	ليوبة	١	ركارد الأول	٥٨٦م	٦٠١م

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠- ١٢١، وروايته أقرب الروايات الإسلامية إلى الروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها في المراجع العربيّة، ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨٠- ٢٨٣، طبعة دار الفكر، ١٩٨١م، وفيها كثير من الخلط، ١٨٠/٤ نقلاً عن ابن حيان حيث ذكر أنّ أولهم شنتيلة وقد ذكر منهم ثمانية ملوك فقط، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٣٨- ٢٤١، وربّما كان ينقل عن ابن خلدون للتوافق الكبير، ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٤- ٢٧٦.

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
طودتقلس	سنة وثلاثة أشهر	لوبليذة	١٨	لوبيلذة	١٨	ليوفا الثاني	٦٠١م	٦٠٣م
أثله	٥	زدريق	١٦	رُذريق	١٦	وتريخ	٦٠٣م	٦١٠م
أطلنجه	١٥	لُيبوبة	٢	ليوبه	٢	جوندمار	٦١٠م	٦١٢م
ليوبا	٣	تبديقا عندمار	٢	بتريق	٧	سيسيبوت	٦١٢م	٦٢٠م
لويلد		شيشوط	٨	عندمار	٢	ركاد الثاني	٦٢٠م	٦٢١م
ركرد		زدريق	٣ أشهر	شيشوط	٨	سونثيلا	٦٢١م	٦٣١م
ليوبا		شتله	٣	رذريق	ثلاثة أشهر	سيسناند	٦٣١م	٦٣٦م
بتريق		سنشادش	٥	شنتله	٣	خنزيلا	٦٣٦م	٦٤٠م
عندمار	٢	خنشوند	٧	ششنادش	٥	تولجا	٦٤٠م	٦٤١م
سيسموط	٩	جنشوند	٢٣	خَنشوند	٧	خندا رونت	٦٤١م	٦٥٢م
ركريد		مانيه	٨	جنشوند	٢٣	ركونث	٦٥٢م	٦٧٢م
شنتله		لوري	٨	بانيه	٨	واميا	٦٧٢م	٦٨٠م
شنند	٥	أيقه	١٦	لورى	٨	إرويج	٦٨٠م	٦٨٧م
خنتله	٦	عطسة	١٤	أيقه	١٦	إجيكا	٦٨٧م	٧٠١م
حندس	٤	زدريق	٢	غطسه	١٤	وترا	٧٠١م	٧١٠م
بنبان	٨			لذريق	٢	رودريك	٧١٠م	٧١١م
أروى	٧							
أبقه	١٥							
غيطشه	١٥							
رذريق								

الفصل الثاني

الباب الأول

طُلَيْطُلَة من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس (٩٣هـ/ ٧١١م- ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)

فتح طُلَيْطُلَة ٩٣هــ/ ٧١١م

طُلَيْطُلَة في عهد الولاة

(٩٥هــ/ ٧١٤م- ١٣٨هــ/ ٧٥٦م)

طُلَيْطُلَة في عهد الإمارة (١٣٨هــ/ ٧٥٦م- ٣٠٠هــ/ ٩١٢م)

- عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (١٣٨هــ/ ٧٥٥م- ١٧٢هــ/ ٧٨٨م)
- عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الرضي (١٧٢هــ/ ٧٨٨م- ١٨٠هــ/ ٧٩٦م).
- عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي (١٨٠هــ/ ٧٩٦م- ٢٠٦هــ/ ٨٢٢م)
- عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦هــ/ ٨٢٢م- ٢٣٨هــ/ ٨٥٢م).
- عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هــ/ ٨٥٢م- ٢٧٣هــ/ ٨٨٦م).
- عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٣هــ/ ٨٨٦م- ٢٧٥هــ/ ٨٨٨م).
- عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥هــ/ ٨٨٨م- ٣٠٠هــ/ ٩١٢م).

طُليْطُلة من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس

(٩٣هـ/ ٧١١م- ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)

فتح طُليطلة

أجمعت المصادر التاريخيّة على أنّ الملك غيطشه (Witiza) (٧٠١- ٧٠٩م) كان يحكم طُليطلة قُبيل الفتح الإسلامي، والذي استولى لُذريق (Rodrigo) على الحكم بعد وفاته، وفي عهد لذريق هذا كان دخول طارق بن زياد إلى بلاد الأندلس عامةً وطُليطلة خاصةً، ولذريق لم يكن من أبناء الملوك لكنه اغتصب الحكم من أبناء الملك غيطشة لحداثةِ سنّهم آنذاك، وقد استمال طائفةً من الرجال مالوا إليه وساعدوه على انتزاع الحكم، ولذريق هو آخر ملوك القوط في بلاد الأندلس، وفي عهده كانت طليطلة ما زالت عاصمتهم ودار ملكهم[١]. والآن نسوق خبر دخول طليطلة كما أوردته المصادر التاريخيّة: قال المقري: **(قال الرّازي:... وقال يليان لطارق: قد فضت جيوش القوم ورعبوا، فاصمد لبيضتهم، وهؤلاء أدلّاء من أصحابي مَهَرة، ففرّق جيوشك معهم في جهات البلاد، واعمد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم، فاشْغِل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلى أولي رأيهم، فَفرّق طارق جيوشه من استجه،... وسار هو في معظم الناس إلى كورة جيّان يزيدُ طُليطلة...)**[٢]. بعد أنْ فتح الله معظم البلادُ على المسلمين، وانتصر المسلمون بقيادة طارق بن زياد على لذريق وشرذمته في معركة وادي لكة؛ أشار عليه يُليان

---

(١) ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٩-٣٠، طبعة دار الكتاب اللبناني من تحقيق إبراهيم الأنباري، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/٤-٧، ابن خلدون: العِبر ٤/١٤٠- ١٤٢، طبعة دار الكتب العلمية، ابن الأثير: الكامل ٤/١٢١- ١٢٢، عبدالواحد المراكشي: المعجب، ص٢٠- ٢١، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص٦-٨، المقري:نفح الطيب ١/٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) المقري: نفح الطيب ١/ ٢٦٠- ٢٦١.

النصراني سابق الذكر من خلال حديثنا عن فتح الأندلس؛ بأن يقصد العاصمة طليطلة قبـــل أن يدركوا بعضهم، ويجتمعُ رأيهم، حيث قصدها طارق بنفسه مع جيشه.

قال ابن حيّان بهذا الشأن: **(وانتهى طارق إلى طُليطُلة دارِ مملكة القوط، فألفاها خاليةً قد فرّ أهلها عنها، ولجأوا إلى مدينةٍ بها خلف الجبل، فضمَّ اليهود إلى طُليطلة، وخلّف بها رجالاً من أصحابه ومضى خلف من فرَّ من أهل طُليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمّي به بعد، فبلغ مدينة المائدة[1]، وهي المنسوبة لسليمان بن داوود عليهما السلام ... ثم مضى إلى المدينة التي تحصّنوا فيها خلف الجبل، فأصاب بها حُليّاً ومالاً، ورجع ولم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين (٩٣هـ/ ٧١١م). وقيل أنه لم يرجع، بل اقتحم جليقيّة واخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقه، فدوّخ الجهة، وانصرف إلـــى طليطلـــة، والله أعلم)**[2].

---

(١) تقع مدينة المائدة على مقربة من قلعة عبدالسلام، وقلعة عبدالـــسلام تعـــرف اليـــوم بقلعـــة هنـــارس (Al.calã Henares) (ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٨٢، الحاشية رقم١، حسين: حمدي عبـــدالمنعم حـــسين: أضـــواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٧.

(٢) المقري: نفح الطيب نقلاً عن ابن حيّان ١/٢٦٤– ٢٦٥، وللمزيد انظر: ابن عذارى: البيان المُغرب ١٢/٢، ابـــن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣٥، طبعة دار الكتاب اللبناني من تحقيق إبراهيم الأبيـــاري، الحِميْـــري: صـــفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢– ١٣٤، الروض المعطار، ص٣٩٤، ابن الأثير: الكامل فـــي التـــاريخ ١٢٣/٤، ١٢٨، الطبري: تاريخ الأمم ٤/ ٤٨١، ابن الخطيب: الإحاطة ١/١٨– ١٩، اللمحة البدريّة ص٢٥–٢٦، مجهول: أخبـــار مجموعة ص١٩–٢٠، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب والأندلس ص٧٥، ابن الآبار: الحلة الـــسيراء ٣٣٤/٢، مؤنس: فجر الأندلس ص٧٨– ٧٩، عنان: دولة الإسلام في الأنـــدلس القـــسم/١، ص٥٠–٥١، الحجـــي: التـــاريخ الأندلسي ص٦٤– ٦٥، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص٨٣، في تـــاريخ وحـــضارة الإســـلام فـــي الأندلس ص٥٢، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ص٧–٨.

Saavedra (Edourdo): Estudios Sobre la invasion de los Arbes, p8-80, Léviprovencal: Histoire de l'Espange Musulmone, 3vols Leiden, 1950, p.23.

وكان الجيش الذي فتح مرسية (Murcia) تُدمير (tudmir) ودخلها صلحاً قد كتب بالفتح لطارق بن زياد، ونهض معظمهم إلى الأمير طارق بن زياد لفتح طُليطلة[١].

وقد وجد المسلمون بالمدينة التي خَلْف الجبل والتي تحصّن بها الفارّونَ من طُليطلة، دخائر كثيرةً تفوق الوصف كثرةً، ومنها: (**ألف سيف مجوهر ملوكي، مائةٌ وسبعون تاجاً مرصعةٌ بالدرّ، وأصناف الحجارة الثمينية، ووجد بها من الدرّ والياقوت أكيالاً وأوساقاً، ومن آنية الذهب والفضة وأنواعها ما لا يحيط به وصف، ووجد بها مائدة سليمان بن داوود، وكانت فيما يذكر من زمردّة، وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة**)[٢]. وبشأن هذه المائدة يقول ابن حيّان: (**وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة إلى سليمان النبيّ عليه الصلاة والسلام لم تكن له فميا يزعم رواة العجم، وإنمّا أصلها أنَّ العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسنة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتع عندهم ذلك المال صاغوا منهُ الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضّة، تحمل الشمامسه والقسوس فوقها مصاحف الآناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها، فكانت تلك المائدة بطليطلة ما صيغ في هذا السبيل، وتأنقت الأملاك في تفخيمها، يزيد الآخر منهم فيها على الأُول: حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر مطاره عنها، وكانت مصنوعةً من خالص الذهب، مرصّعةً بفاخر الدرّ والياقوت والزمرّد، لم تَرَ الأعين مثلها وبولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة، وأنّهُ لا ينبغي أن تكون بموضع آخر آلة**

---

(١) المقري: نفح الطيب ١/ ٢٦٤.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص٥٥١- ٥٥٢، الحِميْري: الروض المعطار، ص٣٩٣، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣١، القزويني: آثار البلاد، ص٥٤٧، المقري: نفح الطيب ٢٨٩/١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٢٨/٤ في خبر قصير.

جمال أو متاع مباهاةٍ إلا دون ما يكون فيها، وكانت توضع على مذبح كنيسة طُليطلة، فأصابها المسلمون هناك، وطار النبأ الفخم عنها،...)[1].

وقال ابن خلكان: **(إنَّ المائدة مصنوعة من الذهب والفضة، وكان عليها طـوق لؤلـؤ وطـوق يـاقوت وطـوق زمـرّد، وكلّهـا مكللّـةً بـالجواهر)**[2]. وقـال الحِمْيـري: **(... وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رِجْلاً)** [3].

وعند القزويني: **(فلم يُمكن نقلها لعظمها، فأمر الوليد أن يضرب منهـا حلـي الكعبـه وميزانها ففعل)**[4] وهو من تفرّ وحده بهذا الخبر، ثم أن موسى بن نُصير عندما وصل الشام قيل بأن الوليد كان على فراش الموت، وقيل وجد ميتاً، وهذا الخبر غريب مستبعد والله أعلم.

وبطليطلة بعد أن التقى موسى بن نُصير بطارق بن زياد سنة ٩٣هـ، ضـرب عُمْلَـةً إسلامية[5]، وفي أواخر عام ٩٥هـ/ ٧١٤م عاد موسى بن نصير إلى الشام، وولَّى ابنـه عبـد العزيز والٍ على الأندلس فاتخذ إشبيلية حاضرةً له، وعندما ولي أيـوب بـن حبيـب اللخمـي

---

(١) الحِمْيري: الروض المعطار، ص٣٩٣- ٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣١- ١٣٢، المقـري: نفـح الطيـب ٢٧١/١- ٢٧٢ وكلاهما ينقل عن ابن حيّان، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص١٤٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤١١/٤.

(٣) الحِمْيري: الروض المعطار، ص٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢، ابن القوطية: تـاريخ افتتـاح الأنـدلس، ص١٨٥، طبعة دار النشر للجامعيين من تحقيق أنيس الطباع.

(٤) القزويني: آثار البلاد، ص٥٤٧.

(٥) مؤنس: فجر الأندلس ص١٠١، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٩٩، حسين، حمـدي عبـدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص١٠.

Saavedra (Edourdo): Estudios sobre la invasion de los Arbes, p106, Lévi provencal: Histoire de l'Espange Musulmone, 3 vols, p.27.

الأندلس؛ نقل سلطان حكمه من إشبيلية إلى قرطبة وبذلك فقدت طُليطلة مكانتها السياسية كعاصمةٍ لإدارة حكم ولاة الأندلس، بعد أن كانت دار ملك للروم والقوط[١].

طُليطلة في عهد الولاة

(٩٥هـ/٧١٤م)- (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)

أسلفنا بأن طُليطلة في بداية عصر الولاة، فقدت مكانتها السياسيّة كعاصمةٍ ومركزٍ لإدارة الولاة، وذلك بانتقال مقر الوالي منها إلى إشبيلية، ثم إلى قرطبة التي أصبحت فيما بعد حاضرة الخلافة الإسلامية، وعاصمة ومركز الخلافة الأموية حتى سنة ٤٠٠هـ، وقيام الفتنة البربريّة. وبطبيعة الحال كون طُليطلة كانت عاصمةً للقوط ومن قبلهم للرومان ومركزاً لبلاد الأندلس؛ فكانت تضمُّ طائفةً من المستعربين والمولدين[٢] واليهود الذين ضمّهم طارق بن زياد لها عندما فتحها وألفاها خالية، ولذلك كانت طُليطلة مزيجاً من العناصر المختلفة، (العرب المسلمون، البربر الفاتحون، الرومان، القوط)، فقد اختلفت الأديان، والعادات والتقاليد[٣]، وقد كان لموقعِ طُليطلة الاستراتيجي، حيث المنعة ووقوعها على نهر التاجه، وعلّو سورها؛ الأثر البالغ الكبير

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢٤/٢، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦، طبعة دار النشر للجامعيين، مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٩، المقري: نفح الطيب ١/ ٢٧٦، ١٤/٣، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٠٠– ١٠٦، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص٢٩/١، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥٣.

(٢) هم أفراد الشعب الإسباني الذين خضعوا للعرب المسلمين بعد الفتح وهم العنصر الغالب، احتفظوا بدينهم وعاداتهم، ولم يكن ولاءهم للحكومة المركزية قوياً، وكان لهم دوراً سلبياً في الثورات المتعاقبة في طُليطلة، والتحريض للاستقلال عن مركز الخلافة قرطبة.

(٣) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥٤، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طُليطلة، ص١٢.

في الثورات المتتالية التي بدأت من عصر الولاة، فكان لأهل طُليطلة حركات ثوريّة لم تنتهـي وكما سنبيّن لاحقاً إلاّ بعد أن أخمدها عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠- ٣٥٠هـ)، فكان أهل طُليطلة يميلون للانفصال عن مركز الحكم (قرطبة) واستقلالهم بحكم ذاتي. ولو عدنا إلى الوراء وكما أسلفنا؛ فقد كانت طُليطلة كثيرة الثورات حتى عندما دخلوها الرومان، فسبحان الله، فقد قدّر لهذا البلد أن تبقى نار الفتن والثورات مشتعلةٌ فيه حتى سقوطها بيد القشتاليين سنة ٤٧٨هـ.

لقد استغلَّ المولدون والبربر الموقع الاستراتيجي لجغرافيـة المنطقـة لإدارة ثـوراتهم، وإشعال فتيلها ضد القيادة الإسلامية للبلاد في قرطبة، آخذين بالاعتبار صعوبة الوصول إلـيهم. فهي تقع على صخرةٍ عالية عند منحنى نهر تاجه، قنطرتها عظيمة البنيان، علوّ سورها، ومـن أراد مهاجمتها لا بدّ له أن يعبر جبال قشتاله القاحلة في الشمال وإقليمي الاسترامادورا والمنـشا القاحلين الموحشين في الغرب والجنوب. فوصول الجيوش لهم أمر ليس سهلاً، وبحاجـةٍ إلـى الجهد والوقت، وهذا ما ساعد على قيام الثورات على مدى تاريخها. وقد برز دور طليطلة خلال عصر الولاة بادئ الأمر من خلال ثورات البربر، وكان لثورة البربر في المغرب العربي صدى في الأندلس، لأنهم يعتقدون بأنّهم هم أصحاب الفتح وهم أحق من العرب في المناصب، وعندما قامت ثورة البربر في المغرب ووصل الخبر للخليفة هشام بن عبدالملك فعـزل عُبيـد الله بـن الحباب عن إفريقية، وولّى عليها كلثوم ابن عياض القشيري، ووجه معه جيشاً لمواجهة قـوات البربر سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠- ٧٤١م، وكان عدد الجيش الذي توجه مع كلثوم مع ما انضم إليـه من جيوش البلاد التي صار عليها (سبعون ألفاً)، لكن هذا الجيش انهزم أمام البربـر، وجُـرح كلثوم، وقيل أنه قتل، حيث انتهوا إلى سبته ولاذوا بها وكان بلج بن بشر برفقة كلثوم مع من فلَّ من عرب الشام. وبقي هذا الجيش محاصراً في سبته (Ceuta)، وطلبوا النجـدة مـن عـرب الأندلس، وكان الوالي عبدالملك بن قطن الفهري، فلم ينجدهم، وكان السبب في ذلك أنه حجازي

شهد معركة الحرّة سنة ٦٣هـ/٦٨٣م؛ وما ارتكبه الشاميون في زمن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بأهل المدينة، فكان لذلك يبغض أهل الشام.

لكن عبدالملك بن قطن الفهري عندما ثاروا عليه البربر في الأندلس، عندما علموا بثورة أهل المغرب؛ كتب يستغيث ببشر بن بلج ومن معه من الشاميين، وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت حسب ما روى لنا المقري، فأسرعوا إلى إجابته لما لحقهم من الجوع وسوء الحال، وهم عُراة لا يواريهم إلا دوابهم، وقد بلغ الجهد غايته، فأحسن إليهم، وأسبغ النعم عليهم، وكساهم على قدر أقدارهم، وكانوا نحو عشرة آلاف، وشرط عليهم عبدالملك بن قطن أن يخرجوا له عن الأندلس عائدين إلى افريقية بعد فراغهم من قتال البربر، وطلب ابن قطن من بلج رهائن جعلهم بجزيرة أم حكيم، ونزل بلج وأصحابه بالجزيرة الخضراء سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٦م، والتقوا بعبد الملك بن قطن، وكان جَمْعُ البربرِ بشذونه، عليهم قائد من زناته، حيث قاتلهم عبدالملك بن قطن في وادي الفتح من شذونه، فأبادهم العرب وكانت الهزيمة على البربر، وأصاب العرب الذخائر والغنائم، ثم نهضوا مع عبدالملك إلى قرطبة ثم ساروا إلى طليطلة، وكان معظم جيش البربر هناك، ودارت المعركة، فكانت هزيمة البربر العظمى بوادي سليط من حَوْز طليطلة، وقتلوا منهم آلافاً. وبعد أن انتهت مهمة بلج وأصحابه مع ابن قطن طالب ابن قطن بلج ومن معه بالخروج من الأندلس على ما اتفقوا عليه بادئ الأمر، فطلب بلج من عبدالملك أن يحمله إلى ساحل إلبيرة أو ساحل تدمير، فقال له عبدالملك ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة الخضراء (Algeciras)، فقال له بشر أتريد ردّنا إلى البربر حتى يقتلوننا، فدخل بشر ومن معه على قصر قرطبة، وأخرجوا منه عبدالملك بن قطن، ودخل بشر القصر عيشة يوم الأربعاء صدر ذي القعدة من سنة ١٢٣هـ؛ وكان قد مات رجل من غسان من الرجال الذين أُخذوا رهائن بادئ الأمر، وكان من أشراف دمشق، فطلب الجند من بشر أن يعطيهم عبدالملك بن قطن في الرجل

الغساني، فتوقف بلج، وثارت اليمنية كلها، وكان ابن قطن شيخاً هرماً قد بلغ التسعين، فأخرجه الجند من داره، فقتلوه وصلبوه، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن شماله كلباً. أمّا أبناء عبدالملك بن قطن وهم قطن وأمية، فقد ثاروا على بلج بن بشر وجاءوا إلى بشر طالبين الثأر بمائة ألف ونيّف، فخرج لهم بشر بأعداد أقل من خمس عددهم، فكانت الغلبة لبشر الذي مات إثر جراحه[1].

هذا موجزٌ عن أحداث ثورة البربر الأولى في الأندلس، وقد كان لطليطلة دوراً هاماً إذ كان أكبر تجمّع للبربر الثائرين ضد الوالي العربي ابن قطن في طليطلة. ولم تَنْجُ طليطلة بعد هذه الحادثة من أحداث جديدة على الساحة الأندلسية؛ صراع القيسيّة واليمنيّة، ومَقْدِم الأمير عبد الرحمن بن معاوية، لأن مصير طليطلة قد ارتبط حتمياً بمصير باقي مدن الأندلس الخاضعة للحكم الإسلامي ومنذ الفتح الإسلامي.

---

(1) للمزيد عن هذه الأحداث: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٣٠- ٣٢، ابن الأثير: الكامل ٤/ ٢٤٩- ٢٥١، المقري: نفح الطيب، ٣/ ١٨-٢٢، مجهول: أخبار مجموعة ص٣٤- ٣٩، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ص٢٢٠- ٢٢١، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٥، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٢- ١٥٣، طبعة دار الفكر، ١٩٨١م، سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٥٤- ١٥٩، المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ص ٣٠٥- ٣١٢، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندس، ١/ ٣٥- ٣٦، فكري: قرطبة تاريخ وحضارة ١٦- ١٧، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/١، ص ١١٩- ١٢٥، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص١٢- ١٦، مؤنس: ثورات البربر في افريقية والأندلس بين سنتي ١٠٢- ١٣٦هـ/ ٧٢١-٧٥٣م، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد العاشر، المجلد/١، ١٩٤٨م، ص٥٤- ٥٥.

Dozy (R.): Histoire des Musulmanes d'Espange, Leiden, 1932, Vol, 1, p.47.

عهد الإمارة الأموية (١٣٨هـ/ ٧٥٥م- ٣٠٠/ ٩١٢م)

عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨هـ/٧٥٥م- ١٧٢هـ-٧٨٨م)

بدأ عهدُ الإمارة الأموية في بلاد الأندلس بدخول الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، وذلك عقب انقراض الدولة الأموية في بلاد المشرق على يد بني العباس. وكان لطليطلة كواحدة من البلاد الأندلسية دوراً هاماً بقيادة التمرّد ضد الأمير الأموي، وذلك عندما فرّ يوسف الفهري ليستنفر عترته من الفهريين فيها، كما سنتحدّث لاحقاً.

عندما دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، بعد أن مهدّ له مولاه بدر الأمور مع الموالي المروانيّة؛ كان والي الأندلس يوسف الفهري وصاحبه الصُميل عائدين من ثغر سرقسطة، لإخماد ثورة الحباب الزهري، حيث قبض يوسف عليه وعلى عامر العبدري، وعندما وصل يوسف الفهري بوادي الرمل بمقربةٍ من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصميل؛ إذ جاءه رسول يركضُ من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف الفهري يخبره بنزول الأمير عبد الرحمن بساحل جند دمشق، واجتماع المروانية إليه، فسار يوسف الفهري إلى قرطبة للاستعداد لملاقاة عبد الرحمن الداخل، أما الأمير عبد الرحمن فقد سار إلى إشبيلية (Sevilla)، بعد أن أخذ البيعة في كورة ريّة، حيث بايعه فيها عاملها عيسى بن مساور، ثم بايعه غياث بن علقمة عامل شذونه، ثم أتى مورور (Moron) فبايعه عاملها إبراهيم بن شجرة، وكانت نفوس أهل اليمن حنقةً على الصُميل والمضرية، وفي إشبيلية تلقى عبد الرحمن ومن معه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليَحْصُبي، فاجتمع الرأي على أن يقصدوا به دار الإمارة قرطبة، وسار الفهري يوسف من قرطبة، وابن معاوية على برّ إشبيلية، فتساير والنهر بينهما،

حتى وصل يوسف ومن معه إلى موضع بصحراء المصارة غربي قرطبة، وعبد الرحمن في مقابلته، وتراسلا للصلح، ويوسف الفهري يعد الطعام وابن معاويه آخذاً خلاف ذلك بالخديعة، حيث أعدّ نفسه للحرب، وأوهم يوسف أن الصلح قد أُبرم، وَعَبَرَ عبد الرحمن ليلة الأضحى مع جيوشه ونشب القتال بينهما، إلى أن ارتفع النهار، فكانت الغلبة للأمير عبد الرحمن بن معاويه، وانهزم يوسف الفهري فأتى مارده، أما الصميل فقد فرّ إلى شؤذر من كورة جيّان، ودخل عبد الرحمن الداخل ومن معه قرطبة، ودخل قصر الإمارة يوم الجمعة العاشر من ذي الحجّة من سنة ١٣٨هـ/ الرابع عشر من مايو سنة ٧٥٦م، وأقام الأمير عبد الرحمن الداخل بظاهر قرطبة ثلاثة أيام، وأخرج حشم يوسف وعياله، وأحسن إليهم، ثم لحق بيوسف الفهري، واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان، ونهض في طلب يوسف، فوقع يوسف الفهري على خبره، وعلم أنّه سارٍ في طلبه، فخالفه إلى قرطبة ودخل القصر، أما أبا عثمان خليفة عبد الرحمن الداخل؛ فقد تحصّن في صومعةٍ هو ومن معه، فاستنزله بالآمان، ولم يزل عنده إلى أن عقد الصلح بينه وبين الأمير عبد الرحمن.

وبعد أن دخل يوسف الفهري القصر أخذ أهله وماله ولحق بمدينة إلبيرة، أما عبد الرحمن الداخل فقد كرّ عائداً إلى قرطبة، عندما علم بدخول يوسف إليها، ولم يجده، فسار إلى إلبيرة، وتراسلا في الصلح فتم الصلح بين الأمير عبد الرحمن من جهة وبين يوسف والصميل الذي لحق به من شؤذ من جهةْ أخرى، على أن ينزل يوسف الفهري ومن معه بأمان وأن يسكن بلاط الحر، فمنزله بشرقي قرطبة، وأن يخلي بينه وبين أمواله أينما كانت، على أن يختلف إلى الأمير عبد الرحمن في كل يوم ليرى وجههُ، وأخذ عبد الرحمن منهُ ولده **(أبا الأسود محمد بن يوسف)** رهينة، وكان ابن يوسف الفهري الآخر عبد الرحمن أيضاً أسيراً عند الأمير عبد الرحمن يوم وقعة المصارة سنة ١٣٨هـ، وكان هذا الصلح في صفر من سنة ١٣٩هـ. وعند ابن الأثير أن

يوسف الفهري عندما دخل قرطبة مع الأمير بعد الصلح تمثّل قول حُرَقَة بنت النعمان بن المنذر [الطويل]:

فبينا نسوسُ الناسَ والأمــرُ أمرنــا   إذا نحــنُ فــيهم ســوقَةٌ نتــصّفُ

لكن يوسف الفهري لم يقنع بالعيش دون سلطان، فنكث العهد سنة ١٤١هـ، فهرب مــن قرطبة، وكانت قد اضطربت به الحال في قرطبة، ودُسَ له قومٌ قاموا عليه في أملاكه زعموا أنه أخذها منهم غصباً، فإذا رُفع الأمر إلى الأمير لا يقم الحُجَّةَ له، فاشتد توحشه، وخرج إلى جهــة ماردة واجتمع إليه أهل الشتات والنفاق والفرقة عشرون ألفاً وكانوا من العرب والبربر، وعندما علم الأمير بذلك قبض على الصُّميل وسجنه كونه المدبر ليوسف، وألقى كذلك في السجن معــه ابني يوسف أبا الأسود محمد و عبد الرحمن اللذين كانا رهينةً عنده كما شُرط في عقد الــصلح سنة ١٣٩هــ بألبيرة (Elvira). وتقدم يوسف ومن معه من مــاردة (Merida) إلــى لقنــت (Alicante) حيث انضم إليه معظم أهلها وقصد إشبيلية وكان واليها من قِبل الأمير عبد الرحمن أحد أقاربه وهو عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم وهو من الذين فرّوا من بطش العباسيين، وحاصر إشبيلية، ثم زحف إلى قرطبة، وخرج الأمير عبد الرحمن مع الحــشود مــن العــرب الشاميين الذين قدموا لنصرة الأمير الأموي، وسار عبد الله بن عبدالملك بن عمر بجند مــورور (Moron) لفك الحصار عن أبيه في إشبيلية، فلما علم يوسف بتحركات عبد الرحمن من قرطبة؛ و عبدالملك بن عمر وابنه عبد الله بن عمر من الشمال؛ قرر مهاجمة كلَّ جيشٍ على حده، فهاجم جيش عبدالملك وابنه، وكانت الهزيمة على يوسف ومن معهُ، وانهزم يوسف مع بعض أقاربــه إلى مدينة طليطلة (Toledo)، وقُتل معظم جيشهِ، فلقيه على بُعد عشرة أميال من طليطلة فــي قرية من قُراها عبد الله بن عمر الأنصاري فعرفه وقال لأصحابه: (**هذا الفهري يفرّ، قد ضاقت عليه الأرض وقَتْلُهُ الراحة له، والراحة منهُ، فقتله** **واحتزَّ رأسه وقدم به إلى عبد الــرحمن**

الداخل في قرطبة) وكان ذلك سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩- ٧٦٠م، وعجّل عبد الرحمن بن معاويه بقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري أبا زيد، وأبقى على أخيه أبا الأسود لصغر سنّه، وقد وضع رأسيهما على قناتين مشهرين إلى باب القصر بقرطبة، أما الصُّميل فقد خنق في سجنه، ثم دُفع إلى قومه من مضرٍ فدفنوهُ، وقيل وجد عنده كأساً ولما دخلو عليه مشيخة المضرية قالوا: **(يا أبا جوشن قد علمنا أنك لم تشرب ولكن سُقيت)** وهناك اختلاف في قتل يوسف كذلك؛ فقيل أيضاً أن أحد أصحابه الذين فرّوا معه قتله، وقيل قتله والي طليطلة ميمون بن سعد وكان بربرياً. هذا هو رأي ابن الآبار في التكملة الترجمة رقم ٨٥١، ص٣٥١. هذا موجز لأحداث دخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس من سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م وحتى نهاية الفهري ١٤٢هـ/ ٧٥٩-٧٦٠م، وهو تمهيد للحديث عن طليطلة وثوراتها المتتالية خلال عهد الإمارة وقد نقلتُ نقلاً بتصرف عن كلاً من ابن الأثير، ابن خلدون، ابن عذارى، النويري، المقري، ابن القوطية، ابن الخطيب وغيرهم[١].

وفي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م ثار بطليطلة **هشام ابن عُذرة الفِهري**، وهو من بني عم يوسف الفِهري، وكان والده عذرة الفهري ممن ولي الأندلس سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م بعد **عنبسة الكلبي**، فقد أعلن هشام الثورة والتمرّد على مركز الإمارة الأموية في قرطبة، فحاصره الأمير عبد الرحمن الداخل، وشدد عليه الحصار، فمال هشام إلى الصلح وأعطى ابنه أفلح رهينةً، ثم نقض هشام الصلح، فحاصره الأمير عبد الرحمن، ونصب المجانيق عليها، فلم يؤثّر بها

---

(١) للمزيد انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٣٦١- ٣٦٤، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٤- ١٥٦، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٤٩/٢، النويري: نهاية الأرب ١٩٥/٢٣-١٩٩، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٢٨- ٣٢٩، ٢٥/٣، ٢٨- ٣٦، ابن الخطيب: أعمال الاعلام ٨/٢-١٠، الإحاطة ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧، ٤/ ٢٩٦- ٢٩٧، مجهول: أخبار مجموعة، ص٥١- ٥٢، ٨٧-٨٨، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس ص٥١-٥٢، الخُشني، قضاة قرطبة، ص١٤-١٥، مؤنس: فجر الأندلس، ص٦٨٦- ٦٨٩، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٩١- ١٩٥، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، قسم/١، ص١٥٨- ١٥٩.

لحصانتها، وعلوّ أسوارها، وكان أمراً منع عبد الرحمن الداخل من متابعة الحصار وهو خروج أبو العلاء بن مغيث من افريقية إلى مدينة باجه، وقيل أنّهُ لبس السواد ودعى لأبي جعفر المنصور، فاضطرّ عبد الرحمن لفك الحصار عن طليطلة للقاء أبي العلاء وكان ذلك سنة ١٤٦هـ. وقبل أن يفك الأمير عبد الرحمن الحصار عن طليطلة؛ قتل أفلح ولد هشام بن عذره ورمى برأسه إلى أبيه ورحل عن طليطلة[1]. وفي سنة ١٤٧هـ، بعث الأمير عبد الرحمن مولاهُ بدراً وقائده تمام بن علقه لحصار طليطلة، فحوصرت وضيّق عليها الخناق، واستمر الحصار طويلاً، إذ يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: **(وقطع الأمير البعوث على الأجناد، وجعلها بينهم دِوَلاً في كل ستةِ أشهرٍ، فإذا انقضْت دولةٌ نُدِبَ أخرى)** فكان لهذا الحصار الطويل ثمرةً إذ استسلمت طليطلة وأُسر هشام بن عُذره وأُسر معهُ **حيوة بن الوليد اليحصبي، وعثمان بن حمزة بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه**، وتم تأمين الأسرى حتى وصلوا قرطبة، فَحُلقت رؤوسهم ولِحاهم، وأُلبسوا الصوف، وركبوا الحمير وطيف بهم في قرطبة وهم بالسلاسل، ثم قتلهم الأمير وصلبهم، ثم كتب الأمير عبد الرحمن بن معاوية كتباً إلى مختلف البلدان الأندلسية يعلمهم بهذا الفتح، ورجوع طليطلة إلى الولاء والطاعة[2].

---

(١) للمزيد عن ثورة أبي العلاء اليحصبي انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/٢١-٢٢، ابن عذارى: البيان المُغرب ٢/٥١- ٥٢، النويري: نهاية الأرب ١٩٩/٢٣، ابن خلدون: العِبر ١٥٧/٤، المقري: نفح الطيب ٣٣٢/١-٣٣٤، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/١، ص١٦٢- ١٦٣، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص١٩٧- ١٩٨م، مؤنس: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٢، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٢٦- ٢٧.

Dozy: Histoire des musulmanes d'Espange, vol, I, P. 232- 234. Léviprovencal: Histoire de L'Espange Musulmane, vol, I,. P.110- 111

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٥، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥٣، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ١٩٩، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٧، مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٣، ٩٥، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٩٧، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص١٦١، حسين، حمدي عبدالمنعم، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٢٥-٣٠.

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية قد ولّى تمام بن علقمة[١] طُليطلة بعد أن سلَّم تمـــام الأسرى لعاصم بن مسلم الثقفي، حيث أبلغه على لسان الأمير العودة إلى طليطلة ليتولاها[٢].

وبعد أن ولاّه الأمير عبد الرحمن الحجابة، خلفه عليها حبيب بن عبدالملك[٣]، وكان ذلك سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، وفي أثناء ولايته قضى على ثورةٍ جديدة في طليطلة، وهي ثورة التمرد التي قادها القائد السلمي، وكان السلمي من قادة الجيش الإسلامي، وكان من خاصة الأمير عبـــد

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol I, p.234l. Lévi Provencal. Histoire de L'Espange Musulmane, vol, I, p.109- 110.

(١) هو تمام بن علقمة، كان قد دخل في طالعة بَلج بن بشر القشيري إلى الأندلس مع العرب الشاميين سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م، وكان تمام ممن ذهب مع المركب الذي أرسل إلى عبد الرحمن بن معاوية لمبايعته، ومن القائمين بـأمره، ولاّه الأمير عبد الرحمن حجابته، وولي وشقه (Huesca) وطرطوشة (Tartosa) وطرسونة (Tarsona)، وظـل أحد أعوان الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، ورجال دولته، كانت وفاته في أواخر عصر الأمير الحكم الربضي بن هشام، للمزيد عن تمام بن علقمة (الأكبر): (ابن حيّان: المقتبس من تحقيـق محمـود علـي مكـي، ص١٧٩، ص٥٤٤، التعليق رقم ٣٥١، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٢، ٤٧، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، مجهول: أخبار مجموعة ص٧٤- ٧٥، ابن الآبار: الحلة السيراء ١/ ١٤٣، ابن عِذاري: البيان المُغـرب ٢/ ٤٨، ٥٣، ٦٣، ٧٣، المقري: نفح الطيب ٣/ ٣١، ٤٥، ٤٩، ٥٠).

(٢) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥٣، مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٥.

(٣) هو: حبيب بن عبدالملك بن عمر بن عبدالملك بن مروان، دخل الأندلس قبل أن يدخل إليها عبد الرحمن الـداخل، وكانت له مكانةً كبيرةً في قلب الأمير عبد الرحمن الداخل لم تكن لأحد من أهل بيته، وهو القائل يخاطـبُ الأميـر عبد الرحمن مغرياً بأبي الصباح يحيى اليحصبي زعيم اليمنية، الذي قتله الأمير عبد الرحمن فيما بعد [البسيط]:

يــا ابــن الخلائــف إنــي ناصــحٌ لكــمُ	**فــي قتــلِ ذي أحــنٍ يرتــادُ للــنقمِ**
لا يُفْلِتَنَّــــكَ فيأتينــــا ببائقــــةٍ	**واشــددْ يــديكَ بــه تبــرأ مــن الــسَّقمِ**
جَلّلــه عــضباً مــن الهنــدي ذا شُــطَبٍ	**إنَّ الــصرامةَ فيــه فَعْلَــةُ الكــرمِ**

للمزيد عن حبيب انظر: (ابن الآبار: الحلة السيراء ١/ ٥٩- ٦٠، ابن سعيد: المُغرب ٢/١١- ١٢، ابن خلدون: العِبـر ٤/ ١٥٤- ١٥٥، وكان الأمير عبد الرحمن الداخل قتل أبا الصباح سنة ١٤٩هـ غدراً (النـويري: نهايـة الارب ٢٣/ ٢٠٠، المقري: نفح الطيب ٣/ ٣٥- ٣٦).

الرحمن، إلا أنه أفرط بالشراب ذات ليلة، وأقبل على باب القنطرة وهو الباب الرئيسي لقرطبة فوجده مغلقاً، فاحتال حتى يفتحه فثار به الحرس واشتبك معهم بسيفه، وقد بلغت هذه الأخبار العبدي صاحب شرطة الأمير عبد الرحمن، وفي اليوم التالي فرَّ السلمي إلى طليطلة خوفاً من أن يعاقب على فعلتهِ، وحرّض على الثورة فالتفَّ حوله من أهل النفاق المبغضين لبني أُمية، وأعلن العصيان، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة حبيب بن عبدالملك القرشي، وقتله عبدٌ أسود، بعد أن طلب المبارزة من حبيب بن عبد الملك[1].

وهكذا فقد كان لطليطلة دوراً بارزاً في تأييدها واحتضانها للفتن والثورات في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، ودعمها للتمرّد والعصيان، والقيام على الإمارة الأموية في قرطبة، بل وخلال فترة أُمراء وخلفاء بني أمية، وحتى عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كما سنرى لاحقاً. فطليطلة كانت زمن الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل موطناً آمناً لأتباع وأنصار يوسف الفهري، وكان العامل عليها فهريّاً وهو: هشام بن عُذرة أو عُزرة الفهري، من بني عم يوسف الفهري. ففي سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م كانت ثورة عارمةٌ في طليطلة تزعمها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري الذي كان مسجوناً في سجن قرطبة بعد مقتل أبيه سنة ١٤٢هـ؛ وكان قد فرَّ من سجنه، بعد أن ادّعى العمى زمناً. قال ابن الآبار: **(هرب عند مقتل أبيه هو وأخوه خضر، إلى أن جئ بهما فُحبسا مدة، وادَّعى أبو الأسود هذا العمى حيلةً وهو مبصر، فزعم أن الماء نزل بعينيه، وأحسن التمثُّل لذلك، حتى جازت حيلته، واشتبهت حركاته بحركات العميان، ووقع الإشفاق عليه والرثاية له. وهُوِّن من حبسه، حتى كان يقعد عنه الموكَّل به اختباراً لهدايته، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته، فيبقى حائراً ينادي: "من**

---

[1] مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١– ١٠٢، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٦٢، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٠٣.

يقود الأعمى إلى محبسه؟"، فيُرَد. وكان أهل الحبس يومئذ ينزلون إلى النهر الأعظم- قُرْبَهم- للطهور والوضوء، على سرداب اتخذ لهم تحت الأرض، إذ كان مكانه يومئذ لِصْق القصر، على الهِبط، والرقباء عليهم، وقد اهمل ارتقابُ أبي الأسود هذا، عندما وُجد السبيل للأمان منه من أجل عماه، فتحيل هنالك في التدبير مع موالٍ له كانوا بقرطبة معه، وانتهز فرصة أجاز فيها الوادي سبحاً إلى خيل له قد أعدت بشاطئه مع ثقات أصحابه، فركب وفر ركضاً، فنجا ولحق بطليطلة. ودعا إلى نفسه، واستمال الناس بموضِعِه، وسار في عسكر جحفل حتى حل بأحواز جيّان. فخرج إليه عبد الرحمن بن معاوية في جيوشه، فلاقاه مرةً بعد مرة، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير. وكانت بينهما بقَسْطَلُونة- على مخاضة الفتح[1]- حرب شديدة، مكر عبد الرحمن فيها بأبي الأسود، فراسلَ ميمنته، وواطأه على جر الهزيمة من جهته، ففعل. وانهزم أبو الأسود، وقتل عامةُ رجاله، فلم تقم له بعد قائمة. وذُكر أنه تمثل يوم قسطلونة: [البسيط]

وموقفٌ مثل حد السيف قمتُ به أحمى الذمارَ وترميني به الحَدَقُ

وعن الرازي: أن هذه الوقيعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائة، بعد موافقة قبل ذلك أياماً كثيرة. قال: وقُتل لأبي الأسود فيها أربعة

---

(١) قسطلونة: يقول الدكتور حسين مؤنس: ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت قرية تسمى Cazalona، إلى جوار بلدة لينارس Linares الحالية شمال مديرية جيّان، وكان اسمها في القديم Castulone Cstulo (راجع معجم الأماكن الملحق بالترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ص٢٥٠). ونهر الوادي الأحمر المذكور هنا هو المعروف باسم Guadalimar نهير من نهيرات الوادي الكبير، وينبع من جبال شقورة. وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة arroyos تملتئ بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات، فلا بد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت في ذلك الموقع. ويفهم من النص بعد ذلك أن المعركة كانت عند ا لمخاضة، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة، (للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/ ٣٥١- ٣٥٢، الحاشية رقم ٣.

آلاف من أصحابه، سوى من تردى في النهر، ووقع في المهاوى، وتلف في الشعاب. وبلغ في هزيمته إلى قَسْطَلونة على وادي الأحمر، ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب، فبلغ مدينة قورية[(١)]، وتمادى في شروده وخلافه إلى أن هلك في سنة سبعين ومائة. وقيل إن عبد الرحمن غزاه في سنة سبعين، فلما أحس به فرَّ عن قورية، وانقطع وحدَه، وانحاز إلى غياض أشبَةٍ، ثم صار إلى رِكَانَة[(٢)] من طليطلة فمات هنالك. وقام بعده أخوه قاسم بن يوسف، فغزاهُ

---

(١) قُوريّة (Coria): مدينة بالأندلس من نواحي ماردة، كانت تسمى قبل الفتح (Caurium) وتعد من مدن الثغر الأدنى، وهي مدينة قديمة أولية البنيان، كان قد فتحها الأمير موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م على الأرجح بعدما فتح ماردة، وقد نزلها الكثير من قبائل البربر، وقورية مشهورة بالبساتين، وزراعة الفواكه وخاصةً العنب والتين، كانت أيام ملوك الطوائف تابعةً لملوك بني ذي النون كغيرها من مدن الثغر الأدنى، ثم آلت سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م إلى صاحب بطليوس المتوكل عمر بن الأفطس، بعد أن ثار أهل طليطلة على القادر يحيى بن ذي النون الذي كان لاهياً طائشاً مهملاً للأمور، ثم استولى عليها الفونسو السادس ملك قشتالة وليون سنة ٤٧٢هـ، أو أوائل سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٧٩، ١٠٨٠م، وقد استعادها المرابطون، ثم ملكها الفونسو السابع، سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤٢م، ثم استعادها الموحدون، وبقيت بيدهم حتى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م حيث سقطت بيد الفونسو الثامن. (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤١٢، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص ٥٤٧، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤، مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٧، ٣٩– ٤٢، ٦٢، ١٠٧، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١٤٧– ١٤٨، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥٤، ١٢٥، عنان: دول الطوائف ٩٠، ١٠٥، سحر سالم: بطليوس ١/ ٢٠٦، ٣٦١ الحاشية رقم ٨، ٢/ ٢٠– ٢٢، ٢٣، الحاشية رقم ٦، ٢٤، الحجي: العلاقات الدبلماسية ص٣٣٧، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ٢/ ٨٩٨– ٩٠٢).

(٢) رُكانَة (Rucana): ذكرها ياقوت الحموي وقال بأنها مدينة لطيفة من عمل بلنسية وذكرها العذري وقال: توفي فيها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري، أما ابن عِذاري فقد اعتبرها من قرى طليطلة. للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٦٣، العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥١، ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/ ٣٥٣، الحاشية رقم ١، وقد ضبطها بالإسبانية هكذا (Requena).

عبد الرحمن بن معاوية؛ فلما دنا منه خرج إليه بلا أمان، فتقبَّله وأمَّنه، ونقلـه إلـى قرطبة وأحسن إليه، وكان آخر المخالفين عليه) [1].

والجديرُ بالذكر أنَّ الأمير سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية كان قد أبلى بلاءً حسناً في هذه المعركة (مخاضة الفتح سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) وقد مدحه الشاعر أبو المخشي[2] بقصيدةٍ أوردها ابن الخطيب في كتاب الإحاطة [الكامل] [3]:

---

(1) ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/ ٣٥١- ٣٥٣، وللمزيد انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥٧- ٥٨، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٨- ١٥٩ وفيه أن الأمير عبد الرحمن قتله خلافاً لما أورده ابن الآبار، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٧٠ وفيه كما ذكر ابن خلدون، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٠٤ نقلاً عن ابن الأثير. العذري: نصوص عن الأندلس، ص١١، مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٥، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص ١٩٠، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٠٥، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ص٣٢- ٣٧،

Dovy: Histoire, vol1, p.240. Lévi provencal: Histoire. Vol,I, p110.

(2) هو: عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن محمد التميمي ثم العبَّادي الجاهلي: يكنى أبا المخشي، وهو من أهل إلبيرة، كان شاعراً مجيداً، شهير المكان، بعيد الصيت على عهد؛ كان أبوه قد دخل الأندلس أول الفتح مع جند دمشق، وكان شاعراً هجّاءً، يقذف نساء من لا يعجبوه، ويهتك حرمهم، أفاكاً نهّابا، كان منقطعاً لسليمان بن عبد الرحمن الداخل، وكان هشام حاقداً عليه رغم أنه كان يمدحه، قيل لهشام أنّه عرّض بك من خلال مدح أخيك سليمان في شعر له قال فيه [الطويل]:

وليس كمثلِ مَنْ إنْ سيل عُرفاً ... يقلّبُ مقلةً فيها اعورارُ

وكان هشام بن عبد الرحمن الداخل أحولاً، واستدعاه هشام عندما كان والياً على ماردة، فسمل عينيه، وقطع لسانهُ، فقال في عماه شعراً وصل إلى الأمير عبد الرحمن الداخل، فرّق له ودعا بألفي دينار فأعطاه، وضاعف له ديّة العينين، ومن هذا الشعر قوله [الرمل]:

خضعت أمُّ بناتي للعدا ... إذ قضى الله بأمرهِ فمضى

ورأت أعمى ضريراً إنّما ... ميشهُ في الأرضِ لمساً للعصى

وإذا نال العمى ذا بصرٍ ... كان حيّاً مثل ميتٍ قد ثَوى

وكان رحمه الله قد أدرك الأمير الحكم الربضي الذي حكم ما بين سنتي (١٨٠- ٢٠٦هـ) على قول ابن حيّان نقلاً عن عبادة الشاعر، أما ابن الخطيب فيقول توفي نحو ١٨٠هـ فلعلّه أدرك بداية عهد الحكم الربضي سنة ١٨٠هـ، للمزيد: (ابن الخطيب: الإحاطة ٤/ ١٩٥- ١٩٩، ابن عبدالملك المراكشي: الذيل والتكملة، ٥/ ١٠٢، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٦- ٥٧، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، أبو الوليد الحِميَري: بدائع البدائه، ص٢١، الحُميدي: الجذوة.

(3) الأبيات موجودة عند ابن الخطيب: الإحاطة ٤/ ١٩٨، آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٨٢.

ماذا تـــسائلُ عـــن مواقـــعِ معـــشرٍ	**أودى بهمْ طلـــبُ الـــذي لـــم يُقْـــدَرِ**
رشدُ الخليفـــةِ إذ غَـــوَوا فرمـــاهُمُ	**بالموبـــــذيِّ الجهـــــمِ والمتـــــأزّرِ**
فغـــدا ســـليمان الـــسماح علـــيهمُ	**كالليـــثِ لا يلـــوي علـــى متعـــذّرِ**
غـــاداهمُ متقتّـــصاً فـــي مـــأزقٍ	**بالموتِ مرتجسُ العـــوارضِ ممطـــرِ**
وهو الذي وَرِثَ النّدى أهل النَّـــدى	**ومحـــا مغبّـــةَ يـــومِ وادي الأحمـــرِ**
بعداً لقتلـــى بالمجـــانصِ أصـــبحت	**جِيَفـــاً تلـــوح عظامهـــا لـــم تُقْبَـــرِ**
فالليـــل فيهـــا للـــذئابِ فرائِـــساً	**ونهارهـــا وقفـــاً لـــنهشِ الأنـــسُرِ**
أفنـــاهُمُ ســـيفٌ مبيـــرُ صـــارمٌ	**في قسطلونةَ بـــل بـــوادي الأحمـــرِ**
فَلْتَرْكَبنّـــك مـــا هربـــتَ مخافـــةً	**منهُ فقع يـــا ابـــن اللّقيطـــةِ أوَطِـــرِ**

وفي شأن الثورات المتعاقبة على طُليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن يقول ابن حيّـان: **(... لم تزل تتقلب على الأملاك، وتعجز من رامها من أولي القوة والحيلة، ولطال ما أتعبت الخليفة الأول، المُقيم للدولة بالأندلس وأول الداخلين إليها من بني أُميّة، عبد الـرحمن بـن معاوية بن هشام، رحمه الله، وقد دانت له الأندلس بحذافيرها، وامتنعت هي عليـه أعوامـا سبعة، فما افتَتَحها إلا بعد حرب عوان ومشقّة وعن قهر وغلبة)** [١].

(١) ابن حيّان: المقتبس ٢٧٦/٥.

وفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م ولي طُليطلة سليمان بن عبد الرحمن الداخل، وكان يتيميز بالنجدةِ وحب الشاميين له، وهو من مواليد الشام، وأمه لُخيمة من ولد حاطب بن أبي بلتعه، وكانت نشأته بالشام، وانتقل إلى الأندلس سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٣- ٧٦٤م[١].

طُليطلة في عهدِ هشام بن عبد الرحمن الداخل (الرِّضي)

(١٧٢-هـ/٧٨٨م- ١٨٠هـ-٧٩٦م)

عندما حضرت عبد الرحمن الداخل الوفاة، كان ولده سليمان في طليطلة والياً عليها، وولده هشام في ماردة والياً عليها كذلك، فلم يحضرا وفاته. حيث توفي في شهر ربيع الآخر من سنة ١٧١هـ/٧٨٧م، وقيل في جمادى الأولى من سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، وهو الأكثر ترجيحاً في المصادر التاريخية، وكان مولده رحمه الله بالشام سنة ١١٣هـ، وصلى عليه ولده الثالث المقيم في قرطبة عبد الله الملقب بالبلنسي. وهناك روايتان في تسلّم هشام لزمام الحكم. الرواية الأولى أنَّ أباه كان قد عهد إليه بالإمارة بعدهُ، قبل وفاته لأنه كان يرى به الخير للمسلمين وقدّمه على سليمان، فبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه ينعى أباهُ ويعزيه به ويعرّفه أنّه بايع الناسَ له. أما الرواية الثانية: أنَّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية أوصى ولده عبد الله عندما حضرته الوفاة وقال له: **(من سبق إليك من أخويك، فادفع إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، وإنْ سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له)** وكان هشام لما علم بوفاة والده أسرع من مارة إلى قرطبة، ووصل قبل أخاه سليمان، فأعطاه أخوه عبد الله الخاتم وأدخله القصر في جمادى الأولى من سنة ١٧٢هـ/

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨٣/٥، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٥٩ طبعة دار الفكر، لبنان، ١٩٨١، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٠، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٠٦. ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٢/٢.

(٧أكتوبر ٧٨٨م) وعندما علم سليمان بذلك، لاذ بطليطلة مركز الثورات، ومكمن الفتن والاضطرابات، وأعلن العصيان على أخيه، وقام بقتل غالب بن تمام بن علقمة الذي أرسله هشام ليتولى أمر طليطلة، ثم صلبه ومثل به، أما أخوه الثالث عبد الله الملقب بالبلنسي فقد كان حضيّاً عند هشام: (**... يؤثره ويبره ويقدّمه- لما قام به نحوه فلم يرض إلاّ المشاركة في أمره**) وكان عبد الله في نفسه على أخيه هشام شيئاً، فقد أظهر الطاعة، وفي باطنه الحسد والعصيان، فبعد ستة أشهر من تسلم هشام الحُكْمَ فرّ عبد الله إلى طليطلة خائفاً، فأرسل أخوه هشاماً في أثره جماعةً ليردّوه، فلم يدركوه[١].

قال ابن حيّان بشأن انتكاث أهل طليطلة: (**ثم لم تلبث أن انتقضت على ابنه، الأمام الرضِيّ، هشام بن عبد الرحمن، رحمةُ الله عليهما، مع اتفاق أهل الأندلس عليه، حتى راضها، فعادت إليه ذليلةً**) [٢].

ولمّا علم الأمير هشام بخروج أخويه سليمان وعبد الله عليه سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م، جهز جيشاً وسار وحاصر طليطلة، لكن أخاه سليمان استعمل معه المكيدة، حيث جمع وحشد جمعاً عظيماً وسار به إلى قرطبة للاستيلاء عليها، وخلّف أخاه عبد الله وابنه في طليطلة. لكن هشام لم يأبه لما فعله سليمان واستمر بالحصار، أما سليمان فقد وصل إلى شقنده الواقعة على الشاطئ الأيسر للوادي الكبير تجاه قرطبة، فدخلها وخرج إليه أهل قرطبة وتصدوا له ودافعوه عن

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٦١/٢- ٦٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٨٣، ٨٤، ابن الآبار: الحلة السيراء ٤٢/١- ٤٣، النويري: نهاية الأرب ٢٠٦/٢٣، ابن خلدون: العِبر ١٥٩/٤، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، المقري: نفح الطيب ٣٣٤/١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٢/٢، سالم: تاريخ المسلمين وآثاره في الأندلس، ص٢١٣.

Lévi provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol,I, p.141- 142.

(٢) ابن حيّان: المقتبس ٢٧٦/٥.

المدينة، وبعث كذلك هشام، في أثَرِ أخيه قسماً من الجيش بقيادة ولده عبد الملك، فلمّا علِمَ سليمان بذلك هرب قاصداً مدينة مارة التي كان أخوه هشام والٍ عليها، فحاربه واليها، وانهزم سليمان، أما هشام فقد استمر محاصراً لطليطلة شهرين وأياماً، ثم عاد منها وقد قطع أشجارها وسار إلى قرطبة. لقد استاء عبد الله البلنسي من فعلة أخيه سليمان، ولم يكن يعلم بأنّ الأمور تصل لأن يحارب الأخ أخاه، فسار إلى قرطبة بغير أمان، ودخل على أخيه هشام، فأكرمه وأحسن له، وتم الاتفاق معه على أن يرحل من الأندلس إلى المغرب فتمّ له ذلك سنة ١٧٤هـ (٧٩٠-٧٩١م)، وفي نفس العام سيّر هشام ابنه معاوية في جيش كثيفٍ وأرسل معه القائدان شُهَيْد بن عيسى وتمام بن علقمة، وتوجهوا إلى تُدمير (Teodmiro) لمحاربة سليمان بن عبد الرحمن أخيه، فخرّب معاوية أعمال تدمير، وفرَّ سليمان من تدمير، حيث لجأ إلى بلنسية عند البربر المستقرين بها، واعتصم عندهم محتمياً بمسالكها الوعرة. أما معاوية فقد عاد مع الجيش إلى قرطبة، وبعد ذلك استقرت الأمور بين الأخوين وجرت المفاوضات على أن يرحل سليمان وأهله وأولاده إلى بلاد المغرب مفارقاً الأندلس على أن يعطيه هشام ستين ألف دينار مصالحةً عن ميراث أبيه[1]، فتم له ذلك ورحل سليمان وأهله وعياله إلى بلاد المغرب فأقام بها، وبذلك تنتهي الثورة الغاشمة التي كان لمدينة طُليطلة فيها اليد العظمى، فهذهِ هي طليطلة، قُدرّ لها أن تكون دائماً منبعاً للثورات والعصيان على ولاة الأمر، فعلى النفاق جُبِلَ أهلها، وعلى الشتات تعودوا.

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٦٢/٢- ٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨٤/٦، ٨٦، ٨٩، ابن الآبار: الحلة السيراء ٣٦٣/٢- ٣٦٤، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٠٦- ٢٠٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٢/٢-١٣، ابن خلدون: العِبر ١٥٩/٤، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢١٤- ٢١٥، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٥٠.

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol,I, p.250; Léviprovencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol, p.141- 142.

في سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م، دخلت طليطلة في طاعة الإمارة الأموية، وولّى الأمير هشام ولده الحكم عليها فضبطها وأقام بها طويلاً، فولده عبد الرحمن (الأوسط) كان من مواليد طليطلة سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م[١] وبقيت طليطلة هادئة الأوضاع بولاية الحكم بن هشام حتى وفاة أبية سنة ١٨٠هـ، حيث عادوا للعناد والثورة كعادتهم وكما سنبين لاحقاً.

طليطلة في عهد الحكم بن هشام (الربضي)

(١٨٠هـ/ ٧٩٦م- ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م)

في ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خلَت من صفر سنة ثمانين ومائة (٧٩٦م) توفي الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وولي بعده ابنه الحكم أبو العاص[٢]، الملقب بالحكم الربضي لإيقاعه بأهل ربض قرطبة الذين أظهروا العصيان وطالبوا بخلعة وذلك سنة ١٩٨هـ/ ٢٠٢هـ[٣]. ففي سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧هـ خالف **(عُبيدة بن حميد)** [٤] بطليطلة، وأعلن أهلها التمرّد، فاستقدم الحكم قائدة في مدينة طلبيرة من أعمال طليطلة لإخماد هذه الثورة وهو

---

(١) ابن خلدون: العِبر ١٥٩/٤- ١٦٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩٤/٥، النويري: نهاية الأرب ٢٠٠/٢٣.

(٢) ابن الآبار: الحلة السيراء ٤٣/١، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٦٥/٢-٦٨، ابن خلدون: العِبر ١٦٠/٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠١/٥، النويري: نهاية الأرب ٢١٠/٢٣، ابن سعيد: المُغرب ١٣/١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٥/٢-١٦، الأحاطة ٢٦٩/١-٢٧٠، المقري: نفح الطيب ٣٣٨/١.

(٣) للمزيد عن وقعة الربض انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٧٥/٢-٧٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٧٢/٥، النويري: نهاية الأرب ٢١٧/٢٣- ٢١٨، ابن الآبار: الحلة السيراء ٤٤/١-٤٥، المقري: نفح الطيب ٣٣٩/١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٧/٢، الإحاطة ٢٧٠/١، ابن سعيد: المُغرب ١٥/١، ابن خلدون: العِبر ١٦١/٤- ١٦٢).

(٤) اختلفت المصادر حول اسم قائد تلك الثورة. فعند ابن الأثير في الكامل ١٠٥/٥، ورد: عُبيدة بن حميد، وعند ابن خلدون في العِبر.
ورد: (عُبيدة بن عُمير) وعند النويري في نهاية الأرب ١١/٢٣.
ورد: (عبيدة بن حُمير)، وعند ابن عِذاري في البيان المُغرب ٦٩/٢، ورد: (عبيدة بن حميد) وعند ابن سعيد في المُغرب ١٥/٢، ورد: (عبيدة بن حُمير).

(عمروس بن يوسف)[١]، فحاصره عمروس، واستعمل معه الخديعة، باستمالة بني مخشي من أهل طليطلة، فقتلوا عُبيدة بن حميد قائد التمرّد، وأرسلوا برأسه إلى عمروس، وأنزل بني مخشي عنده في طلبيرة، لكن البربر قتلوهم بثأر كان بينهم، فأرسل رؤوسهم إلى الحكم بقرطبة مع رأس عبيدة، وكتب إليه يخبره بأمرهم[٢]. ورغم ذلك فلم ينثني أهالي طُليطلة عن عادتهم، وعادوا لخلع طاعة الحكم، والتمرّد على ولاتِهِ، آخذين بالاعتبار حصانة بلادهم ومنعتها، فطمعوا بالأمراء، وخلعوهم مرةً بعد مرةٍ، حتى أعيا الحكم أمرهم، فأوقع بهم الحكم الوقعة المشهورة في التاريخ وهي وقعة الحفرة، فكان قد ولّى على طليطلة هذه المرة عمروس بن يوسف السالف الذكر، الذي اطمأن له الحكم لإخلاصه للإمارة الأموية وكان ذلك سنة ١٩١هـ/٨٠٧م. وللحديث عن تفاصيل هذه الوقعة نورد النص الكامل الذي أورده ابن الأثير قال: **(في هذه السنة أوقع الأمير الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها، وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء وخلعوم مرة بعد**

---

(١) هو عمروس بن يوسف من المولدين، كان في خدمة سليمان بن يقضان الإعرابي صاحب سرقسطة في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وفي سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١-٧٩٢م، ثار سليمان بن يقضان على الإمارة الأموية بقرطبة، فأرسل إليه هشام عبيد الله بن عثمان فحاصره في سرقسطة، وطال الحصار عليها،وملّ أهلها من هذا الحصار، وخرج ابن مطروح يوماً إلى الصيد، ومعه عمروس بن يوسف وابن صلتان، فأخذاه على حين غرّة وقتلاهُ، وأرسلا برأسه إلى عبيد الله بن عثمان، وكان عمروس قد ولاّه الأمير الحكم بن هشام على طلبيرة (Talavera) للمزيد (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٦٣/٢، ابن خلدون: العِبر ١٥٩/٤ طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٦- ٢٩، طبعة مدريد، ١٩٦٥م، النويري: نهاية الأرب ٢٠٧/٢٣-٢٠٨.

(٢) للمزيد: ابن عِذاري: البيان المُغرب ٦٩/٢- ٧٠ أحداث سنة ١٨١هـ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠٥/٥، ابن خلدون: العِبر ١٦١/٤، النويري: نهاية الأرب ٢١١/٢٣، ابن سعيد: المُغرب ١٥/١، ابن الخطيب: الإحاطة ٢٧٠/١، أعمال الأعلام ١٦/٢، المقري: نفح الطيب ٣٤٠/١، العذري: نصوص عن الأندلس ص٢٧، عنان: دولة الإسلام في الأندلسن القسم/١، ص٢٣٩، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٤٥-٤٦.

Lévi Provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol, I, p.154.

أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونـــوا يطيعــوا أمـــراءهم طاعـــة مرضية، فلما أعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة في الظفر بهم فاستعان في ذلك بعمـــروس بـــن يوسف المعروف بالمولد، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى فأظهر طاعة الحكم ودعا إليه فاطمأنَّ إليه بهذا السبب، وكان من أهل مدينة وشقة. فاستحضره فضحر عنده فأكرمـــه الحكم وبالغ في إكرامه وأطلعه على عزمه في أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم فـــولاه طُليطلة وكتب إلى أهلها يقول: إني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم لتطمئن قلوبكم إليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمّالنا ومواليبا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم، فمضى عمروس إليهم ودخـــل طليطلة فانس به أهلها واطمأنوا ليه وأحسن عشرتهم، وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة أن أظهر لهم موافقتهم على بغض بني أمية وخلع طاعتهم فمالوا إليه ووثقوا بما يفعله، ثم قـــال لهم، أن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمير إنما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت أن ابني بنـــاء اعتزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقاً بكم فأجابوه إلى ذلك فبنى في وسط البلد ما أراد فلمـــا مضى لذلك مدة كتب الأمير الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سرّاً يأمره أن يرسل إليـــه يستغيث من جيوش الكفرة وطلب النجدة والعساكر ففعل العامل ذلك، فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قوّاده ووزراءه، فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها، فأتاه وهو عنده الخبر من ذلـــك العامـــل أن عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن على العودة إلـــى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة: قد ترون نزول ولد الحكم إلى جانبي وأنه يلزمني الخروج إليه وقضاء حقه فإن نشطتم لذلك وإلا سرت إليه وحدى، فخرج معـــه وجـــوه أهـــل طليطلة فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن إليهم، وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادماً لـــه ومعـــه كتاب لطيف إلى عمروس فأتاه الخادم وصافحه وسلم الكتاب إليه من غير أن يحادثه، فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فأشار إلى أعيان أهلهـــا بـــأن

يسألوا عبد الرحمن الدخول إليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم فظنوه ينصحهم ففعلوا ذلك وأدخلوا عبد الرحمن البلد، ونزل مع عمروس في داره وأتاه أهل طليطلة إرسالاً يسلمون عليه، وأشاع عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمةً عظيمة وشرع في الاستعداد لذلك وواعدهم يوما ذكره وقرر معهم أنهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك، فلما كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجاً فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر فضربت رقابهم عليها، فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير أحداً فقال: أين الناس؟ فقيل: إنهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال: ما لقيني منهم أحد وعلم الحال وصاح واعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقى منهم، فذلت رقابهم وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام ولده عبد الرحمن، ثم انجبرت مصيبتهم وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولى ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ما نذكره) [1].

بعد ثمانية أعوام من وقعة الحفرة تقريباً، أي سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م، كانت لأهل طليطلة ثورةً جديدة، في عهد الحكم بن هشام، فلم تكن تلك السنوات الثمانية إلاّ الهدوء الذي يسبق العاصفة، وما كان رمادُ أهل طليطلة الذي خلفته وقعة الحفرة إلاّ مَكْمَنَاً لجمر بداخله، توهجَّ شيئاً فشيئاً حتى اشتعل واضطرمت ناره. وهذا نص أورده ابن عِذاري يحدثنا عن ثورة أهالي

---

(١) هذا النص موجود عند ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١٢٤/٥-١٢٥، النويري: نهاية الأرب ٢١٤/٢٣-٢١٥، نقلاً عن ابن الأثير: وللمزيد: ابن خلدون: العِبر ١٦٢/٤ في خبر مختصر، ابن عِذاري: البيان المغرب ٦٩/٢-٧٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٦/٢، في خبر قصير، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٥-٦٦، طبعة دار الجامعيين للنشر، بيروت، ١٩٥٧م، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٣٨- ٢٤١، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٢٢، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢٩-١٣٠، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٧٢٨، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٤٧-٤٩. Lévi Provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol,Ip.156-158.
Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange vol, I, p.291-294.

طليطلة، حيث استخدم معهم هذه المرة كذلك الحيلة. قال ابن عِذاري: من خــلال حديثــه عــن أحداث سنة ١٩٩هـ: **(وذلك أنه أظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وقصد تُدمير، وهو يريد في نفسه طُليطلة، فنزل تُدمير، واضطرب فيها، ونازلَ بعض حصونها، وكتب إلى عمّــال الثغــر بنزوله فيها وحربه لها؛ فأمِنَ أهل طُليطلة، وانتشروا في بسائطهم، ونظروا في زروعهم وله عليهم عيون. فلما صح عنده انبساطهم، جعل يتغرّب من أحواز تدمير. وأخبار طليطلة تــرد عليه. فلما أمكنته الفرصة فيها، جد السير إليها، وطوى المراحل، فوصل إليها ليلاً، وســبق بقطيع من الحشم. فدخل طليطلة ليلاً ولم يُعْلَمُ بدخوله، وأهلها في غفلة، وأبوابهــا مفتحــة. وتتابع العكسر عليه بمقدار قوة كل أحد، فملكها، وحالَ بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عمن كان بها على من كان بخارجها، فاستوسق له ملكها دون مؤنة ولا قتال فاستنزل أهلهــا مــن الجبال إلى السهل، وحرّق ديارها، وسكّنهم في الصحراء ثم ردهم إليها)** [١].

وقد ذكر كذلك ابن سماك العاملي في كتابه الزهرات المنثورة؛ أنَّ جزءً من أهل ربض قرطبة الذين أوقع بهم الحكم سنة ٢٠٢هـ بوقعة الربض الثانية المشهورة وكانوا قد فرّوا إلــى طليطلة، فاستنفروا بها، وكان لهم ثورة ضد الحكم مع أهالي طُليطلة. **(... فرّوا إلــى طليطلــة واعتاموها، لأجل خلاف أهلها على الخليفة الحكم فاستنفروا فيها حتى أوقع بعد ذلك بأهلهــا وبهم في الجملة)** ويفهم من حديثه أنّهم قاموا بتحريض الأهالي حتى أرسل لهــم الحكــم مــن

---

[١] ابن عِذاري: البيان المُغرب ٧٥/٢-٧٧، ابن سعيد: المُغرب ١٥/١.

يؤدبهم[1] وعند ابن سعيد: (... **فلحق جمهور منهم بطليطلة وكاتبوا مهاجر بن القتيل الذي كان قد لحق بدار الحرب، وولوه عليهم،..**)[2].

طُليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)

(٢٠٦هـ/٨٢٢م- ٢٣٨هـ/٨٥٢م)

كانت وفاة الأمير الحكم بن هشام (الربضي) يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة من سنة ستٍ ومائتين (٢٠٦-هـ/ ٨٢٢م)؛ حيث بويع ولده عبد الرحمن (الأوسط) في نفس اليوم، وتسلّم إمارة الأندلس [3]، ودخلت طليطلة في طاعته كغيرها من المدن الأندلسية، إلا أنّها أبت إلا أن تخالف وتخرج عن الطاعة، وهذه المرة ثار بها هاشم الملقب بالضراب وكان ذلك سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م، وكان هاشم هذا من الذين نقلهم الحكم الربضي إلى قرطبة بعد وقعة الحفرة، وصار يضرب بالمعول في الحدادين أجيراً، فعُرف بالضراب، وخرج من قرطبة إلى طليطلة، واجتمع إليه أهل الشر والفساد بعد أن استدعاهم لذلك، وأخذ يبسط نفوذه خارج طليطلة، وذلك بإغارة أَتباعه على البربر والعرب، وسمع به أهل الشر والفساد فقطعوا إليه، حتى اجتمع له منهم خلق عظيم، فعلا ذكره في البلاد، وأغار على بربر شنتيريه (santãver) التي تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجه (Tajo) وأوقع بالبربر، وكان له عليهم دوائر، فأرسل

---

(١) ابن سماك العاملي: الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، نشر وتحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد٢١، الزهرة ٧٥، ص٤٣، مجهول: أخبار مجموعة، ص١٣٠- ١٣١، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢-٧٤، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ١/١٥-١٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٣/٥، ابن عِذاري: البيان الغرب، ٧٧/٢، ابن خلدون: العِبر ١٦٣/٤، النويري: نهاية الأرب ٢١٩/٢٣، ٢٢٠، ابن سعيد: المُغرب ١٨/١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٩/٢، ابن الآبار: الحلة السيراء ١١٣/١، المقري: نفح الطيب ٣٤٤/١.

له الأمير عبد الرحمن (الأوسط) جيشاً بقيادة محمد بن رستم[1] عامله على الثغر الأدنى، إلا أن ابن رستم فشل في القضاء على الضرّاب وشرذمته، وباتَ الضرّاب يهددُ الثغر الأدنـــى كلـــه، وصارت له شوكةً، فأغضب ذلك الأمير عبد الرحمن، وكاتبه بكتابٍ يعنّفه فيه، ويبيّن تقصيره، وفي سنة ٢١٦هـــ، أمدّه الأمير عبدالرحن بجيشٍ كبير، وأمره بالـــسير للقـــضاء علـــى هاشـــم

---

(١) هو: محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم مولى الغَمْر بن يزيد بن عبدالملك، كان أبـــوه قـــد دخـــل الأندلس، وكان محمد بن سعيد في ناحية الجزيرة، اصطنعه عبد الرحمن بن الحكم في إمارته على شذونه من قِبـــل أبيه الحكم، فكان يأنس به في بعض الأحيّان، وعندما ولي الأمير عبد الرحمن إمارة الأندلس استقدمه وصرفه فـــي الحجابة والوزارة، وفي سنة ٢١٤هـــ/ ٨٢٩ عهد إليه الأمير عبد الرحمن بحكم طليطلة الثغر الأدنى عندما نـــشبت ثورة هاشم الضراب، ثم أرسل إليه الأمير يعنفه ويتهمه بالتقصير في قمع هاشم وثورته، فالتقى محمد بـــن ســـعيد بهاشم ثانيةً، وهزمه وقتل الآلاف ممن معهُ، وفي سنة ٢٣٠هـــ/٨٤٤، كان أحد القواد الـــذين تـــصدوا لمراكـــب المجوس التي حلّت بإشبيلية، وكانت وفاته سنة ٢٣٥هـــ، وكان أديباً حكيماً لاعباً للشطرنج، (للمزيد عن محمد بـــن رستم: ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص٤٤٨- ٤٤٩، التعليق رقـــم٨٧، ابـــن الآبـــار: الحلـــة السيراء ٣٧٢/٢- ٣٧٣، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٨٧/٢-٨٨، العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٩-١٠٠).
أما أسرة بني رستم التي ولي بعض أفرادها الوزارة والقيادة للأمويين في الأندلس؛ تنتهي إلى عبـــد الـــرحمن بـــن رستم الفارسي مولى الغمر بن يزيد ابن عبدالملك، وهو مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت بـــالمغرب الأوســـط؛ ونحن نعلم أن العلاقات بين الدولة الرستمية الخارجية المذهب والأمويين بقرطبة كانـــت دائمـــاً تتميـــز بـــالمودة والصداقة، فقد كان أمراؤها بحكم عداوتهم لجيرانهم الأغالبة في افريقية وللأدارسة في المغرب الأقصى، يَرَوْنَ أن السياسة تقضي بتوثيق علاقاتهم بقرطبة الأموية، وفي سنة ٢٠٧هـــ/٨٢٣ م قدم على عبد الرحمن ابن الحكم بنـــو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فاستقبلوا استقبالاً فخماً أنفق فيه الأمير الأندلسي عليهم ألـــف ألف دينار (ابن سعيد في المغرب ١٩/١) ويبدو أن بعض بني رستم قد استقروا في الأندلس من قبل بحكـــم هـــذه العلاقات الطيبة بين المملكتين، فابن الآبار يذكر أن أول من دخل الأندلس منهم هو سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم حفيد منشئ الدولة. وللمزيد عن أسرة بني رستم انظر: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق د. محمـــود علـــي مكي، ص ٤٤٨- ٤٤٩، التعليق رقم ٨٧، ابن سعيد: المغرب ١٩/١، أحداث سنة ٢٠٧هـــ، ابـــن الآبـــار: الحلـــة السيراء ٣٧٢/٢- ٣٧٣، .Léviprovencal: Histoire, Vol, I, p.248

وإخضاعه، والتقى الفريقان على مقربةٍ من حصن سمسطا. بمجاورة رورية، وبعد معاركٍ بينهما قضى الله أن تكون الهزيمة على هاشم ومن معه، وقتل مع جملةٍ من أعوانه في المعركة[١].

لكن مقتل زعيمهم الضراب لم ينهي أمرهم، بل استمرت ثورتهم، ففي سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م أرسل عبد الرحمن بن الحكم جيشاً لقتالهم واستئصال شافتهم، وكان الجيش بقيادة أخيه أمية بن الحكم. قال ابن الأثير من خلال حديثه عن أحداث سنة ٢١٩هـ.

(في هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم الأموي صاحب الأندلس جيشاً مع أمية بن الحكم إلى مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد في حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم، وأنزل بقلعة رباح جيشاً عليه ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب؛ فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفله من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضاً، وكان ميسرة قد بلغه الخبر- فجعل الكمين في مواضع، فلما وصل أهل طليطلة إلى قلعة رباح للغارة، خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم، وأكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما إلى طليطلة، وجمعت رؤس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد في نفسه غماً شديداً فمات بعد أيام يسيره)[٢].

---

(١) للمزيد: ابن عِذاري: البيان ٨٣/٢، ابن خلدون: العِبر ١٦٤/٤، وقد ذكر أن ثورة الضراب كانت سنة ٢١٥هـ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٩/٥، النويري: نهاية الأرب ٢٢٢/٢٣، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٥٨، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٣٠، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٥٣-٥٥. Lévi Provencal: Histoire de L'espange Musulmone, vol, p.201.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٣٢/٥- ٢٣٣، النويري: نهاية الأرب، ٢٢٢/٢٣، نقلاً عن ابن الأثير، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٨٤/٢، ابن خلدون: العِبر ١٦٤/٤- ١٦٥، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٥٨-٢٥٩، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٣٠- ٢٣١، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٥٥-٥٦. Léviprovencal: Histoire, vol, p.201.

ويذكر لنا كذلك ابن الأثير أن هذه السنة كان فيها ثورة وفتنة من أهالي طليطلة تعرف بملحمة العروس قتل فيها الكثير من أهل طليطلة[١].

ثم كان للأمير عبد الرحمن كرةً أخرى على أهل طليطلة في عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، قال ابن الأثير: **(ثم سيَّر عبد الرحمن جيشاً في سنة عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء. فلما كان في سنة إحدى وعشرين ومائتين، خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصار طليطلة وضيّقوا على أهلها واشتدّوا في حصارهم إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، فسيّر عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ، واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع، ففتحها عنوة يوم السبت لثمان خلون من شهر رجب منها، وأمر بتجديد القصر على باب الجسر الذي كان هدم أيام الحكم، وأقام بها آخر شعبان سنة ثلاث وعشرين حتى استقرت قواعد أهلها)**[٢].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٣٣/٦، وهذه الفتنة لم يذكرها النويري الذي ينقل عن ابن الأثير حرفياً.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٣٢/٥، وللمزيد ابن عِذاري: البيان المُغرب ٨٤/٢- ٨٥، ابن خلدون: العِبر ١٦٥/٤، النويري: نهاية الأرب ٢٢٣/٢٣. نقلاً عن ابن الأثير، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص ٢٥٩، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٣١.

Léviprovencal: Histoire, vol, I, p.201- 202.

طُليطلة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

(٢٣٨هـ/ ٨٥٢م- ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)

بويع للأمير محمد بن عبد الرحمن لأربع خلون من ربيع الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) بعد وفاة والده الأمير عبد الرحمن (الأوسط)، وكان والده قد رشح أخاه عبد الله ابن طروب لولاية العهد، وكان عبد الله مستهتراً منهمكاً في اللذات، فاتفق أولو العقل على مبايعة محمد بدلاً من أخيه عبد الله، وكان الأمير محمد محبّاً مؤثراً لأهل البيت الحديث، عارفاً حسن السيرة[1].

كانت أخبار وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)؛ قد علم بها أهل طليطلة في اليوم الثالث، وكانَ بها سعيد ابن الأمير عبد الرحمن، والعامل عليها حارث بن بزيع، فأعلن أهل طليطلة الثورة منتهزين هذه الفرصة، وقد تزعم حركة أهل طليطلة أحد الذين فرّوا من قرطبة، وهو مشنوؤه ابن مطرف، وكان معه صاحبه ابن بشير وهو من المولدين، كان مرتهناً بقرطبة ففرّ وأقام بجبل الأخوين، الواقع بالهضبة القريبة من مدينة طليطلة (بادية طليطلة)، وانضم إليهم من أهل الشقاق والنفاق، وأصحاب السوابق بالشر والعصيان، ثم كاتب أهل طليطلة للوثوب بسعيد ابن الأمير عبد الرحمن ومن معه من رجال السلطان، فتم له ذلك، ونكثوا العهود، وفي يوم السبت الرابع عشر من ربيع الأول من سنة ٢٣٨هـ ٨٥٢م، وقت صلاة الظهر؛ نبذوا الطاعة، وأعلنوا التمرّد والعصيان، وأقبل مشعل نار فتنهم ابن مطرف مع شرذمته يوم الأحد، وبدأت المعركة بين سعيد وحارث بن بزيع والحامية الأموية من جهة، وابن مطرف وأهل الفتن

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩٢/٥، ابن سعيد: المُغرب ٢٢/١، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٦٧، النويري: نهاية الأرب ٢٢٦/٢٣-٢٢٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ٢١/٢-٢٢، ابن الآبار: الحلة السيراء ١١٩/١، المقري: نفح الطيب ٣٥٠/١.

بطليطلة من جهة أخرى، لكن الحامية الأموية لم تتمكن من دحرهم، مما اضطروهم إلى فتح باب القنطرة، فخرج منه سعيد ابن الأمير عبد الرحمن ونجا، أما العامل حارث بن بزيع فقد أسروه، ولم يطلقوا سراحه، حتى أطلق الأمير محمد سراح رهائنهم الذين فيهم سجون قرطبة[١].

وبعد سنة من الحادثة، أي سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م؛ جهزّ الأمير محمد بن عبد الرحمن جيشاً، وجعل عليه أخاه الحكم بن عبد الرحمن إلى قلعة رباح من أعمال طليطلة، وكان أهل طليطلة قد خرّبوا أسوارها، وقتلوا كثيراً من أهلها، فأقفرت. فاحتلها الحكم بالجيش، وأصلح أحوالها، وأعاد إليها من فارقها من أهلها، وترك عندهم أعداداً من الجيش كحاميةٍ لها، وجال بالصائفة ديار أهل الخلاف في طليطلة، وعاث فيها[٢] وفي العام نفسه في شهر شوال كان لأهل طليطلة فعلةً مشينةً، حيث خرجوا من كمائنهم عندما حلّ الجيش الذي أرسله الأمير محمد إلى شندلة[٣] بأندوجر[٤] وكان على هذا الجيش قاسم بن العباس[٥]، وتمام بن أبي العطاف، حيث كثر القتل في جيش الأمير محمد، وانهزم قاسم وتمام وأصيب في العسكر، وفي ذلك يقول صفوان بن العباس أخو القاسم المذكور [الرمل]:

---

(١) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٩٢- ٢٩٣، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٤/٢، في خبر قصير، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١/ ص٢٩١- ٢٩٢، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٤٤، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٥٩، Lévi Provencal: Histoire, vol,1, p.291 .

(٢) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٩٣- ٢٩٤، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٤/٢، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٦٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، عنان: دول الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص ٢٩٢، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٤٥، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٦٠. Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p.292.

(٣) **شندلة:** اسم لنهر معروف اليوم باسم Jãandula وهو فرعٌ من فروع نهر الوادي الكبير يصبُّ في هذا النهر على مقربةٍ من أندوجر وباسم هذا النهر سميت قلعة كان موقعها ينبغي أن يكون على مقربة من أندوجر المذكورة، وهي التي ذكرها ابن حيّان وابن عِذاري باسم حصن سندلة (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص٥٨٦- ٥٨٧، التعليق رقم٤٧٧.

(٤) أندوشر: أو أندوجر (بالأسبانية الآن Andujar) مدينة من أعمال جيان Jaen تقع على نهر الوادي الكبير، وهي تبعد بنحو أربعين كيلو متر إلى الشمال الغربي من جيّان. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٦٤/٢، ابن حيّان: المقتبس، ص٥٩١، التعليق رقم ٤٨٦.

(٥) هو القائد قاسم بن العباس بن عبد الله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني القرشي.

ضَـــــرَطَ القاســـــمُ يومـــــاً ضـــــرطةً فـــــي القَـــــرْميط

مـــــاتَ منهـــــا كـــــلُّ حـــــوتٍ كـــــانَ فـــــي البحـــــر المحـــــيط

وكانت هذه الوقعة يوم السبت لسبع بقين من شوال من سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م[١].

وعلى إثر هذه الوقعة افترق أهل حاضرة جيّان عنها لفرط مخافتهم على أنفسهم، فتعرّقوا عنها وزالوا عن الجبل، ولهذا السبب بنى الأمير محمد حصن أبدة (Ubeda)[٢] بكورة جيّـــان، وضم إليه العرب المقيمي على الطاعة، فسميّت أبدة العرب بذلك، وعيّر الناس ابن أبي العطاف وصاحبه قائدي خيل السلطان بقبح فرارهما عن عَدوه وقلة غنائهما عن سلطانه[٣].

وفي سنةِ ٢٤٠هـ/ (يونيو سنة ٨٥٤)؛ خرج الأمير محمد بن عبد الرحمن بنفسهِ لأهل طليطلة، وهي أو غزوةٍ له منذ توليه إمارة الأندلس سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، وعندما علـم أهـل

---

(١) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٩٤، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٤/٢، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٦٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٢٣٩، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٩٢،سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٤٥، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٦٠. Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p.292.

(٢) أُبَّدة Ubeda: عُبّادة العرب Ubbadat al-Arab: تلفظ بالذال المعجمة كذلك، وهي مدينة صغيرة تبعد عن بياسه Baoza سبعة أميال إلى الشمال الشرقي منها، تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير، أشار الزهري إلى أنها قديمة وهي من المدن التي تصالح عليها موسى بن نصير مع تدمير ملك الروم. (الزهري: الجغرافية، ص١٠٠) وتشير مصادر أُخرى إلى أنّها بنيت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد حصّنها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد اشتهرت هذه المدينة بكروم العنب، وكانت أبدة من المناطق التي سيطر عليها عمر بن حفصون الثائر على بني أمية واستعادها الخليفة عبد الرحمن الناصر، وبقيت بحوزة المسلمين حتى سقطت بيد فردناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م بعد حصار دام ستة أشهر (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٦٤/١، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص٦، العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٧٠، الزهري: الجغرافية ٩٨-١٠٠، المقري: نفح الطيب ١٤٢/١، ٢١٧/٣، ابن حيّان: المقتبس ٦٥/٥، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج/١، ص ٥٦٩، عنان: نهاية الأندلس، ص ١٦، ٢٧، وفيه أن ملك غرناطة محمد الخامس هاجمها سنة ١٣٦٨م لكنه لم يتمكن من احتلال قصبتها.

(٣) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٩٤.

طليطلة بمقدم الأمير محمد نحوهم، كاتبوا أردون الأول بن رذمير ملـــك جليقيـــة واشـــتوريش (٢٣٦- ٢٥٢هـــ/ ٨٥٠-٨٦٦م)، واستغاثُوا بِهِ فبعث إليهم أخاه غشتون، أوغتون Gaston أو Gaton على رأس جيش كبير من النصارى، ولقيهم الأمير محمد بوادي سليط[1]. وقد أورد ابن حيان أحداث لقاء الأمير محمد مع أهل طليطلة سنة ٢٤٠هـــ قال: **(قال عيسى بن أحمد الرازي. قال فرج بن سلام: كان العتاة أهل طليطلة الذين مردوا على نفاق الأئمة أول من نكث بالأمير محمد بن عبد الرحمن، لأول إجماع الناس عليه، فخالفوهم فيه، ولم يؤثروه بيعة، ونـــصبوا الحرب له من بين أهل الأندلس، وكانوا أول من استجاش بالمشركين جيرانهم نصارى أهل دار الحرب على المسلمين إخوانهم، واستمدوهم عليه، فأخرجوا منها جمعاً عظيماً للقـــاء الأميـــر محمد عندما نهد إليهم بصائفة سنة أربعين ومائتين، وكانت هذه الغزاة أول غزاة غزاها محمد بنفسه، وحفل لها بنفسه، فاحتفل الفسقة للقائه، وقايضوه في اعتزامه، وصاروا عن طليطلـــة نحوهُ يبغون صده عن وجهه والإيقاع به وبمن معه. فأعظم المسلمون مـــا أتـــوا بـــه مـــن الاستجاشة بالعدو، واستبصر أولو الصلاح في قتالهم، ولم يتثاقلوا عنهم، فخرج كثير من أهل الحسبة منهم مع الأمير محمد منبعثين من ذاتهم رجالاً وركباناً يطلبون الشهادة في وجهتهم، فلما التقى الفريقان بوادي سليط من أرض المارقين الذي تنسب إليه الوقعة احتال الأمير محمد عليهم بتكمين أكثر جنوده، وراح عليهم في الأقل من عديده، فتبادروا نحوه لا يـــشكون فـــي الظفر به وبمن معه. فلما نشبت الحرب وظهرت الكمائن وتتابعت الردود من عن يمين وشمال سقط في أيديهم وخانهم صبرهم، فانهزموا لا يلوون على شيء، وأخذهم السيف، ودارت بهم**

---

[1] وادي سليط (Guazalete) نهر صغير متفرع من نهر وادي تاجه (riotajo)، وهو يخترق سهلاً يقع في جنـــوب غربي طُليطلة (ابن حيّان: المقتبس، ص٥٩٢ تعليق رقم ٤٩٠.

Léviprovencal; Histaire, vol,1 p.203

الدوائر.... وشعار نبيه ﷺ، وليخشَ كل واحد منكم أن تؤتى هذه العصابة من قِبَلِـهِ اليـوم، فيمحي الدين من هذه الجزيرة)[1]**! فشحذ كلامه من نياتهم، ونهضوا عنه لشأنهم، فرفع محمد يديه إلى السماء، وقال اللَّهُمَّ أيِّد دينك، وانصر وَلِيَّك، وتمم وعدك، واخذل من عاندك وحادّك! قال: فاختلط الفريقان لوقتهم، واجْتَلَدُوا مَلِياً بصِدْقِ ما رُئِيَ أحدَّ منه، وأبلى أهـل الأحـساب وأصحاب البصائر الصادقة بلاءً لا شيء فوقه، فهزم الله أهل طليطلة ومددهم من المـشركين حين انتصف النهار هزيمةً لم تكن لها عطفة، وأخذت السيوف الحرار**[2] **مأخذها منهم، فمـا حانت صلاة الظهر إلا وعلى باب الرواق من رؤوسهم أحد عشر ألفاً، وقد قيل أكثر من ذلك، وأسر من مددهم كثير من القسيسين قدموا فضربت أعنـاقهم، وأخـذ المـسلمون صـلبانهم فنكسوها وكسروها. وذكر حجاج بن عمر بن العريف قال: لم يبرح الأمير محمد عن المنبـر الذي وضع بين يدي الرواق حتى فتح الله عليه، وكومت الرؤوس بين يديه، فأمر بقناة طويلة، فوضع عليها رأس برمند القس**[3] **زعيم جميع النصارى، وركزت القناة قدام باب الرواق، وأمر بالرؤوس المحتزة فأحدقت حولها وتراصت وذروتها تعتلي حتى استوت مع السنان، فـشوهد من كثرتها ما لم يكن يعهد بمثله، وحان أذان الظهر، فأمر الأمير محمد المؤذن، فاستعلى فوق ذروة الكوم، ونادى بالآذان من أعلاها؛وكتب الله للأمير محمد ومن معه من المسلمين نصراً لا**

---

[1] يظهر أن هذه الجمل إنما هي بقية خطبة ألقاها الأمير محمد في عسكره قبل المعركة لإثارة الحماسة في نفوسـهم حتى يستبسلوا في قتال أعدائهم (ابن حيّان: المقتبس ص٢٩٧، الحاشية رقم١).

[2] الحرار: العطاش.

[3] عند ابن عِذاري ورد اسمه غشتون أوغتون (Caston أو Caton) غير ما يسميه ابن حيّان هنا (Veremundo) ابن حيّان: المقتبس، ص٥٩٢، التعليق رقم ٤٩١).

من المسلمين نصراً لا كفاء له...[1]. البلاد، وهنأته به الخطباء، وامتد [حته] به الشعراء، كان من ذلك ما قاله عباس بن فرناس من قصيدة له] [الطويل].

[ومُخْتَلِف الأصوات مُؤتَلِفِ الزّحـفِ	**لَهـومِ الفـلا عَبْـلِ القنابِـلِ مُلْتَـفِّ**
إذا أومَضَتْ فيه الـصَّوارم خِلْتَهـا	**بُرُوقاً تراءَى في الجهامِ وتَسْتخفي]** [2]
كـأنَّ ذُرى الأعـلامِ فـي سَـيلانِهِ	**قَراقيرُ يَمّ[3] قـد عَجـزْنَ عـن القَـذْفِ**
وإنْ طَمَحَتْ أركانُهُ[4] كان قُطْبُـهُ[5]	**حجـى مَلـكٍ نَجْـدِ شَـمائِلُهُ عَـفِّ**
سَـمِيِّ خِتـامِ الأنبيـاءِ مُحمَّـدٍ	**إذا وُصِفَ الأملاكُ جـلَّ عـن الوَصْـفِ**
فَمنْ أجْلِهِ يـوم الثُّلاثـاء غَـدْوَةٌ[6]	**وقد نَقضَ الإصباحُ جُلَّ[7] عُرى الـسّجفِ**
بَكـى جَـبلا وادي سَـليطٍ فـأَعْولا	**على النَّفَـرِ العُبْـدان والعُـصبةِ الغُلْـفِ**
دَعاهُمْ صَرِيخُ الحينِ[8] فاجتمعوا لَـهُ	**كما اجتَمعَ الجعـلانُ[9] للبعَـر القُـفِّ[10]**
يُريـدون إرعـابَ الأميـرِ جهالـةً	**بسعر كلابِ الحربِ في حشوةِ العصفِّ[11]**

---

(1) هكذا من المصدر المحقق.

(2) أثبت البيتين الأولين من هذه القصية ابن عذاري في البيان المغرب (١١١/٢) وابن عبدربه في العقد الفريد ٤/ ٤٩٥- ٤٩٦.

(3) كذا جاء بهذا الشطر أيضاً في العقد الفريد، وفي البيان المغرب "قراقير في يم عجزن عن القذف".

(4) في البيان: "طحنت أرحاؤها"، وفي العقد: "جحنت أركانه".

(5) في البيان والعقد "قطبها".

(6) في العقد: غزوة.

(7) في البيان: حبل، وفي العقد: حل.

(8) في العقد: العير.

(9) في الأصل: الجعران، وقد صوِّبت عن البيان والعقد.

(10) في البيان: في وقف، وفي العقد: في قف.

(11) هذا البيت انفرد به الأصل فلم يرد في المرجعين المذكورين. (ابن حيّان: المقتبس، ص٣٠٠، الحاشية رقم١)

[فما كــان إلا أن رمــاهُم ببعــضها فولَّوا على أعقاب مهزولــةٍ كُــشفِ][1]

كــأنَّ مــساعيرَ المــوالي علــيهمُ زمــاميجُ حــادت للغرانيــق بالنَّــشف[2]

بنفسي تنانين[3] الوغى حين صممت إلى الجبل المشحونِ صــفّاً علــى صــف

يقول ابن بُلوشٍ لموسى وقد دنا[4]: أرى الموت قُدَّامي وتحتي ومــن خلفــي

قتلنــاهم الفــاً وألفــاً ومثلهــا وألفــاً وألفــاً بعــد ألــف إلــى ألــف

سوى من طواه النّهر في مُــسلَحّبهِ فأُغرقَ فيــه أو تَدَهْــدَهَ مــن جُــرْفِ[5]

لقــدْ نعمــتْ فيــه غــزاةُ نُــسورنا وسمَّعتِ الــذُّؤبانُ قــصفاً علــى قــصفِ

وجارت ثنايا قيه اغيــر مــا يــدٍ[6] غــداة قفلنــا مــن نُــسورِهمُ العُجــفِ

وقول مؤمن بن سعيد الشاعر ند عباس[7] ورسيله في قصيدة له [البسيط]:

شَــــهِدْتُ أنَّ ولــــيَّ الله منــــصورُ وأنَّ مــن حــاربَ الإســلامَ موتــورُ

---

(1) لم يرد هذا البيت في الأصل موجود في البيان المغرب ٢/٢١٢ وفي العقد الفريد ٤/ ٤٩٦. (ابن حيّان: المقتبس، ص٣٠٠، الحاشية رقم ٢).

(2) ورد هذا الشطر في البيان: "شواهين جادت للغرانيق بالنسف" وفي العقد: "شواهين جادت للغرانيق بالسيف".

(3) في العقد: تنانير.

(4) في البيان: "يقول أبو يوليش لموسى وقد ونى"، وفي العقد: "... إن بليوس... ولى".

(5) في الأصل: سوى من طواه الموت في مستحله" وقد آثر المحقق د. محمد علي مكي قراءة البيان في الشطر الأول؛ وفي العقد "مستلجه" بدلاً من "مسلحبه"؛ وآخر البيت في البيان "أو تذأذأ من جرف"؛ وفي العقد: "أو ترى من الجرف" (ابن حيّان: المقتبس، ص ٣٠، الحاشية١).

(6) كذا ورد هذا الشطر في الأصل، وقد يكون "وحازت ثناياها على غير ما يد"، ولم يرد هذا البيت ولا سابقة في البيان ولا في العقد. (ابن حيّان: المقتبس: ص٣٠١، الحاشية ٢).

(7) أوردت له ترجمة سالفة الذكر.

أضحى الإمام لنا حصناً نلوذ به   إن يأتنا حَدَثٌ أوزا [رَ محذورُ]

أنصارُ صدق لدين الله كلّهُمُ   مستبشرٌ بف[توحٍ منه مسرورُ]

شُوس تراءت لهم في كل معترك   -فيقدمون- عذارى الجنَّة الحورُ

وقادهم من بني مروان نحوهم   إمام عدلٍ به الإسلامُ منصورُ

محمدٌ خيرُ من يَمشي على قَدَمِ   ومن إليه تناهى المجدُ والخِيرُ

هو الإمام الذي لا البخلُ شيمتُهُ   ولا الفرار إذا التفَّ المساعيرُ

أغرُّ كالبدر ينجابُ الظّلام به   ويرجع الطرفُ عنه وهو محسور

ياابنَ الخلائفِ لا زالت مكررةً   أيامُكَ البيضُ حتى يُنفَخَ الصُّورُ

لولاك ما انفرجت عنا ولا انكشفت   ظلماءُ لا فرجةٌ فيها ولا نُورُ

أضحت طُليطلة الفُسّاقُ مقفرةً   محزونةً قد خلت من أهلها الدُورُ

أَقَدْتَ بأسكَ من فيها فقادهمْ   إلى مصارِعِهمْ حينٌ وتغريرُ

أبقى لك الحمدَ ما ناحَتْ مطوَّقَةٌ   يوماً، فقتْلُ عداةِ الله مذكورُ

فاسلَمْ عزيزاً بك الإسلام في نِعَمٍ   والعيشُ في ظلّها جَذْلانُ محبورُ

هذا مجمل لأحداث **(وقعة وادي سليط)** كما نقلها لنا ابن حيّان نقلاً عن الرازي وغيره، وقد نقلت لنا كذلك المصادر التاريخية أحداث هذه المعركة، لكن باختصار فوجدنا أن نص ابن حيّان هو الأوفى والمفصل[١].

---

[١] النص موجود عند ابن حيّان في المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٩٥- ٣٠٤، وللمزيد عن معركة وادي سليط انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٢٩٤ أحداث سنة ٢٤٠هـ، ابن خلدون:

رغم ما لحق طليطلة وأهلها من الدمار والقتل، ورغم هزيمتهم الشنيعة؛ إلا أنّهم لم تخمد نارهم، ولا خبا ثارهم، فعمل الأمير محمد رحمه الله على تحسين قلعة رباح وشحنها بالجند لتكن لأهل طليطلة بالمرصاد، وليضيّقَ على أهالي طليطلة[١].

وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م؛ بعث الأمير محمد ابنه المنذر بالصائفة إلى طليطلة، فحاصرها ونسف معائشها[٢]. وفي سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م، خرج أهل طليطلة وأغاروا على مدينة طلبيرة (Talavera)، وكان قائدها مسعود بن عبد الله العرّيف، فانهزم أهل طليطلة وقُتل أكثرهم، وحُمل إلى قرطبة سبعمائة رأس من رؤوسهم، وكان العرّيف مسعود قد عمل لهم الكمائن فأوقع بهم، وهزمهم شر هزيمة[٣] وفي سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٧م كانت الوقعة العظيمة على

العِبر ٤/ ١٦٧ في خَبرٍ قصير، أحداث سنة ٢٤٠هـ، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ٩٤- ٩٥، حيث ذكر أن أهل طليطلة قد استجاشوا بأردن بن أدفونش (Ordoño I)، الذي حكم جليقية واشتوريس بين سنتي (٢٣٦-٢٥٢هـ ٨٥٠- ٨٦٦م)، ونسبته هنا خطأ إذ أن ابن رذمير لا ابن أدفونش. (ابن حيّان: المقتبس، ص٥٩٢ التعليق رقم ٤٨٩)، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢٢/٢، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٥٠، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/١، ص ٢٩٢- ٢٩٣، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٤٥، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٩٢- ٦٥،

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol,1 , p. 355, Lévi provencal: Histoire de L'espange Muslumone, vol, I, p. 293- 294, Shanchez- Albornoz: La Jornado del Guadacelete, dans D.R.A.H.,T, C, 1932, p. 691- 700.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٢٩٦. النويري: نهاية الأرب ٢٢٧/٢٣، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٥/٢ وزاد(... وترك بها عاملاً حارث بن بزيع).

(٢) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٤- ٣٠٥. ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٦/٢، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص ٢٩٤- ٢٩٥، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٤٥، Lévi provencal: Histoire, vol.I, p.294

(٣) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٩٦/٢، النويري: نهاية الأرب ٢٢٧/٢٣، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٦٧، أحداث سنة ٢٤٣هـ لكنه قال أن الأمير محمد هو من سار إليهم، ثم صالحوه ثم نكثوا، ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٩٨. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/٢، ص ٢٩٤- ٢٩٥، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٤٥.

أهل طليطلة، فأوقع بهم الأمير محمد عندما هدم قنطرتهم المشهورة، قال ابن حيّان من خلال حديثه عن أحداث سنة ٢٤٤هـ: **(فيها غزا الأمير محمد بالصائفة بنفسه إلى طليطلة، وقد قلَّ عددهم، وانفل حدهم، وضاقت معيشتهم، فتجلدوا مع ذلك لُقراعه، واستسندوا إلى منعة مدينتهم، وواضعوا القتال على قنطرة نهرهم، ورتبوا بباب المدينة ردودهم، فحاربهم أياماً، ونال منهم، وكادهم بقطع قنطرتهم، فجمع لذلك الحذّاق من عُرفاء البناة، فأداروا الرأي في تناولها، وشرعوا في قطعها، والغواة يسخرون منهم ويعجزون طوقهم، فتهيأ للفَعَلَةِ الدائبين عليها أن قطعوها وهم قيام فوق ظهرها في خلق كثير قد اصطفوا للحرب رافعين لِعَلَمِهِم، فلم يشعروا حتى اندقت القنطرة جملة بمن كان فيها هاوية في النهر، فهلك كثير منهم، وتدهدهت صخورها عليهم من كل ناحية، فسقط في أيديهم، وعظمت مصيبة قنطرتهم عليهم، إذ كانت من أعجب حنية عقدت، وأبدع جسر أتقن، فعظم عندهم الفجع بها، واشتدَّ سرور الأمير محمد بحربهم عليها)**[١].

وقال ابن حيّان: فقال شاعره عباس بن فرناس[٢] يغبطه بما تهيأ له في شعر مدحه به[٣] [السريع]:

Lévi provencal: Histoire, vol, I, p. 294- 295.

(١) نصّ ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٥- ٣٠٦، ابن عِذاري: البيان المُغرب، ٩٦/٢، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٧، الحِميْري: الروض المعطار، ص٣٩٤، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٣، المقري: نفح الطيب ١/ ١٦٢، وذلك من خلال حديثه عن قنطرة طليطلة وخرابها، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/ ١، ص ٢٩٦، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٤٦، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٦٦- ٦٧. Lévi Provencal, Histoire, vol, I, p. 295.

(٢) أوردت له ترجمة سالفة الذكر.

(٣) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٦- ٣٠٧.

يا بْـنَ الخَلائِـفِ يـا مُحمَّـدُ يـا	**مَـنْ سَـيْفُهُ فـي راحَـةِ النَّـصرِ**
ما إن تقومُ لحرٍّ بأسِـكَ فـي الـ	**ـدُّنيا مُحَـضَّةٌ مـن الـدَّهر**
[أضـحتْ طُليطلـةٌ معطَّلـةً	**مـن أهلهـا فـي قبـضةِ الـصَّقرِ**
تُرِكَـتْ بـلا أهـلٍ تؤَهّلهـا	**مهجـورةُ الأكنـافِ كـالقبرِ]** [١]
مـا كـان يُبقـي الله قنطـرَةً	**أضـحتْ سـبيلَ كتائـبِ الكُفـر**

وفي سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م؛ عقد الأمير محمد أمانَ أهل طليطلة وهو الأمان الأول. قال ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة ٢٤٥هـ: **(قال أحمد بن محمد الرازي: فيها عقد الأمير محمد أمان أهل طليطلة، إذ كانوا أظهروا الإذعان بطاعته، والليا‍ذ بأمانِه، على شروطْ أعطاهم إيّاها،...)**[٢] وقال ابن عِذاري: **(وفي سنة ٢٤٥، دعا أهل طليطلة الأمان، فعقد الأمير لهم؛وهو الأمان الأول)** [٣]. ثم إنّهم نكثوا العهدُ الذي أعطاه لهم الأمير محمد بن عبد الرحمن ولم يحفظوه، وغدروا بالأمير وعادوا لما كانوا عليه؛ شق عصا الطاعة والخلاف.

(... لم يقيموا عليها إلاّ ريثما تنفَّسَ مخنقهم، فنكثوا به، وانتقبضوا سريعاً عليه فأدخلوا لب بن موسى[٤] **بلدهم، وعادوا إلى الخلاف، فعمد إلى مغاورتهم)**[٥].

---

(١) هذا البيت الثالث والذي يليه الرابع إضافةً من نفح الطيب للمقري ١/ ١٦٣.

(٢) ابن حيّان:المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٧.

(٣) ابن عِذاري: البيان المُغرب، ص/٩٦.

(٤) هو: لب بن موسى بن فرتون بن قسى، ينتهي نسبه إلى قسي من أشراف القوط، وأسرته بالثغر الأعلى (سرقسطه Zaragoza) أسرة عريقة، وعند ابن حزم: (كان قسى قومس الثغر الأعلى في أيام القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس لحق بالشام، وأسلم على يدي الوليد بن عبدالملك، فكان ينتمي إلى ولائِه، وكان بنو قسى أول أمرهم إذا وقعت العصبيّة بين المضرية واليمانية، يكونون في جملة المضريه). وهكذا فقد حافظوا على امتيازاتهم وأملاكهم ومراكزهم في الإسلام كما كانوا خلال سيطرة القوط على إسبانيا. وسار أبناؤه فيما بعد على سنّة، يهمهم الحفاظ على امتيازاتهم قبل كل شئ فيخدمون من يحققها لهم مسيحياً كان أم مسلما أمويا. وهكذا نراهم يخضعون للأمـراء

وفي سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م خرج الأمير محمد إلى ماردة، لكنه أظهر لأهل طليطلة أنه قاصدهم، وتقدّم بالمحلات إلى طريق طليطلة[١]، وربما كان هذا الأمر من الأمير محمد لإخافة

الأمويين في فترة الإمارة ويوليهم هؤلاء عمالاً لهم في منطقة الثغر الأعلى (سرقسطة). وقد ظل بنو قسي موالين لإمارة قرطبة حتى إمارة عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وقيامه بتعيين عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامى على إمارة سرقسطة وأخيه عامر على تطيلة. وقام بنو كليب من عرب جذام باضطهاد بني قسى وعلى رأسهم موسى بن موسى القسوي وأغاروا على خيلة وانتهبوا أمواله وقطعوا ثماره، فجاهر موسى بن موسى بالعصيان والثورة سنة ٢٢٦هـ (٨٤٠م). وفي سنة ٢٢٧هـ (٨٤١م) خرج المطرف بن الأمير عبد الرحمن على رأس الحملة الصيفية إلى نصارى بنبلونه، فأوفد موسى بن موسى ابن فرتون على رأس فرسانه للانضمام إلى الحملة مما أثار المطرف بسبب تخلفه فرفض إمداداته وأعادها، كما أوصى أبوه الأمير عبد الرحمن بتولية حارث ابن بزيع سرقسطة لمحاربة موسى بن موسى، ولكن موسى نجح في هزيمته وتمكن من أسره مع بعض أعوانه، مما دفع الأمير عبد الرحمن للسير لغزو الثغر الأعلى في سنة ٢٢٨هـ (٨٤٢م) والاعتراف بسيادة بنى قسى في المنطقة. وتقلب موسى بن موسى بين الطاعة والثورة حتى سنة ٢٣٥هـ(٨٤٩م) وولاه عبد الرحمن في أواخر فترة حكمه مدينة تطيلة ثم أسند إليه ولاية سرقسطة في سنة ٢٣٨هـ/ (٨٥٢م). وبعد توليه الأمير محمد بن عبد الرحمن أقره على ما بيده. وفي صيف سنة ٢٤٧هـ (٧٦١م) طلب موسى ابن موسى من الأمير محمد أن يكون طريق الحملات الصيفية الغازية لممالك الشمال المسيحية عن طريق آخر غير المار بمنطقته نظراً لما يصيب أراضيه من الدمار، فأجابه الأمير إلى طلبه، ثم توفي موسى بن موسى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م). وقد آلت زعامة بني قسى إلى أبناء موسى بن، إسماعيل، مطرف، فرتون. وترأس لب بن موسى رئاسة بنى قسى وتغلب على الثغر الأعلى سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما. وقد توفى لب ابن موسى بن موسى سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م). وظل بنو قسى يحملون لواء الثورة في الثغر الأعلى ضد حكومة قرطبة إلى أن نجح الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) في القضاء على دولتهم في الثغر الأعلى.

للمزيد عن بني قسى انظر: (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢- ٥٠٣، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ٨٦، ٨٧، ٩٥، ٩٧، ١٠٠-١٠٢، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٧، ٩٨، ١٠١، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م من تحقيق أنيس الطباع، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص١، ٤، ٥، ١٦، ٣٠٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٣٨، ٣٨٥. العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٩- ٤٠، المقري: نفح الطيب ١/ ٢٩٢، ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/ ٧٩. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص٢٥٩- ٢٦١، ٢٦٥، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠- ٣٠٢، حسين:أضواء جديدة على ثورات طليطلة، ص٦٩- ٧٠ مع الحواشي،

Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p. 214- 218, 312-322.

Aguado bleye: Manuel de La Historia de Espana, p. 500- 507.

[٥] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٠٧

[١] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص٣٢١، ابن عِذاري: البيان المُغرب٢/١٠٠.

أهل طليطلة، وإظهار القوة أمامهم، حتى لا يفكّروا بالثورة من جديد، وعند ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة ٢٥٧هـ، أن أهل طليطلة قد عادوا إلى الطاعة، وأنهم طلبوا من الأمير محمد أن يولّي عليهم أحد زعمائهم وهو: (محمد بن بلوش) ثم قتلوه بعد أن ولاه الأمير محمد[١] ويشير حسين إلى أن طليطلة ربما بقيت مواصلةً انتزائها على الإدارة المركزية بقرطبة طوال عهد الإمارة، وإنْ كانت تتبعها في كثير من الأحيان تبعية اسمية تتمثل في دفع الخراج السنوي، وأشار كذلك إلى أن ما يؤكد حديثه: اختيارهم لمحمد بن بلوش أميراً عليهم مع إسباغ ولايتِهِ الصفة الشرعيّة، عن طريق الحصول على موافقة الأمير محمد[٢]، وقد اعتمد حسين على ما أورده ابن حيان من خلال أحداث سنة ٢٥٧هـ؛ أنّ أهل طليطلة كانوا يومئذٍ بين الانتزاء والطاعة[٣].

وفي سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م كانت للأمير محمد غزوةً إلى طليطلة قال ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة ٢٥٨هـ: **(فيها غزا الأمير محمد طليطلة النفاق، عندما أعيا عليه أمر أهلها الفساق، ففصل إليها بجنده وعدته لخمس مضين من رجب من هذه السنة، ونازلها...)**[٤].

وفي سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م تحرك الأمير محمد بن عبد الرحمن على رأس جيش قاصداً غزو طليطلة، ونازلها في شهر شعبان من سنة٢٥٩هـ؛ وحاصرها، وكان أهلها قد حالفوا عليه، فأخذ رهائنهم بعد أن طلبوا منه الأمان، قال ابن حيان: **(وغزاها بالصوائف عاماً بعد عام، حتى**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص٣٢٧، والتعليق رقم ٥٣٥، ص ٦١٠.

(٢) حسين، حمدي عبدالمنعم حسين، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٧٠-٧١.

(٣) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، ص٣٢٧.

(٤) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٢٨.

أثرّت فيهم ونالت منهم، فصاروا إلى طلب الأمان والإذعان بإيتاء الجباية وقبول العمال وبذل الذهن على التزام الطاعة)[1] وعقد لهم الأمان، واختلفت آراءهم وأهواءهم فيمن يولّى علـيهم، فطلب البعض تولية مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب المولد[2]، واتفق آخـرون علـى توليـة طربيشة (Tarpeza) بن ماسونة[3]، وقيل ماسوية[4]، وكان كذلك من المولدين، وعندما شـاور الأمير عبد الرحمن وزراءه أشار عليه وزيره والقائم بدولته هاشم بن عبد العزيـز[5] بتوليهمـا

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٢/ ٢٧٦.

(٢) هو: مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، أحد زعماء طليطلة وهو من المولدين، وفي التعليق رقم ٥٤٠، ص ٦١٢ من كتاب المقتبس يقول الدكتور مكي: (فلا نعرف عنه شيئاً سوى ما جاء هنا أي اختياره لولاية طليطلة، وقد أورد ابن حيّان في كتاب المقتبس الجزء الخاص بالأمير عبد الله بن محمد من نشر انطونيا، ص١٤٠، من خلال أخبـار سنة ٢٩٠هـ اسم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب قائلاً: إنه كان يقتسمُ مشيخة طليطلة مع زعيم آخـر يـدعى يحيى بن قطام، وذكر أن هذين هما من استدعيا لب بن محمد بن لب بن موسى القسوي إلى دخول طليطلة، فبعـث لب أخاه مطرف بن محمد فدخل طليطلة سنة ٢٩٠هـ، ومطرف هذا ليس الذي تقاسم زعامة طليطلة مع طربيـشة سنة ٢٥٩هـ، وما هذا التوافق إلا بالاسم وبنزعة التمرّد وقد رجّح مكي هذا الأمر وهو توافق في الاسم والنزعة. للمزيد (ابن حيّان: المقتبس من نشر ملشور انطوانيا، ص ١٤٠، المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٦١٢، التعليق رقم ٥٤٠).

(٣) هكذا وردت عند ابن حيّان في المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٣٠.

(٤) هكذا وردت عند ابن عِذاري في البيان المغرب ٢/ ١٠١.

(٥) هو: هاشم بن عبد العزيز، من أبرز وأهم وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد فوّض إليه الأمير محمد أمور دولته كان تيّاهاً معجباً بنفسهِ حقوداً لحوحاً، فأفسد الدولة، وكان سيء السيرة مع العسكر، وقد أساء الأدب كذلك مع الأمير المنذر فحقد عليه، حتى قتله بعد أن سجنه أول دولته سنة ٢٧٣هـ. (ابن سـعيد: المغـرب ١/ ٢٣- ٢٤)، وهو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وقد اجتمعت به خصال لم تكن في غيره من البـأس والجـود والفروسـية والكتابة والبيان، وقرض الأشعار البديعة، وقيل أنَّ الأمير المنذر حقد عليه لبيتين قالهما أثناء دفن الأميـر محمـد وهما [الوافر]:

أُعزّي يا محمد عنك نفسي — معـــاذ الله والمنَنِ الجســامِ

فهلا مـــات قوم لم يموتوا — ودوفع عنك لي كأس الحمامِ

جميعاً، وبذلك تقسّم مدينة طليطلة إلى قسمين متساويين، يحكم كل منهما قسماً، لكن الطمع تسلط عليهما، وبدأ كل منهما يتطلع للاستقلال والسيطرة لوحده، والانفراد بملك طليطلة، وربما بعدت أنظارهم إلى ما هو أكبر من ذلك بعد السيطرة على طليطية، وهو الاستقلال عن الحكومة المركزية في قرطبة[١].

ثم نجح الداعون إلى طربيشة إلى تقديمه، وتأخير ابن مطرف[٢]، وكان أهل طليطلة قد خرجوا إلى حصن سكتان[٣] وكان يضمُّ حاميةً من البربر تتألف من سبعمائة كانوا أعلنوا تأييدهم لموسى بن ذي النون الهواري الثائر بشنت برية (Castro de santaver)، وكانوا هؤلاء البربر يغيرون على أطراف طليطلة، وقد آذوا أهلها، فخرجوا إليهم لكف بأسهم وآذاهم، وعندما دارت رحى المعركة تقدم طربيشة لوحده مع أتباعه، أما مطرف فقد انهزم بأنصاره أمام البربر، ورغم أن جيش طليطلة كان يتألف من عشرة آلاف إلاّ أن مطرف فرَّ منتقماً من طربيشة حتى بقي هو ومن معه، لتصفى الأمور له وحده، وكانت الهزيمة لطربيشة ومن معه. وبذلك تخلوا الأمور

وهذان البيتان لأبي نواس، وقد ذكر ابن الآبار نقلاً عن الرازي أن هاشم عندما سجن بكاه أهل قرطبة لأنه كان مبسوطاً للعامة والخاصة (للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء ١/ ١٣٧- ١٤٢).

(١) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٢٩، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ١٠١، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٩، ابن الأثير: الكامل ٥/ ٣٧١.

(٢) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٠١.

(٣) حصن سكتان: كان يقعُ في شمال غرب مدينة طلبيرة، ومن خلال حديث ابن حيّان عن أحداث سنة ٣٢٩هـ يقول أنه مدينة وأيده في ذلك ابن عِذاري قال ابن حيّان: (فيها استتم الوزير القائد أحمد بن محمد من اليأس بنيان مدينة سكتان، من قاصية الجوف وشحنها بالرجال، وأعدّ فيها الأطعمة والأسلحة) فعلى ما يبدو لنا من خلال الحديث أنّها كانت حصن وأحدثت مدينة (ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٤٦٥، ابن عِذاري البيان المغرب ٢/ ٢١٠).

لمطرف وحده حتى يحكم طليطلة حسبما أفادنا ابن عذاري[١] وهذه آخر الأحداث لمدينة طليطلة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، فمن المرجّح أن أمر أهالي طليطلة قد استقام بولاية مطرف لهم، وربما كانوا يتمتعون بشبه استقلال عن الإمارة المركزية.

طليطلة في عهد الأمير المنذر بن محمد

(٢٧٣هـ/ ٨٨٦م- ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

كانت وفاة الأمير محمد يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣هـ، وقيل في غرّة ربيع الأول رحمه الله. وقد بويع المنذر لإمارة الأندلس بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، فقد اتصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يقاتل المرتد والثائر على بني أُمية عمر بن حفصون، فقفل إلى قرطبة وتمت له البيعة.[٢] لقد قدرّ الله أن يفتتح المنذر عهده بمواجهة الثورات والفتن التي نغصت عليه إمارته، وبقيت نارها تلفح أخاه عبد الله حتى أخمدها الله بالناصر عبد الرحمن أول الخلفاء من بني أمية بالأندلس. فوجّه المنذر أول ولايته حملةً عسكريةً إلى مركز الفتن والخلاف طليطلة، وهذه المرّة انضم إلى أهل طليطلة جماعة من بربر ترجيله (Trujillo) [٣] ودارت رحى المعركة التي انتهت بهزيمة أهل طليطلة ومن حالفهم، وسقط منهم آلاف القتلى[٤].

---

(١) للمزيد: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص٣٢٩- ٣٣٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٣٧١، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ١٠١، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٩).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦١/٦، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ابن خلدون: العِبر، ٤/ ١٦٩، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٩- ٢٣٠، ابن سعيد: المُغرب١/ ٢١، ٢٢، ٢٣، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٥٢.

(٣) تُرجيلة (تَرْجالة Trujilo): مدينة بالأندلس غرب طليطلة في الشمال الشرقي من بطليوس، وهي من أعمال مارة، وهي مدينة كبيرة كالحصن المنيع، ولها أسواق عامرة، كان سكانها من البربر، وكانوا يعبرون على بلاد الروم، وهي منزل لقبائل نفرة من البربر، وفي عهد ملوك الطوائف كانت تابعةً لابن ذي النون كغيرها من مدن الثغر الأدنى طليطلة، وبقيت بيد المسلمين حتى سنة ٥٦٠هـ ١١٦٤م، حيث استولى عليها مغامر برتغالي اسمه (جرانده الجليقي Gerraldo sem pavor el Gallego) وعادت إلى المسلمين سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م، على يد أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي، ثم سقطت بيد النصارى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م للمزيد انظر: (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٢/٢، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج١، ص٥٥٠، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص٦٣، ابن حيّان: المقتبس ٣١٥/٥، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٦٤، ١٤٠، ابن خلدون: العِبر ٦/ ٢٤٥، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢١٥- ٢١٦، عنان: دول الطوائف، ص ٩٤، سحر سالم: بطليوس الإسلامية ٢/ ١٩٩، ٢٤٨- ٢٥٠، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ١/ ٣٤٧- ٣٤٩.

(٤) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٦.

قال ابن حيّان: **(فلّجوا في غوايتهم أيام الأمير المنذر بن محمد)** [1]. واشتدت وطأة الثائر عمر بن حفصون على الأندلس، فانشغل به الأمير المنذر، فاستغل هذه الأوضاع المضطربة، موسى بن ذي النون، ليصطاد بالماء العكر، وانتهز هذه الفرصة الذهبيّة بانشغال الإمارة الأموية بمحاربة عمر بن حفصون، الذي لم يعد القضاء على ثورته أمراً سهلاً بعد ما تفاقم أمره، واستفحل بالبلاد واتقدّ جمره، فقام موسى بمهاجمة طليطلة بجيش كبير قد حشده، وكان والي طليطلة والقائم على أمرها (لب بن طربيشة)، وكان لب حاقداً على أهل طليطلة لتركهم لأبيه طربيشة لسيوف البربر المقيمين في حصن سكتان المؤيدين لموسى بن ذي النون الثائر على بني أمية في شنت بريه (Castro de Santaver)، وتخلو عن أبيه حتى لحقته الهزيمة، فلم ينْسَ فعلتهم بأبيه[2] ودارت رحى المعركة بين أهل طليطلة وموسى بن ذي النون وجيوشه وكان ذلك سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٨م، فقام لب بن طربيشه بخطة الانتقام، وانسحب مع أصحابه متظاهراً بالهزيمة، فانهزم أهل طليطلة أمام موسى بن ذي النون، ووضع فيهم السيف[3].

طليطلة في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

(٢٧٥هـ/ ٨٨٨م- ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)

بويع له في اليوم الذي توفي فيه أخيه المنذر في المحلّة ببربشتر (Barbastro)، وذلك يوم السبت النصف من صفر من سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، ثم رجع إلى قرطبة بأخيه المنذر، الذي مات رحمه الله وهو منشغلٌ بعمر بن حفصون محاصراً له في حصن بربشتر. وقد أفضت

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ١/ ٢٧٨.

(٢) أسلفنا حديثاً مفصلاً عن لقاء طربيشة بالبربر وموسى بن ذي النون من خلال حديثاً عن أحداث سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م وللمزيد (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٢٩- ٣٣٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٣٧١، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٠١، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٢٩.

(٣) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق ملشور انطوانيه، ص ١٨.

الخلافة لعبد الله والأندلس نارها تضطرم، والفتن والثوراتُ تجتاحُها من كل حـدبٍ وصـوب، وخرجت معظم بلاد الأندلس من يدهِ حتى لم يبقْ في يده إلاّ مدينة قرطبة[١]. وفي هـذا الـشأن يقول ابن عذاري: (**وأفضت الخلافة إليه، وقد تحيّفها النكُث، ومزَّقها الشقاق، وحـل عراهـا النفاق، والفتنة مستوليةٌ، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعـة منـصدعة، والباطل قد أعلن، والشرَّ قد اشتهر؛ وقد تمالأ على أهل الإيمان حزبُ الشيطان؛ وصار الناسُ من ذلك لفي ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه. وتألبَ على أهل الإسـلام أهلُ الشرك ومن ضاهاهُم من أهل الفتنة، الذين جرّدوا سيوفهم على أهل الإسلام؛ فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً؛ قد انقطع الحرث، وكـاد ينقطع النَّسل، فناضل الأمير بجهده، وحمى بجدّهِ، وجاهد عدو الله وعدّو. وانقطع الجهاد إلى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخُوفُ، فكان قتال المنافقين وأشباههم أوْكَدَ بالسنّةِ، وألزَم بالضرورة**) [٢]. وكان الأمير محمد رحمه الله هو آخر أمراء الأندلس، وهو سابعهم.

لقد كان لكثرة الفتن في عهد الأمير عبد الله أثراً واضحاً سلبياً على الـبلاد الأندلـسية، فخرجت معظمها عن طاعته، وقد كانت طليطلة واحدةً من هذه المدن التي خرجت مـن يـده، وبقيت مستقلةً عن إمارته حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصـر (٣٠٠-٣٥٠هـ) (٩١٢-٩٦١م). ففي عهد الأمير عبد الله بن محمد غلب على طليطلة محمد بن لب بن موسى القسوي[٣]

---

[١] ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٢٠-١٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦/ ٩٥، النويري: نهايـة الأرب ٢٣/ ٢٣١، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٧٠، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٥٢- ٣٥٣، ابن الخطيب: أعمال الأعـلام ٢/ ٢٧-٣٠، الحُميدي: الجذوة، ص١٨، الضبي: البغية، ص٢٠، ابن الآبار: الحلة السيراء ١/١٢٠-١٢٣.

[٢] ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٢١.

[٣] هو: محمد بن لب بن موسى بن فرتون القسوي، وهو ابن جارية لأبيه اسمها (عجبا البلاطيّة)، قد أهداها إليه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وقد كان رهينةً بقرطبة لأبيه الحكم، واشترك في ثورة بني قسى بالثغر الأعلى في

وقد كانت بيد بني ذي النون حيث تغلبوا عليها سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٨م في عهد الأمير المنذر كما أسلفنا[١]، وذلك أن أهل طليطلة استدعوا محمد بن لب بن موسى فدخلها في ذي الحجة من سنة ٢٨٣هـ/ (يناير ٨٩٧م)، واستخلف عليها بعدهُ ابنه لب[٢]، لكن طليطلة خرجت عن طاعته بني قسى بعد مقتل محمد بن لب بن موسى وذلك سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٩م، أي بعد عامين تقريباً من دخوله طليطلة، وفي سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، عادت طليطلة من جديد ليحكمها بنو قسى، فاستدعى مطرف بن عبد الرحمن ابن حبيب، ويحيى بن قطام وكانا شيخا طليطلة؛ **(لب بن محمد بن موسى)** ليعود ويدخل طليطلة، وكانا قد أخذا معهما أخاه المطرف بن محمد بن موسى؛ فدخل

سنة ٢٥٨هـ (٨٧١م) مع أخوته، فدخل سرقسطة وانتزى بها في هذه السنة ومنع عنها الأمير محمد بن عبد الرحمن حينما غزاها في سنة ٢٥٩هـ (٨٧٢م). وفي سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) غزا المنذر بن محمد إلى الثغر وكان معه الوزير القائد هاشم بن عبد العزيز ونازل سرقسطة وقطع ثمارها وانتسف زروعها دون أن يتمكن من فتحها. وفي آخر هذه السنة وأوائل سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) خرج هاشم بن عبد العزيز إلى الثغر الأعلى فاستنزل محمد بن لب عن سرقسطة وابتاعها منه بخمسة عشر ألف دينار على يدي حوشب القاضي، وخرج محمد بن لب عن سرقسطة وصارت إلى عمال الأمير محمد وعوضه الأمير عنها بالتسجيل له على أرنيط Arnedo وطرسونة Tarazona وجريش واستقامت طاعته، فجدد له الأمير المنذر وأخوه عبد الله بن محمد على الحصون المذكورة، وأضيفت إليها تطيله فضلاً عن ملكه منت شون Monzôn ولاردة Lerida ناجرة nãjera وبقيرة Viguera، وكان من مظاهر إخلاصه الطاعة للسلطان أن توجه في غزوة إلى البة والقلاع، فاقتحم بلاد النصارى ودوخها في سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م). ولكنه لم يلبث أن نكث في أول أيام الأمير عبد الله. وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حينما أشجاه أمر بني قسى قد نصب بإزائهم بنى المهاجر التجيبيين، فبنى لهم قلعة أيوب Calatayud ودروقه Darica، وكان يلي سرقسطة في أول أيام الأمير عبد الله أحد هؤلاء التجيبيين وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي، فحسده محمد بن لب ونصب له الحرب مدة من ثماني عشرة سنة متوالية، واستفحل أمر ابن لب حتى أنه عمل على عقد حلف بينه وبين الثائر عمر ابن حفصون في سنة ٢٨٥هـ/ (٨٩٨م) وقواعد الزعيمان الناكثان على الاجتماع ببعض أطراف جيان لتتميم المعاقدة، ولكن محمد بن لب لم يستطع إنجاز الموعد لاشتغاله بمحاصرة التجيبي بسرقسطة فبعث ابنه لب بن محمد نائباً عنه، غير أن هذا لم يكد يصل إلى قرب جيان حتى وافاه الخبر بمصرع والده محمد بن لب لدى باب طليطلة بسرقسطة وهو على حصارها. فخلفه على رياسة الثغر ابنه لب بن محمد بن لب. للمزيد انظر: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٥٣٥- ٥٣٦، التعليق رقم ٣٣١، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٧٢.

(١) ابن حيّان: المقتبس، نشر ملشور انطوانيه، ص١٨.

(٢) ابن حيّان: المقتبس، نشر ملشور انطوانيه، ص١٨.

طليطلة في الثالث والعشرين من ذي الحجة من سنة ٢٩٠هـ/ السابع عشر من أيلول سنة ٩٠٣م، ثم خرج على لب بن محمد بطليطلة محمد بن إسماعيل بن موسى وكان من أبناء عمومته، واستولى على حكم طليطلة حتى سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م، ثم قتله أهلها، وولوا عليهم لب بن طربيشه الذي تحالف مع موسى بن ذي النون سنة ٢٧٤هـ، وتواطأ معه ضد أهل طليطلة، وبقي لب بن طربيشه متولياً أمور طليطلة حتى بداية عصر الناصر عبد الرحمن بن محمد[١]، وسيأتي الحديث مفصلاً من خلال حديثنا عن طليطلة في عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد.



---

[١] ابن حيّان: المقتبس، نشر ملشور انطوانيه، ص١١٨، ١٤٠، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/١، ص ٣٤٠، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٧٩- ٨١،

Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p. 386- 389.

الفصل الثاني

الباب الثاني

طُلَيْطُلة في عهد الخلافة الأموية

(٣٠٠هـ/ ٩١٢م- ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).

- عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (٣٠٠هـ/ ٩١٢م- ٣٥٠هـ/ ٩٦١م).
- عهد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله (٣٥٠هـ/ ٩٦١م- ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م).
- عهد الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله وحجّابه من آل عامر المعافري (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م- ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).

طُليطلة في عهد الخلافة الأموية (٣٠٠هـ/ ٩١٢م- ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)

طُلَيْطُلَة في عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد (النَّاصر)

(٣٠٠هـ/٩١٢م- ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

بويع له بالخلافة بعد موتِ جدّه في مستهل شهر ربيع الأول من سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م؛ وكان جدّه قد سجن أبوه وعمّه المطرف، فقتل المطرِّف أخوه والد عبد الرحمن الناصر، فألقى الله على عبد الرحمن الناصر محبة جدّه، فكان **(يحضّه ويومي إليه ويرشحه للأمر، ويقعده في الأعياد والمواسم مقعد نفسه، ويأمر بالسلام عليه)**، وكان الناصر أول من تسمّى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس، وهو أول خليفة من بني أمية بالأندلس[١]، وقد أفضى إليه الأمر، وما زالت نار الثورات والفتن تضطرم وتحرق بلاد الأندلس. قال ابن الخطيب: **(قالوا: وولي الناصر الأُمور، والأندلس جمرة تحتدم، ونارٌ تضطرم، وقد عظم الشقاق والنفاق، وارتجّت الآفاق، فسكنّها الله بسعدهِ، وعزّه نقيبته، وكان يشبّه بعبد الرحمن الداخل)**[٢] فاستطاع الناصر أن يقضي على كل الثورات، ويخمد نارها، **(فقد طال عمره، واتّسقَ سعده، وبعد صيته، وانتشرت بالعدوة الغربيّة طاعته، وعلت على منابرها كلمته)**[٣] قال ابن الآبار: **(وظهر**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/٦١-٦٥، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/١٥٦- ٢٢٢، ابن عبدربه: العقد الفريد ٤/٤٩٨-٥٢٧، ابن الآبار: الحلة السيراء ١/١٩٧- ٢٠٠، ابن سعيد: المُغرب ١/١٢٢-١٢٦، ابن الأثير: الكامل ٧/٢٨٥، النويري: نهاية الأرب ٢٣/٢٣٢-٢٣٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/٢٦٥، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ٣٠-٣١، الإحاطة ٣/٣٥٣، المقري: نفح الطيب ١/٣٥٣- ٣٨٢، ٣/٥٢٣-٥٢٥، أزهار الرياض ٢/٢٥٧، ٢٨٢، ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة ٣/٣٧٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣/٩٧، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٥٢٣.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/٣١.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/٣١.

لأول ولايتِهِ يُمْنُ طائره، وسعادة جدّه، واتساع ملكه، وقوّة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة- على اضطرامها بكل جهةٍ- وانقياد العصاة لطاعته، ما تعجزُ عنهُ الأوهام، وتكلُّ في تحبيرة الأقلام)[1].

لم يَفُتْ الناصرُ لدين الله وهو صاحبُ العقل الرَّاجح، والهمّة العالية، أنَّ طليطلة كانت قد استعصت على أجدادِهِ من قبلِهِ، وقد أنفقوا من أجل ردّها للطاعةِ الأموال والذخائر العظيمة، والعدد من الرجال. فكم من قادةٍ وجنودٍ قضوا نحبهم وهم محاصرون لها، ليردّوا عصاتها ومن تمرّد على الجماعة وشق عصا الطاعة، فقد أولى الناصر طليطلة اهتمامِهِ البالغ،وجعلها على أولويات خططهِ، وجلّ اهتمامِهِ منذ بداية عهدِهِ، فكان وكما سنرى يباشرُ الغزوَ بنفسه.

قال ابن خلدون: **(وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معروفين بالخلاف والانتفاض)**[2]. وقال في موضعٍ آخر: **(... ثم لم تزلْ طليطلة دار فتنةٍ وعصبيّةٍ ومنعةٍ، أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين، وانتقضت على هشام والحكم وعلى عبد الرحمن الأوسط، إلى أنْ جاء الناصر فأدخلهم في الطاعة كرهاً)** [3]. وقال ابن سعيد: **(كثيراً ما قامت بها الثوار في مدة السلطنة المروانية، ونهض إليها سلاطينهم، وحاصروها فرجعوا خائبين. وملكوها، فعاثوا بأهلها)**[4].

وقال ابن حيّان ما نصّه: **(... لم تزل تتقلب على الأملاك، وتعجز من رامها من أولي القوة والحيلة، ولطال ما أتعبت الخليفة الأول، المُقيم للدولة بالأندلس وأول الداخلين إليها من**

---

(1) ابن الآبار: الحلة السيراء ١/ ١٩٨- ١٩٩.

(2) ابن خلدون: العِبر ١٧٦/٤.

(3) ابن خلدون: العِبر ١٨١/٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٤٣/٦.

(4) ابن سعيد: المُغرب ١١/٢.

بني أُميّة، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، رحمه الله، وقد دانت له الأنـــدلس بحـــذافيرها، وامتنعت هي عليه أعواما سبعة، فما افتَتَحها إلا بعد حرب عوان ومشقّة وعن قهر وغلبة، ثم لم تلبث أن انتقضت على ابنه، الأمام الرِضيّ، هشام بن عبد الرحمن، رحمةُ الله عليهما، مع اتفاق أهل الأندلس عليه، حتى راضها، فعادت إليه ذليلةً، وطاعت له فليلةً، ثم تغلبت على ابنه الخليفة الحكم، وهو ظِرّ الصَّفا الذي لم يتمرَّس به أحد إلا كَبَا، فداولها حتى افتتحها مرة بعـــد مرة، وداسها دوس الحصى، وأذاقها وبال أمرها، ما بين المغاورة والمكايدة، واختلفت بعـــده على ابنه، الإمام عبد الرحمن بن الحكم، رحمه الله، الخفيف الوطأة المحبب إلى الأُمة لدُموثةَ خُلُقه وسكون الناس إلى كنفه، فاعنتته حيناً حتى غيرّ لها خُلُقه، وجمع لها رأيـــه ورؤيتـــه، فملكها مَلْكاً راضها به، ملك معه زمامها طول أيّامه، ولم يكد أمره يزول حتى انتكث على ابنه، الخليفة محمد، رحمه الله، على لين جانبه وسلامة ضَيْره، فصمد لهـــا لأول وقتـــه، وغزاهـــا بالصوائف عاماً بعد عام حتى أثَّرت فيهم ونالت منهم، فصاروا إلى طلب الأمـــان والإذعـــان بإيتاء الجباية وقبول العمال وبذل الرهن على التزام الطاعة، لبثوا بذلك مُدَيْدة، فلمـــا مـــضى لسبيله، وقد نجمت ببلد الأندلس الفتنة واضطرب الحَبْل، ابتدروا النُكث وسارعوا في المعصية، فأخذوا من ذلك بأوفر نصيب، وجاهروا بالخلعان، ونبذوا الطاعة، وتكشّفوا في الغواية، واتفق أن شغل السلطان عنهم بمن هو أقرب إليه من العصاة بالموسطة[١]، فلجّوا في غوايتهم أيـــام الأمير المنذر بن محمد، ووصلوا ذلك أيام الأمير عبد الله بن محمد أخيه، رحمة الله علـــيهم، على امتدادها، فلم يقلعوا عن غواية ولا تمسّكوا بعروة من عرى الطاعة، وجاء الله أَثَراً ذلك بأيام الإمام الناصر لدين الله، كاشفة الطَخْية، التي اهتدى بسناها كل غاوٍ وأصحب لها كلّ ناب، فمضوا على غيّهم وتمادوا في ليّهم، وظنّوه كمن سلف ممن تمرَّسوا به، حتى بلوه فجاشـــهم

[١] يشير ابن حيّان هنا إلى الثائر عمر بن حفصون.

بالساعد الأشد، وآلاهم[1] بالغزوة السرمد، ونصب الجيوش حولهم، واتخذ الحصون علــيهم، وجبَّ حبال من كان يمدهم في غوايتهم، حتى انفردوا بسوء الفهم، فلم يطيقــوا ولا قــاوموا كَيْده، إلى أن مَلَكَ نواصيهم وهدم صَيَاصِيَهُم[2]، فأدخلهم في الطاعة كرهاً، وأفْحَــم الجماعــة قسراً، وساسهم سياسة لم يطيقوا لها نقضاً، حسبما يجيء ذكره بعد هذا، وبالله المعونة)[3].

ففي سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، خرج للغزو في حملته المعروفة بمويش، وعند نزوله علــى مدينة طليطلة؛ خرج لاستقباله القائم عليها لب بن طربيشه السالف الذكر، الذي تولى أمرها سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م بعد أن قتل أهل طليطلة محمد بن إسماعيل بن موسى بن لب القسوي، وكــان لب بن طربيشه قد أعلن وأفصح للناصر عن رغبته بالمشاركة في هذهِ الغزوة، وحقيقته غيــر ذلك إذ كان يخفي ناراً مضطرمة تحت رماد، لبس أمام الناصر جلد الضأن، ونفسه نفس ذئــب غدور **(وهو في ذلك يظهر طاعةً تحتها معصية)**[4]. والجدير هنا بالذكر أن الناصر ورث الدولة وخزانتها تشكو من قلة المال، فَجَدُّه عبد الله كان قد أنفق ما في الخزانة لقتال عمر بن حفصون، ولأن البلاد التي خرجت عن الطاعة لم تعد تؤدي الخراج. قال ابن خلدون: **(ولمّا كثر الثوار قلَّ الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء وكان خراج الأنــدلس قبلــه ثلثمائــة ألــف دينــار (٣٠٠٠٠٠)، مائة ألف للجيوش، ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض، ومائة ألف ذخيرةً**

---

[1] قد تكون ووالاهم وهذا أفضل، المقتبس ٢٧٧/٥، الحاشية (٣).

[2] الصَّياصي:البروج المشيدة العالية.

[3] نص ابن حيّان: المقتبس ٢٧٦/٥– ٢٧٨.

[4] ابن حيّان: المقتبس، ٥/ ١٦١– ١٦٢، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٧٥– ١٧٦، حسين: أضواء جديدة حــول ثورات طليطلة ص٨١، Léviprovencal: Histoire, vol, II, p.26.

ووفراً **فأنفقوا الوفر في تلك السنين وقلَّ الخراج)** [1]. وقال النويري: **(...واتصلت عليهم الحروب خمس عشرة سنة فنفذت ذخائرهم واحتاجوا للقروض)**[2]. وعند ذلك وجد الناصر أنَّ الغزو والجهاد أقرب الطرق لتسكين الثورات وجمع الأموال. وبالفعل **(فاتفق أنّ صاحب الدوجر أغار على قرطبة في نحو ثلمائة فارس فهزمه عبد الرحمن وأسره، فسلّم إليه الحصن بجميع ما فيه فتقّوى به)** [3].

واستمرّ الناصر لدين الله كما أجمعت المصادر على الغزو بنفسه، يدكُّ حصون النصارى، ووضع جزيةً يؤديها ملوك وأصحاب البلاد التي كان يغزوها، حتى اجتمعت له الأموال، وغصّت خزائنه بها، واجتمع عنده من الذخائر والأموال ما مكّنه من متابعة إخماد الثورات المتأججة في الأندلس، حتى استطاع بتوفيقٍ من الله القضاء على الثورات التي كانت نارها مشتعلةً زمن جدّهِ، وَصَفَتْ له البلاد، وأحبته الرعية، وحسن في عيون العباد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

لقد كانت في عهد الناصر نقلة نوعية، حيث تغيّر لقبه من أمير إلى خليفة، وهو أولُّ من تلقب بالخلافة، وتسمّى بأمير المؤمنين من سلاطين بني أمية بالأندلس وكان ذلك سنة ٣١٦هـ[4] وخاصةً بعد أن ضعفت الخلافة العباسيّة في المشرق، واستبد موالي الترك ببني العباس وظهور الشيعة في المغرب، وقد كانوا يدعون للمهدي، ثم كان مقتل المقتدر العباسي على يد رجال

---

(١) ابن خلدون: العبر ٤/ ١٧٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٥/٦، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٢، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٥٢.

(٢) النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٢.

(٣) النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٣.

(٤) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٩٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ٣١.

مؤنس المظفر مولى الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ[١]. ولقد بيَّت الناصر لدين الله العـزّم علـى إخضاع جميع البلاد التي كانت قد خرجت عن طاعة آبائِهِ وأجدادهِ من قبله، وخاصةً طليطلـة التي طالما حاصرتها الجيوش، ونارها تضطرم عام بعد عام، حيث عزم الناصر علـى إخمـاد نيرانها مهما كلّف الأمر. قال ابن الخطيب: **(وهو الذي استنزل الثوار، وأعظـم فـي الكفـر النكاية، فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ولا نازعه منازع ودخل الناس أفواجاً في طاعتـه ورغبوا في مسالمته)** [٢]. وقال ابن خلدون: **(وقاتل المخالفين حتى أذعنوا، واسـتنزل الثـوار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم، وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معـروفين بـالخلاف والانتفاض)** [٣]. فأرسل الناصر إلى أهلها وفداً ليتفاوض معهم لنبذ ما سبق من الخلاف، والعودة إلى الطاعة والجماعة، لكن الوفد خابت آماله، وأخفق في ما ذهب إليه، فلم يتحقـق أي شـيء، فأهل طليطلة كانوا قد جُبلوا على الشقاق والنفاق، وعقولهم وسلوكهم صعبة وقاسـيةٌ كوعـورة بلادهم، وكانوا معاندين ميالين للعصيان، وقد ضنّوا أنَّ حصونهم وقلاعهم ومنعة بلادهم تمنعهم من قضاء الله النازل بهم، وأنّهم سوف يُمنعون من قدر الله، ولا راد لقـضائِهِ إلا هـو، سـامع الصوت، وسابق الفوت، قاهر الجبابرة، والكفرة بالهلاك والموت.

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٤١– ٢٤٢، ابن الأثير: الكامل في التـاريخ ٢٠١/٦– ٢٠٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ابـن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ١٩٨، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٧٦– ١٧٧، ابن الآبار: الحلة الـسيراء ١/ ١٩٨، ابـن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ٣١، ابن سعيد: المُغرب ١/ ١٢٣، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٢، المقـري: نفـح الطيب ١/ ٣٥٣.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٣١/٢.

(٣) ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٧٦، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٥٣، ٣٦٣.

وكان الوفد الذي أرسله الناصر لدين الله إلى أهالي طليطلة من أهــل العلــم والفــضل، والقدر والجاه: **الفقيه العالم والحافظ محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج القرطبي**[1]**، والفقيه الحافظ صاحب الجاه والقدر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني القرطبي**[2]**، والقاضي الفقيه الجليل قاضي القضاة بقرطبة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى**[3]**، وعبيد الله**

---

(١) هو: محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج: من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله، سمع من جملــةٍ مــن الــشيوخ فــي المشرق والمغرب، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للمسائل والأقضية، نبيلاً في الرأي، مشاورا في الأحكام، كان في أيــام الخليفة عبد الرحمن (الناصر)، وكانت وفاته سنة ٣٣٠هـ. (للمزيد: ابــن الفرضــي: تــاريخ علمــاء الأنــدلس، ص٣٣٢- ٣٣٣، الحُميدي: الجذوة، ص٦١، الضبي: البغية، ص٨٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الــذهب ٣/ ٢٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٨/ ٨٣٦، العِبر ٢/ ٣٨، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٢٤١، اليافعي: مــرآة الجنــان ٢/ ٢٢٢، المقري: نفح الطيب ٢/ ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٢٣٧، ٦٣٣، ٦٦٠، ٣/ ١٦٩.

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني: من أهل قرطبة يكنى أبا بكر، ويعرف بابن حيوية، سمع من جلــة مــن شيوخ المغرب والمشرق، وكان حافظاً للفقه، عالماً بالأقضية والأحكام، مشاوراً عظيم الوجاهة، متشبّهاً بأهل الدنيا، خارجاً من طبقة أهل العلم، حدّث يسيراً، وكانت وفاته فجأةً سنة ٣٢٨هـ. (للمزيد: ابن الفرضي: تاريخ الأنــدلس، ص٣٣٠- ٣٣١.

(٣) هو: الفقيه الأجلّ القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى: من بني يحيى بن يحيى الليثي، وهذه ثنيّــة علم وعقل، وصحة ضبط ونقل، كان كما قال عنه صاحب المطمح: عَلَمُ الأندلس وعَالِمُهَا النّــدس، ولــي القــضاء بقرطبة بعد رحيله إلى المشرق، وكان ذلك في عهد الناصر لدين الله، كان حافظاً معتنياً بالآثــار، جامعــاً للــسنن، متصرفاً في عِلْم الإعراب، ومعاني الشعر، شاعراً مطبوعاً، استقضاه الخليفة الناصر لدين الله على إلبيره وبجانــه، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة، وذلك سنة ٣٢٦هـ، وجمعت له مع القضاء الصلاة، اعتلّ في آخر أيامــه ومــات رحمه الله في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧هـ، وكانت ولادته سنة ٢٨٤هـ، ومن جميل شعره ما أورده صاحب المطمح قوله: [البسيط]:

ماذا أكابد من وُرقٍ مغــــــــردةٍ ... على قضيبٍ بذات الجـــزع ميّاس

رددّنَ شجواً شجا قلب الخلي فهــلْ ... في عبرة ذرفت في الحب من باس

ذكرّنه الزمن الماضـــي بقرطبـــة ... بين الأحبة في أمـــنٍ وإينـــاسِ

هُمُ الصبّابةُ لولا همةٌ شَــــــرَفَت ... فصيّرت قلبه كالجنـــدل القاســـي

الزجالي، وكان الناصر قد عزم على غزو طليطلة إذا رفضتْ الحلول السلميّة، فقد استعدّ لتسيير جيوشه إليها، ليتم إخضاعها لتعود للطاعة والجماعة[1].

قال ابن حيَّان بهذا الشأن: **(وكان عند اكتمال الناصر لدين الله الافتتاح لمـدائن غربـي الأندلس،، باجة وأكْشُبونة وماردة وبَطَلْيُوس وشنترين وذواتها، ما أوفى بهمتّه وعزيمته على مزاولة مدينة طليطلة، أم المعاقل وقاعدة المدائن، التي عظم في الأوائل خَطَرُهَا، وأعجز ملوك الأمم مرامها، وقد رأى تقديم الإعذار إلى أهلها بالافتتاح [و]مراسلتهم معذراً ومنذراً، آخـذاً بالحجة عليهم، مخرجاً للإنباء الثقات بذلك إليهم، مكرراً لهم عليهم، لإثارِهِ الإنابة وسكونه إلى الصفح ورغبته في العافية، فقدم إليهم في المحرم فاتحة هذه السنة وفداً من وجوه أهل قرطبة حضرته، تنخلّهم من أعالي طبقتي رجاله، أهل خدمته وفقهاء قرطبة المـشهورين بالديانـة والثقة والتصحيح والأمانة، فمن أكابر الفقهاء محمد بن عبدالملك بن أيمن، ومحمد بن إبراهيم بن عيسى، ومحمد بن عبد الله بن أبي عيسى، وغيرهم، ومعهم من وجوه أهل الخدمة عُبيـد الله بن عبد الله الزجّالي، في نفر معهم، أشخصهم إلى طليطلة، داعين لهم إلى الفيئـة إلـى الطاعة والانتظام في الجماعة، فأتوهم في مدينتهم وأدوا رسالته إليهم، فدفعوها بالراح ولجّوا في غيّهم، ومشوْا على أمرهم، وظنوا أن حِصنهم مانعهم، وقلبوا رسله على أعقابهم، مموهين**

وللمزيد انظر: (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٣٩، ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص ٢٥٩– ٢٦٦، الحُميدي: جذوة المقتبس، ص٦٦، الضبي: بغية الملتمس، ص ٩٤، وفيه أن وفاته سنة ٣٣٩هـ ومولده سنة ٢٨٤هـ، ابـن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٦٥، النباهي، تاريخ قضاة الأنـدلس، ص ٥٩–٦٢، الخـشني: قـضاة قرطبـة، ص٢٦٧–٢٧٠، طبعة دار الصميعي من حيقيق ياسر

ابو طعمة، المقري: نفح الطيب ٢/١٢– ١٥).

[1] ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٠، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٢٠٢.

بخدائع من إفكهم، لم تذهب على الخليفة الناصر لدين الله، وأرهفوا بها عزمه على غــزوهم، فأخذ في التأهب لهم) [١].

وعندما علم أهل طليطلة بما بيّته الناصر لهم من الاستعداد، لجأوا كعادتهم باســتخدامهم الدهاء والمكر بالحيلة، والعبث، فراسلوا حاجبه موسى بن حُدير[٢]، ليكن وسيطاً بيــنهم وبــين الخليفة، فيكن لديهم متسع من الوقت لجني زروعهم وقد حان حصادها، لتكن لهم عونــاً علــى مقاومة الناصر، لكن ابن حُدير كان أكثر ذكاءً منهم، فكشف مستورهم، وبانت عورتهم أمامــه، ولم تجدي مكاتبتهم شيئاً. قال ابن حيّان: **(فلمّا بلغهم ذلك كتبوا إلى الحاجب موسى بن محمد بن**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس، ٥/٢٨٠.

(٢) هو: أبو الإصبغ موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حُدير: كان مع رئاسته وجلالته، ونباهة سلفه واستعمالهم في الكور، وسنيات الخطط- من أ هل العلم والأدب والشعر، وكان أول ما تولى للأمير عبد الله بن محمــد ســنة ٢٩٣هــ خطة القُطع، ثم ولي خطة المدينة، ثم عُزل عنها وأُعيد إليها، وفي عهد عبد الرحمن بن محمد (الناصــر) أُقرَّ على المدينة، واستوزره يوم خلافته، ثم استحجبه بعد وفاة حاجبه بدر سنة ٣٠٩هــ، وبقــي حاجبــاً للخليفــة الناصر حتى توفي سنة ٣١٩هــ/ ٩٣١م، فلم يستحجب الناصر بعده أحداً. ومن جميل شعره يمدح الخليفة الناصــر قوله [الوافر]:

إذا ما فُرِّجت خللُ السّتورُ ... ولاح وقد تمكّن في السريرِ

ترى الأملاك مائلةً لديهِ ... بأعناقٍ إلى الغبراءِ صور

كأنّهم لهيبته قد أوفوا ... من الموتِ الزُّعافِ على شفير.

وبنو حدير ينتسبون إلى حُدير، الجد الأكبر الذي كان بواباً على باب السدّة بقصر قرطبة زمن الحكم بن هشام (الربضي) وأثناء ثورة أهل الربض سنة ٢٠٢هــم ٨١٨م؛ رفض حدير أن يصدع لأمر الحكم عندما أمــره بــضرب رقــاب الفقهاء الثائرين عليه وقال له: (والله يا مولاي إني لأكره لك ولنفسي أن أكون غداً وأنت في زاوية من زوايا جهنم تهر إليّ وأهرُ إليك لا تنفعني ولا أنفعك) (للمزيد عن موسى بن حدير: ابن الآبار: الحلة السيراء ١/ ٢٣٢- ٢٣٧، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص ٤٧٥ تعليق رقم ١٦١، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأنــدلس طبعة دار الكتاب اللبناني من تحقيق إبراهيم الأبياري، ص٨، ٥٣، ٢٢، ٢٣، الخشني: قــضاة قرطبــة، ص ٧٢- ٧٣، ابن عِذاري: البيان المُغرب ١٤٢/٢، ١٤٤، ١٥٨، ١٨٢، ٢٠٨.

حدير، الجميل/ الوساطة بين الرعيّة وسلطانهم، يستشفعون به إلى الناصر لدين الله ويطفئون من موجدته، ويحاجونه مع ذلك في تثبطهم، ويشتطُّون في شروطهم حيلةً منهم في صرف الجيش عنهم، كيما يصلوا إلى إحراز غَلاّتهم الداني وقتها، فيقووّن بها الاستمساك بشأنهم، فلم يذهب ذلك على الحاجب موسى ما ذهبوا إليه، وحسم أطماعهم منه، وعدل بهم إلى صدقهم، وأجابهم على كتابهم ذلك بكتابه الطويل الذي شهر في الناس يومئذ، يقرّعهم فيه ويكشف تمويههم، ويحذرّهم ما هو حائق بهم، إذ كانوا لا يلتزمون طاعة ولا يؤتون جباية ولا ينتهون عن منكر ولا معصية)[١].

ولمّا علم الناصر من حاجبة مكرهم وخديعتهم؛ عزم على غزوهم، والتضييق عليهم، وتأديبهم، وقد كانوا من قبل قد امتنعوا على مَنْ قَبْله. ففي صدر ربيع الآخر من سنة ٣١٨هـ/ نيسان ٩٣٠م، أمر الناصر قائده ووزيره سعيد بن المنذر القرشي بالتحرك نحو طليطلة في جيش كثيف، حتى يلحق به الناصر ببقية الجيوش، وأمره أن يحاصرها، فتحرّك سعيد بالجيش يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر من سنة ٣١٨هـ/ نيسان ٩٣٠م قال ابن حيّان:

(ووقف الناصر لدين الله على ما يذهبون إليه من الخديعة، فاستجدَّ لذلك صريمةً، واستغرم على غزو القوم، وشمَّرَ لمناهضتهم وإنزالِ بأسِ الله بهم، وبرز للغزو في صائفة العام بنفسه إليهم، فأنفذ التبريز لغزوته صدر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وثلاث مائة المذكورة، وهو شهر نيسان العجمي من العام المذكور، فقدّم إليهم الوزير القائد سعيد ابن المنذر القرشي الميمون النقيبة في جيش كثيف، ضمه إليه بِعُدّةٍ كاملةٍ، أمره بالسبق إلى طُليطلة والاحتلال بها وشد الحصر عليها، حتى يلحق به هو في جيوشه الجمّةِ وعُدَدِهِ المتكاملةِ. فنفذ الوزير سعيد بن المنذر لأمره يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر، وأجدّ

---

[١] نص ابن حيّان: المقتبس ٥/٢٨٠- ٢٨١.

السيرَ حتى نزل بساحتها، فأخذ فيما حد له من محاصرتها والتضييق عليها بأبلغ عزمٍ وأتــمِّ حزم)[1].

وفي الثاني من جمادى سنة ٣١٨هــ/ الثاني من يونيو، لحق الناصر لدين الله بــالجيوش التي بعثها لحصار طليطلة، وكان بصحبته ولده وولي عهده الحكم، قاصداً طليطلة التي طالمــا استعصت على أجداده من قبلهِ، ووصل الناصر إلى حصن (مورة)[2] وكان هذا الحصن قد اتخذه أهل طليطلة ليجتمع به أهل النفاق والشقاق والفساد، وكان به عليهم مطرف بن عبد الــرحمن، فأرسل إليه الناصر من يُنْذِره ويهدّده، فسلّم الحصن للناصر، ثم سار الناصر بــالجيوش حتــى وصل إلى جبل جرنكش، وهو على مقربةْ من طليطلة، ليستطلع من هذا الجبل أفضل المواضع لحصار طليطلة منها، ونزل بمحلة المقبرة على باب المدينة، وأقام بها سبعة وثلاثين يوماً، يقطع الثمار، ويخرّب القرى، وينتسف ويحطم الزروع، وبنى مدينة على الجبل المذكور (جَــرنْكَش)، وشحنها بالأقوات، وأمر بنقل الأسواق لها، وأنزلها أفضل جنده، وأمر محمد بن سعيد بالإقامــة على باب القنطرة والتضييق على أهل طليطلة، والمبالغة في أذاهم حتى يذعنوا ويرجعوا إلــى الطاعة. قال ابن حيّان: (**... ثم فَصلَ الناصر لدين الله لغزوته هذه من قــصر قرطبــة، آمّــاً طليطلة الخائنة، يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى منهــا، وهــو اليــوم التاســع**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٠- ٢٨١، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ٢٠٢.

(٢) حصن مُوَده (Maura): من حصون طليطلة، وعلى بعد إحدى وثلاثين كيلو متر من طليطلة، وهو الــذي اتخــذه أهل طليطلة شَجَاً على المسلمين وذلك في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وفي سنة ٣١٨هــ خرج عنــه قائــده مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب للناصر، بعد أن أنذره ولاذ بالأمان. (للمزيد: ياقوت الحمــوي: معجــم البلــدان ٢٢١/٥، العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٠، ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٩٢، ابن عِــذاري: البيــان المغــرب ٢٠٣/٢، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ٢/ ١٠٧٦،

Lévi provencal: Histoire de L'Espagne Musulmone, Vol,11, p.28

والعشرون من أيار الشمسي، وأغزى مع نفسه ابنه الأكبر ولي عهده، الحكم، على عادتــه، ومعه من إخوته المنذر بن الناصر لدين الله المعروف بابن القرشية، وتخلّف في القصر ابنــه عبد العزيز، شقيق الحكم لتنفيذ الكتب إليه على العادة، ومعه أحمد بن محمد بن حُدير، وعلى المدينة/ أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالرؤوف. فلما احتل الناصر لدين الله في طريقه بمحلــة الغدر، وقرب من حصن مورة، الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين ومــستركناً للمفسدين، وقدموا عليه منهم [مطرف بن] عبد الرحمن بن حبيب من أكابر المجرمين، قــدم إليه الناصر لدين الله من أنذره وخوَّفه وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه، فبدر إلى ذلــك بداراً لم يجد منه بداً ولا في الامتناع طمعاً، فنزل عن الحصن ولاذ بالأمان، فــسلَّمه الناصــر لدين الله وأمر بضبطه، ثم نهض بجيوشه المتكاثفة وعزيمته الماضية غير معرج عن ساحتهم حتى احتلّ بأسنى صياصيهم[1]، وأخذ بأبوابهم، وغلب على بسيطهم، وأنهب غلاتهم، وأحجرهم داخل مدينتهم، فنزل بمحلته حرنكس، باب طليطلة على نهرهــا، خــلال جناتهــا وكرومهــا وحدائقها، ودبر رأيه في أمكن المواضع من محاصرتها وأقرب الجهات الآخذة بأنفاس أهلها، فرأى النزول بمحلة المقبرة على باب المدينة أبلغ في النكاية وأشدّ للمضايقة، فنقل محلته إلى هنالك في اليوم الثاني، وأخذ في نكاية العصاة المجرمين بما لم يجز لهم في ظنّ ولا دخل في حسبان، فأقام بمحلّته هذه سبعة وثلاثين يوماً، وإلى فيها نكايتهم بقلع أشــجارهم وتخريــب قُراهم وحطم زروعهم وانتساف نِعَمِهم، ثم أمر ببنيان المدينة التي سمّاها مدينة الفتح بجبــل حرنكس منزله الأول، وحشد الآلات إليها وجمع الأيدي عليها، فارتفع البناء إلى مُدَيْدَةً فيهــا، وولّى شأنها الوزير القائد سعيد بن المنذر القرشي، وأمر بنقل المحلة إليها أجمعهــا، ورتَّــب محمد بن سعيد ولد الوزير القائد في كثيف من الجند على باب القنطرة، وعهد إليهما في صلة

---

(1) الصياصي: الحصون العالية.

حصر الفسقة والاستبلاغ في آذاهم وصِلة قتالهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله وتمــضي مــشيئته فيهم.

وقدم على الناصر لدين الله في محلته على مدينة طليطلة صاحب حــصني قنــالش[١] وحصن الفَهْمَين[٢] من ثغر طليطلة، مستسلمين/ إليه، معتصمين بطاعته، فَتَقبَّلهما وكرَّمهمــا وأمر بنقلهما إلى الحضرة وإلحاقهما في الديوان والتوسع عليهما مكافأة لنزوعهما وقصدهما، وتوفر نظر الناصر لدين الله على عمارة مدينة [الفتح] التي ابتناها على مدينة طليطلة، فاجتهد فيها وفي جمع الأقوات إليها وإقامة الأسواق بها، وجمع الماهنين والفعلة والصناع والمعالجين

---

(١) قنالش (Canales) حصن على بعد خمسة وعشرين كيلو متر إلى الشمال من طليلطة، وعند ابن عِذاري: حــصن قتليش وكان صاحبه قد ثار على الأمير عبد الرحمن الناصر فقدم عليه مستسلماً سنة ٣١٨هــ. أما قرية قنالش فتقع في منطقة وادي الحجارة شمال شرق طليطلة على الحدود القشتالية. وكان الأمير محمد بن عبد الــرحمن الأمــوي الأموي (٢٣٨- ٢٧٣هــ/ ٨٥٢- ٨٨٦) بنى عدة حصون ومنها قنالش في منطقة الثغر الأدنى لحماية المــسلمين من غارات النصارى (للمزيد ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص١٨٣ الهامش، ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٣، ابــن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ٢٠٣، مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص٥٧٤، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ٢/ ٨٩٢، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص١٨٥، الحاشية، ١٢٩،

Palencia (Gonzales): Los Mozanabes de Toledo enlos Siglos XIIy XIII, Madrid, 192, Vol. I, p94- 95.

(٢) حصن الفَهْمَين (Al- Fahmin): حصن يقع شمال غربي طليطلة على بعد اثنى عشر كيلو متــر شــمال شــرق اسكلونا Escaluna (Léviprovencal: Histoire: vol, 11, p.28).

أما قرية الفَهْمَين فقد ذكرها ياقوت الحموي وقال في لفضها كأنه جمع فهميٍ وهي مدينة بالقرب من طليلطة وتعــدُّ من أعمالها، وهي مدينة متحضِّرة، حسنة الأسواق والمباني، وفيها منبر ومسجد جــامع، وكــان ســقوطها ســنة ٤٧٨هــ/ ١٠٨٥م بسقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتاله (للمزيد: ياقوت الحمــوي: معجــم البلــدان ٤/ ٢٨١، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٤، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص١٣٥، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/٢، ج١، ص٥٥٢- ٥٥٣، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ٢/ ٧٦٠، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص١٨٥، الحاشية ١٣٠.

إليها، وشحنها بالأقوات والعدد، وأنزلها طوائف من نخب الجند أولي الغناء والجلد، فأحــاط بأهل طليطلة ورتَّب مراتب الحصار عليهم، وقسّم طبقات الأجناد مع قــوّادهم علــى الأمــاكن حواليهم، فحبسهم في جوف جحرهم المانع منهم، لا يطلع أحد منهم رأسه ولا يقدر بشر على الدخول إليهم ولا الخروج عنهم. فلما ارتضى من ذلك كله سعيه، وبلغ وسعه، وأبلى عذره في مجاهدة الفسقة الدائنين بدفع الأئمة والتفريق بين الأمة وإرصادها بالغائلة، فقفل أثر ذلك إلى قرطبة بعد أن غادر فيها وزيره الشهم ذا المِرّة البَدْراء سعيد بن المُنْذِر فــي أكــابر القُــوّاد وجَماهِير الأجْناد، الذين لم يَنْتَقِصوا الفَسَقة مِمّا أحلّه بهم دَرَجة. فكان قُفوله عن طُلَيطلة يَومَ الخميس لستّ بَقِينَ من جُمادى الآخرة منها، ودَخلَ إلى قصره بقُرطبة يومَ الاثنين لأربع خَلَوْنَ من رَجَب. وقد استَتَمّ في غَزاته واحداً وستّين يَوْماً)[١].

وكان الناصر لدين الله وقبل عودته إلى قرطبة، رتّب من الجند مراتب الحصار على أهل طليطلة، وقسمّهم مع القادة العسكريين على أماكن الحصار؛ فأحكم القادة والجند الطوق على أهل طليطلة ليذوقوا وبال أمرهم، فلا أحد يدخل إليهم، ولا أحد يخرج منهم، وبذلك تنقطع الإمدادات أو الاستنجاد بغيرهم، فكانت خطة الناصر خطةً ذكيةً، حيث النتائج الإيجابيّة لتلك الخطــة كمــا سنتحدث لاحقاً.

وخلّف الناصر لدين الله وزيره سعيد بن المنذر في أكابر القواد وأجنادهم، ثم قفل إلــى قرطبة، فوصلها يوم الاثنين الرابع من رجب من سنة ٣١٨هــ/ الثاني من أغسطس من ســنة ٩٣٠م[٢]. في العام التالي ٣١٩هــ/ ٩٣١م؛ تجهزّ الناصر للمسير إلى طليطلة، وكانت ما زالت محاصرةً من قبل القادة وكافة طبقات الأجناد، لكنه عدل عن المسيرة بنفسه، واكتفى واســتغنى

---

[١] نص ابن حيّان: المقتبس، ٥/ ٢٨١-٢٨٤.

[٢] ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٣ – ٢٨٤، ابن عِذاري: المُغرب ٢/ ٢٠٣.

بالقادة المحاصرين لطليطلة، وبالمقابل أمدّهم بالخيل والعدة والسلاح، وما يلـزمهم، وأمـدّهم بالعطايا والهبات والصلاة لتكن محفزاً لهم للاستمرار فـي حـصار طليطلـة، وأكـدّ علـيهم بالاستمرار بالحصار والتضييق على أهالي طليطلة، وكان جزءٌ منهم قد أفنته سـيوف القـوات المحاصرة، ومنهم من جلا عن المدينة لضيق العيش بها، وبات سقوط طليطلة بيد قادة الخليفـة الناصر قاب قوسين أو أدنى[١] قال ابن حيّان بهذا الشأن من خلال حديثه عـن أحـداث سـنة ٣١٩هـ: (**..هم فيها الخليفة الناصر لدين الله بالغزو إلى مدينة طليطلة، فأخذ فـي التأهـب وإبراز السرادق والأبنية إلى المضرب[٢] بفحص السرادق شرقي قرطبة، ثم انثنى عزمه عـن ذلك، إذ استغنى عنه بمن قد رتبه على محاصرتها من قوّاده، ونَظَمَه حواليها من أجناده، وما يتصل به من ظهورهم على أهلها ونغصهم لهم، وأخذهم بأكظامهم وإشرافهم علـى الاقتحـام عليهم، فَنَقَضَ غزوه هذا بعد أن برز له، وتابع إخراج البعوث إلى قـوّاده هنالـك لاسـتيفاء محاصرتها والاستبلاغ في نكايةِ أهلها طول هذه السنة، وإمدادهم بالكراع والسلاح وموالاتهم بالصلات والأعطية، وتأكيد بصائرهم في الجدّ والعزيمة، فتوافت الأمداد على القواد وشـدّوا محاصرة القُساة الأكباد/ والبُنيان عليهم والإرصاد لهم، إلى أن صاروا في مثل كفه الحابل من ضيق الإحاطة بهم والأخذ بالأقطار عليهم، بعد تحيُّف السيف الكثير منهم وتبديد الجلاء لعامتهم وإشرافهم على الإلقاء بأيديهم**)[٣].

وفي نفس الوقت فقد بلغ الناصر لدين الله عن طريق قادته المحاصـرين لطليطلـة، أنَّ (راميرو الثاني RamiroII) قام بمهاجمة بعض الحصون في الثغر الأوسط، مستغلاً الفرصـة

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٣ – ٢٨٤، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٢٠٤.

(٢) في البيان المغرب لابن عِذاري ٢/ ٢٠٤: (المُضْطَرب).

(٣) نص ابن حيّان في المقتبس ٥/ ٢٨٧.

بوجود جيوش المسلمين محاصرة لطليطلة، وقد كتبوا بذلك إلى الناصر، فأرسل من فوره الوزير القائد أحمد بن محمد بن حدير على رأس جيشٍ كبير إلى الثغر الأوسط. لكن اللعين راميرو أسرع بالانسحاب إلى بلاده عندما علم بقدوم القائد أحمد على رأس جيشه وبذلك كفى الله المؤمنين شرّ القتال، أمَّا القائد أحمد فقط انضم بجيشه إلى الجيوش المحاصرة لطليطلة[1]. قال ابن حيّان بهذا الشأن:

(ثُمّ بلغ الناصر لدين الله أن العدو عامل على الخروج إلى الثغر الأعلى، طامعاً في انتهاز الفرصة من أهله، وجيشانه لقصده، للذي بلغه من اشتغال الناصر لدين الله [بأهل طليطلة... فأمر الناصر لدين الله] بإخراج الوزير القائد أحمد بن محمد بن حدير إليهم بمن حضر قرطبة، خاصة من حشمه، وبمن خفّ به من المُطَّوِّعة المحتسبين، ومن نشط من المجاهدين، نافراً إلى أهل الثغر، ذاباً عنهم مهتماً بشأنهم، فاحتل أحمد بن محمد بن حُدير الثغر فيمن معه، وأوجبت له الضرورة التعول عليه، مُسْكِناً لأهله من روعة عدوّهم، مقوياً لنفوسهم، مؤنساً من وحشتهم. فلما بلغ العدو مكان ابن حُدير وجيشه عندهم، فسخ عزمه في الخُروج إليهم، وانصدع جمعه، فأقصروا عما كانوا همُّوا به، ولم يفارقوا أرضهم، فأقصر ابن حُدير إقصارهم، ولم يقتحم عليهم لمّا كفى الله المسلمين شأنهم بمنّه، وانتهى القائد ابن حُدير إلى طليطلة فيمن معه من جيشه وصار نازلاً عليها مع القوّاد المرتَّبين) [2].

لقد كان انضمام القائد أحمد بن محمد بن حدير بجيشه إلى الجيوش المحاصرة لطليطلة بمثابة المدد، لتقوية عزائمهم، وتضييق الخناق على أهالي طليطلة، وربما أنها رغبة الناصر

---

[1] ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٨، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٢٠٤– ٢٠٥.

Léviprovencal: Histoire, vol, 11, p.29.

[2] هذا نص ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٨٨.

لدين الله وتوجيهاته الحكيمة، فلا يستبعد أن تكون تحركات راميرو الثاني لأشغال المسلمين، هي خطة للتخفيف عن أهل طليطلة لعل بحركاته تلك يكون الفرج لهم، وربمـــا ظـــن أن الجيـــوش المحاصرة لطليطلة سوف تنسحبُ عن طليطلة حال سماعها بإغارته على الثغر الأوسط، فتكون الفرصة الذهبية لأهل طليطلة. والجدير بالذكر أنَّ أهالي طليطلة كانوا قد كاتبوا راميرو هذا من قبل يستغيثونه ويطلبون عونه.

وفي يوم السبت الرابع عشر من رجب سنة ٣٢٠هـــ الحادي والعشرين من يوليو ســـنة ٩٣٢م، غزا الخليفة الناصر لدين الله إلى مدينة طليطلة وهي غزاته الثانية، وكان بصحبته ولي عهده الحكم. أما أهل طليطلة فقد كانوا استنجدوا براميروا الثاني ملك ليون عندما ضاق علـــيهم الحصار كما أسلفنا، لكن هذا المدد انقضَّت عليه الجيوش الإسلامية قبل وصوله وبقيت طليطلة على حالها حيث تركها راميروا لقضائها[(١)] ووصل الناصر لدين الله إلى طليطلة يوم الأربعـــاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٣٢٠هـــ/ ١٢ أغسطس ٩٣٢م ونـــزل بمحلتـــه مـــن جبـــل جرنكش. أمَّا تفاصيل غزوته الثانية لطليطلة فيحدثنا عنها المؤرخ ابن حيّان من خلالِ حديثه عن أحداث سنة عشرين وثلاث مائة (٣٢٠هـــ) قال: **(فيها غزا أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى مدينة [طليطلة غزاته] الثانية، التي فُتحت فيها عليه، فبرز لهذه الغزاة فـــي صـــدر جمـــادى الآخرة منها، وهو شهر حزيران الشمسي الكائن فيها، وفصل إليها من حضرته قرطبة يـــوم السبت لأربع عشرة خلت من رجب منها، وهو اليوم الحادي عشر [ون] من تموز الشمـــسي. وصار معه ابنه الأكبر، ولي عهده الحكم، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز، شقيق الحكـــم،**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٣١٧- ٣٢٠، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/ ٢٠٦- ٢٠٨.

ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٨١، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٨٣، مؤنس: معالم تاريخ المغـــرب والأندلس ص٣١٣، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص ٨٧- ٨٩،

Léviprovencal: Histoire: voll, 11, p. 29- 30.

لتنفيذ الكتب إليه، ومعه من الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعبدالحميد بن بسيل، صاحب المدينة.

وكان أهل مدينة طليطلة العُتاة، لما لزّهم الحصار، واشتدّ عليهم التضييق، ولازمهم القوّاد الذين نظم الناصر لدين الله عليهم بأجنادهم المغاورة، ممداً لهم بآرائه الصائبة وعزائمه المُصْمِيَة، قد استجاشوا بجيرانهم المشركين، أهل دار الحرب، دمرهم الله، واستنجدوهم، ورجوا نصرهم فلم يغن عنهم فتيلاً ولا كشفوا عنهم عذاباً، ولا جَلَبُوا لهم إلا خزياً وهواناً، لما أنفذوا إليهم مدداً كثيراً من أنجاد رجالهم، علم القواد المحاصرون لهم بشأنهم، فخرجوا إليهم، فهزموهم وفرَّقوا جمعهم، فانصرفوا مولين على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، رجاء اللِياث من قبلهم، وسقط لذلك في أيدي العُصاة، أهل طليطلة، وعلموا أن لا مناص لهم، واستيأسوا أن ينصرهم أحد من بأس الله، الذي عاجلهم، وض[رعوا] له في اغتفار ذنوبهم وقبول فيئتهم.

فخرج بنفسه لاستنزالهم، وتوطيد [طاعـ]ته لديهم، وإحكام/ نظره لهم، فنزل عليهم في هذا الوقت بمحلته الممدَّنة المعروفة بحرنكش[1] يوم الأربعاء لخمس بقين من رجب منها، وقد كان بادر بالخروج إليهم أميرهم المدبر لأمرهم، ثعلبة بن محمد بن عبدالوارث، وتلقاه قبل نزوله بها، معترفاً بجهله، مستقبلاً من زَلَلِه، فعفا عنه، وأمَّنه، وعاد بفضله عليه، فامتثل أهل طليطلة فِعْلَهُ، وابتدروا الخروج إلى الناصر لدين الله، مُستميلين لأمره، منقادين لحكمه، فبذل لهم الأمان، وبسط فيهم الإحسان، وعمَّ جميعهم بالأمان العام، وسارعوا إلى الدخول بمحلّته المنصورة، مبتغين لما قد كانوا عَدِمُوهُ من ألطاف المعيشة، التي طالَ ما أجهدهم عدمها، ومنعهم الحصار منها، فتهافتوا عليها مُستبغين، واستبشروا بنيلها مغتبطين بما صاروا إليه

---

[1] في البيان المُغرب لابن عِذاري ٢/ ٢٠٧ (جرنكش).

من الأمن بعد الخوف، والسّعةِ بعد الضيّق، والانبساط بعد الانقياض، لم يعهدوا أفــراج مــن صبحهم، ولا فازوا بأربح من صفقتهم، ثم ركب الناصر لدين الله إلى مدينة طليطلة في اليــوم الثاني من نزوله بمحلته عليها، وذلك يوم الخميس لأربع بقين من رجب منها.

فدخلها على حكمه، وجال في أقطارها، وتخلل أنفاقها، فرأى مــن فــرط حــصانتها، وعجيب خلقتها وشرف قعددها، وانتظام الأجبل داخلها وامتناعها مــن كــل جهــات بوثاقــة أسوارها، واكتناف واديها لقصبتها ووعورة مسالكها، وشرف مدرتها، وسعة ربوعهــا مــن الطعام، وفضيلة تواترها[١] على الأيام، وما حبيت به من التوحد بمنابت الزعفران، إلــى مــا عاينه من كثرة البشر بها، على تحوفهم بآفة طول الحصار، ما اشتد منه عجبه،وأعلن الشكر لله تعالى، على ما منحه فيها، وسهل له منها، وأحمد ما كان من جده وعزمه في أمرها، وعلم أنه، لولا ما وفَّقه الله له من الدأب على ذلك، ما ملكها مع منعتها وما اعتاده القُساة أهلها من ملك أنفسهم والاستبداد على الخُلفاء، ودفع طاعتهم، ومداخلتهم لجيرانهم المشركين كل وقت، والاستمداد بهم، فكم أعيت الملوك الأكابر، وامتنعت/ من ثقاف العــساكر، وانــصرفت عنهــا الصوائف ذوات الحشود بغير نجح ولا استفادة، إلى أن أذن الله بهصرها لخليفة ربّ الدولــة، فخصّه دون قوّاده الذين سلطهم عليها بجليل فتحها وعِظَمِ الصنعةِ فيها) [٢].

وبعد أن تَمَّمَ الله الفتح للخليفة الناصر لدين الله، والظهور على أهل طليطلة، قام بــالنظر في إصلاح ما أفسدته الحرب وطول الحصار، وما لحق المدينة من الهدم والدمار، وقد وكلَّ فتاه

---

[١] كلمة أندلسية بمعنى لا تثبته القواميس (ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٣١٩ الحاشية رقم١.

[٢] هذا نصّ ابن حيّان الكامل حول غزوة طليطلة الثانية والأخيرة في عهد الناصر لدين الله (ابن حيّان: المقتــبس ٥/ ٣١٧- ٣١٩).

درى بن عبد الرحمن الصقلبي[١] ليشرف على عمليات البناء والترميم. فأمر بإعادة بناء القنطرة الواقعة على نهر تاجة، لما لحقها من الهدم والضرر أثناء حصار طليطلة، وكذلك القصر المخصص لسكنى العمال والقواد، وقام بالوصل ما بين القصر وباب القنطرة لإحكام السيطرة على أهل المدينة[٢] قال ابن حيان بهذا الشأن: (... **فقبض عليها باليمين ونهض بالنظر في إصلاح ما أفسدته الحرب من بُنْيانِها وضعضعته من أركانها وشعثته من عمرانها، فأثر في ذلك كله الآثار العظيمة، وقرطسهُ بآرائه المصيبة واختراعاته العجيبة، فأمر قبل ذلك كله بإعادة بناء القنطرة على نهرها الماثلة على بابها، الذي منها يُدخل إليها، وقد كانت ساءت لفقدها، وتمكُّن الحضر الشديد من أهلها، فجمعت الأيدي لأول الوقت عليها، ودبر فيها من ذاته القصر المرسوم لسُكنى القواد والعمال بها، الذي من باب هذه القنطرة بالمكان المسى الحزام، بناء محكماً متقناً، يكون مستقر القوّاد وعُماله فيهم، وزماماً على أهلها بأيديهم، فَصَلَ به الحزام من المدينة، ووصله بباب القنطرة، فنظم به باب قصرها بباب جسرها، كيما يختصّ برأيه قوّاده وعمّاله النازلون بالقصر بملك هذه القنطرة والباب دون أهلها، فصاروا لذلك من يومئذ في قبضة السلطان وتحت غَلَقه، لا دخول لهم ولا خروج من مدينتهم، إلا تحت إذنه، فذلّ لذلك**

---

[١] هو: من الفتيان الصقالبة الذين كان يغص بهم قصر الخلافة بقرطبة، ومن أبرزهم؛ حيث ولاهُ الخليفة الناصر لدين خطة العرض سنة ٣٠١/ ٩١٣م، وخطة المواريث سنة ٣٠٢/ ٩١٤م، ثم الشرطة العليا سنة ٣٠٨، ٩٢٠م، وفي سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، أرسله الناصر على رأس جيشٍ إلى ابن الزيّات أحد الثائرين عليه، فلما اقترب منه هرب ابن الزيات، فظفر دُرى هذا بهابل أحد قواد الثائر اللعين عمر بن حفصون وبأصحابه، فأسرهم وعاد بهم إلى قرطبة، وصُلبوا، وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م؛ افتتح درى مدينة شاطبة واستنزل منها عامر بن أبي الجيوش، وفي سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م، عينه الناصر قائداً على طليطلة. (ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٥٠، العذري: نصوص عن الأندلس ص١٤– ١٥، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ١٦٤– ١٦٧، ١٨٠، ١٩٤، ٢١٠.

[٢] ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢١٩– ٢٢٠، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/ ٢٠٧– ٢٠٨.

شماسهم جداً، وأقصروا عن غوايتهم، وتردد الناصر لدين الله بطليطلة بعد فتحه لها ثمانية أيام، مشارفاً للشروع في بناء ما دبَّر بناءه، وهدم ما أحبّ هدمه حتى فتحت أساس المحدث وأعفت المجنيّ عليه القديم، ورتب على بُنيان ذلك كله، وتبليغه حدوده فيه مولاه وقائده دُرّي بن عبد الرحمن،وملأ القصر الذي أحله إياه رجالاً وعدة وسلاحاً وميرة، فاطمأنت بأهل طليطلة الدار، وأنِسُوا بالقرار، وفَتَحوا أسواقهم، وانْبَسَطُوا في أفنيتهم، وحضروا مساجدهم، وانتشروا في بواديهم وأسفارهم، وشكروا الله على ما له هَداهم.

وورد الخبر ببنيان هذا الحزام في مكان آخر، فقال: شرع الناصر لدين الله لوقته في شأن قصر طُليطلة والحزام/ فوق النهر لقرار القوّاد والجند فيه، فَفَصَلَهُ عن ثقاف المدينة، ووصل باب القصر بباب القنطرة، فصار في ضبطه خاصة دون أهل المدينة، وشحنه برجاله استظهاراً عليهم، فأذعنوا من ذلك الوقت بالطاعة، وفارقوا ما كانوا عليه من النخوة، وتداولتهم الولاة دهراً أعزّةً، ثم قفل الناصر لدين الله عنهم يوم السبت لست خلون[1] من شعبان منها فدخل قصره قرطبة يوم السبت لعشر بقين منها، وقد استتم في غزاته هذه ستة[2] وثلاثين يوماً)[3].

وبعد أن وصل الناصر لدين الله قرطبة يوم السبت لست أو لعشر من شعبان من سنة ٣٢٠هـ، واستقر به المقام، صنع صنيعاً عظيماً واحتفالاً بالنصر، وتعبيراً عن مدى الفرح والسرور، بعد أن قضى الله أن تعود طليطلة للطاعة والجماعة، وكان هذا الحفل قد وافق تطهيره (ختان) لبعض بنيه الأصاغر، وكان هذا الحفل يضم رجاله ومواليه وصنوف القادة والأجناد

---

(١) في البيان المُغرب لابن عِذاري ٢٠٨/٢: (لعشر بقين).

(٢) في البيان المغرب لابن عِذاري ٢٠٨/٢: (سنة).

(٣) هذا النص الكامل لابن حيّان في المقتبس ٣١٩/٥- ٣٢٠، حول عمليات الإصلاح والترجمة في طُليطلة.

والحشم ممن شاهد فتح طليطلة[1]، والله يؤيد بنصره من يشاء. قال ابن حيّان: قال: **(ولمّا استقر الناصر لدين الله في قصره بقرطبة، اتّخذ صنيعاً فخماً شنيعاً أَثرُ قفوله عن طليطلة، احتفل فيه لإعذار عدة من أولاده الأصاغر، فأعد فيه صنوف الأطعمة الرفيعة والفواكه الغريبة والطيوب المثمنّة، وزانه بما أظهر فيه من الآلات السلطانية والأدوات البديعة وفاخر الآنية وبديع الزينة، دعا له أصناف الحشم والأجناد ووجوه الموالي والقواد، الذين فازوا معه بمشهد طليطلة، وباشروا جليل الفتح فيها، وقاسَوْا طول المقام على حصرها، فخصهم بتكرمة هذا الصنيع البديع، دون من تخلّف عن مشهده، ووفرَّ حظوظهم من خَيْرِه، فكان صنيعاً مشهوراً بقرطبة عظم شأنه وكثر حفله واعتلت عليه النفقة)** [2].

كذلك أورد لنا ابن حيّان هذه الرواية عن فتح الناصر لطليطلة سنة ٣٢٠هـ نقلاً كذلك عن المؤرخ أحمد بن محمد الرازي، كان قد أخبره بها شيخٌ جميل المذهب من أهل طُليطلة كان الرازي قد لقيه في مسجدها، فسأله عن خبر فتح طليطلة. قال ابن حيّان: **(وقال أحمد بن محمد الرازي: أخبرني شيخ جميل المذهب من أهل طليطلة، لقيته في جامعها وسألته عن خبر فتحها، فقال: "إنّ السلطان، لما اقتدر على حصار مدينتنا، واستبلغ في الإحاطة بنا، والتضييق علينا، والحؤول بيننا وبين جميع مرافقنا، نال الجوع والضر أهل الضعف والإقلال منا، واردى الجهد من لم يكن له ذخرة قوت من عامّتنا،ونادى فينا الزبير بن السليم، صاحب العسكر المحاصر لنا نداءً عاماً، أن من بلغه الحصار وناله الجوع من ضعفائنا وأيتامنا وأراملنا وطبقات مساكننا، ويمنعه من الخروج الخوف منه، فليخرج متى شاء، آمناً مطمئناً في نفسه وعياله وماله وولده، يقيم حيث يشاء ويمضي إلى حيث يريد، لا يعرض له بأذًى، ولا ينال**

---

(١) ابن حيّان: المقتبس، ٥/٣٢٠-٣٢١، ابن عِذاري: البيان المغرب ٢/٢٠٨.

(٢) نص ابن حيّان: المقتبس، ٥/٣٢٠-٣٢١.

بمكروه، فأصغى طبقات الناس من أهل المسكنة إلى ذلك منه، وطرقوا في الخروج إليه، ولم تزل طوائفهم يتتابعون في ذلك ويكثرون منهُ كلما أدركهم الجهد ونالهم الحصار، إلى أن اندخل فيهم من لم يكن منهم، فطرق المقاتلة من فرسان ورجّاله إلى الخروج بمعنى كره الضيقة والنزوع إلى الإحسان والسعة، وكل ما خرج واحد فلقي خيراً، دعا إخوانه ومعارفه إلى امتثاله، ورَّغبهم فيما صار إليه، فلم يزل بعضهم يجيب بعضاً، حتى خرج ذوو الشوكة منا، وذهب مقاتلتنا، فقل منا الغناء، واشتد علينا البلاء، وانقطعت المرافق وضاقت المعايش، ووصل الجهد إلى القوي منا والضعيف.

فلما رأينا أنه الموت عَيَاناً، دعونا إلى الصلح وطلبنا الأمان، فأجابنا السلطان وكتب لنا، على فرط اضطرارنا، بكل ما أردناه واشترطناه من الحرية عن الوظائف والإعفاء عن النوائب ومن شكوس القبالات ومعرة الإنزال في الدور، وأنْ لا يُؤخذ منا غير الزكاة المفروضة على السُنّة المعلومة، وأن لا يعزل عنا صاحب صلاتنا، ولا يقدم علينا غير خيارنا، ومن تتفق عليه جماعتنا، فلم يمنعنا السلطان ذلك كله، ولا ضايقنا في شيءٍ منه، فأسْمَحتْ عند ذلك قرابتنا، وألقينا إليه بأيدينا، وفتحنا له مدينتنا، فدخلها على حكمه. ووفَّى لنا بعهده، وتعمدنا جميعاً بعفوه، وتلّقى إساءتنا بصفحه، ونظر لنا ولبلدنا بأحسن نظر، وأكمله وأحوطه بعاجل الوقت ومآل عاقبته، بأن فصل بيننا وبين القصر المخصوص به لعمالّه بسور منيف بيننا وبينهم، فكان ذلك صلاح الجميع وسكون نفوسهم واستقامتهم على الطريقة، بحمد ربهم) [1].

وبهذا الفتح العظيم، والنصر المبين، انتهى عهد الفتن والثورات في عهد الناصر لدين الله في طليلطة، فلم تنقل لنا المصادر أي خبرٍ عن انتقاضٍ لأهل طليطلة. (**... فلم يزالوا مستقيمين**

---

(1) نص آخر حول فتح طليطلة من شاهد عيان، ابن حيّان: المقتبس، ٥/ ٣٢١– ٣٢٢.

على الطاعة بعد) [1]**، (... فأذعنوا منذ ذلك الوقت بالطاعة، وفارقوا ما كانوا عليه من النخوة، وتداولتهم الولاةُ دهراً أعزّة)** [2]**.**

وهكذا فقد ولّى عهد الثورات في طُليطلة وانتهى. فقد قدَّر الله لهـذا البحـر المـتلاطم الأمواج أن يهدأ. وأن يبدأ له عهدٌ جديد في ظل خلافة الناصر لدين الله، فقد تعاقب الولاة علـى طليلطة بعد سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وسارت أمور طليلطة على أحسن حال وأكمل وجـه، وقـد احتفظ ابن حيان ببعض هذه الولايات التي كان يولّيها الناصـر علـى طليطلـة. ففـي سـنة ٣٢١هـ/٩٣٣م سجّل الناصر لدين الله لمحمد بن عبد الله بـن حُـدير علـى مدينـة طليطلـة وأعمالها[3] لكنه عزله عنها في السنة التالية ٣٢٢هـ/٩٣٣م وأرسل بدلاً منهُ محمد بـن عبـد الرحمن[4]. وفي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م عزل عنها محمد بن عبد الرحمن واستبدله بأحمـد بـن محمد بن مبشر واشرك معه عبد الله بن محمد[5]. وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م عزل عنها قسم بن حريق واستبدل بهشام بن جَهْوَر وسجل له كذلك على قلعة رباح، بيد أن ابن حيان لم يذكر لنـا متى عُزل كلاً من أحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد، ومتى كذلك وُلـي قاسـم بـن حريق[6] لكن قاسم بن حريق لم تطل مدته إذ تم عزله عن ولاية طُليطلة سنة ٣٢٩هـــ/٩٤٠م واستبدل بعيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى، وقد ظم إليهما الناصر لدين الله عمالة كورة قلعة

---

(١) ابن خلدون: العِبر، ١٨١/٤.

(٢) ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٣١٩.

(٣) ابن حيّان: المقتبس ٣٣٢/٥، أحداث سنة ٣٢١هـ.

(٤) ابن حيّان: المقتبس ٣٥٥/٥، أحداث سنة ٣٢٢هـ.

(٥) ابن حيّان: المقتبس ٤١٧/٥، أحداث سنة ٣٢٥هـ.

(٦) ابن حيّان: المقتبس ٤٦٢/٥، أحداث سنة ٣٢٨هـ.

رباح كذلك، وتم كذلك عزل هشام بن جَهْوَر عن قلعة رباح[1]. في سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م تم عزل عيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى، وأرسل بدلاً منهما إلياس بن سليمان[2]. وبقيت طُليطلة على حالها من الطاعة يتداولها الولاة في عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠- ٣٦٦ هـ / ٩٦١/٩٧٦م) كما كانت عليه في عهد الناصر لدين الله ولم أجد في المصادر الإسلاميّة ما يُشير إلى حدوث أيٍ من الفتن أو الثورات الداخلية في مدينة طُليطلة، مما يدلُّ على أنَّ أمورها سارت على أجمل طريقة وأفضل حال خلال عهد الحكم المستنصر بالله .

طليطلة في عهد الخلية هشام (المؤيد بالله) بن الحكم (المستنصر بالله)

(٣٦٦هـ/ ٩٧٦م- ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)

بويع له بعد وفاة أبيه الخليفة الحكم المستنصر بالله، سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وكان هشام صبيّاً لم يبلغ الحُلم، وتم ذلك بعد أن قُتل المغيرة عمّه بتدبير من أبي عثمان المصحفي حاجب الخليفة الحكم، وبتنفيذ من الوزير محمد بن أبي عامر المعافري، الذي حجر على الخليفة هشام فيما بعد، وتغلب عليه، وأبعده عن الناس، ولم يَبْقَ لهشام من الخلافة إلا اسمها والدعاء له على المنابر، وكتب اسمه في السكّة والطرز، وكان هشام هذا جامد الحركة، أخرس الشمائل، وأمّه صبح (Aurora) من البشكنس، وهي مَنْ أوصلت الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إلى ما وصل إليه، وبقي هشام محجوباً عن الناس، وليس بيده شيء، والقائم بالأمور أبو عامر محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور الذي أصبح حاجباً لهشام بعد أن تخلص من قائد الجيوش غالب الناصري، والحاجب المصحفي وَصَفَتْ له الأمور، وفي عهد المظفر عبدالملك وأخيه عبد الرحمن شنجول بقي هشام محجوباً معطلاً، حتى قيام الفتنة البربرية في الأندلس سنة ٣٩٩هـ،

---

[1] ابن حيّان: المقتبس ٤٧٢/٥، أحداث سنة ٣٢٨هـ.

[2] ابن حيّان: المقتبس ٤٨٩/٥، أحداث سنة ٣٣٠هـ.

حيث تم قتل هشام المؤيد على يد سليمان المستعين بالله الأموي سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م عندما دخل البربر قرطبة، وكان هشام رحمه الله لا ينفذ له طول مدته أمر، ولم يولد قط)[١]. أما بالنسبة لطليطلة في عهد هشام وحاجبه محمد بن أبي عامر فقد ولي عليها عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز ابن أمية بن الحكم الربضي أبو بكر، الملقب بالحجر[٢]. ولم

---

(١) للمزيد انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٢/٢٥٩- ٢٦٢، ٣/١١٣- ١١٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦/٨٣، ١٧٢، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٤٨، ابن بسام: الذخيرة ٤/٣٦، الحُميدي: جذوة المقتبس، ص٢١، الضبي: بغية الملتمس، ص٢٤، ابن الفرضي: علماء الأندلس، ص١٥، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/٤٤-٤٥، المقري: نفح الطيب ١/ ٣٩٦- ٣٩٨. ابن سعيد: المُغرب ١/ ١٣٢- ١٣٤، وفيه أن ولادته كانت سنة ٣٥٤هـ، ابن خلدون: العِبر، ٤/ ١٧٦، عبدالواحد المراكشي: المعجب، ص٤٥، النباهي: قضاة الأندلس، ص١٣، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٦، النويري: نهاية الأرب، ٣/ ٢٣٥- ٢٣٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٥٢٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٣- ١٢٤، العِبر: ٢/ ١٨٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٤/٢٢٢، وقد اعتبره من وفيات عام ٣٩٩هـ وهذا خطأ حيث أجمعت المصادر على أن وفاته سنة ٤٠٣هـ، الزركلي: الأعلام، ٨/٨٥، ياسر أبو طعمه: محمد بن أبي عامر في الشعر الأندلسي، ص٣٣، ٣٤، والكتاب دراسة مفصلة وشاملة حول الأوضاع السياسية في عهده مع الاهتمام بالجانب الأدبي).

(٢) هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز ابن أمية بن الحكم الربضي، أبو بكر، يلقب بالحجر، ويقال له: (البِطْرَشَك) بالعجمية ومعناه الحجر اليابس (Piedra Seca) بالإسبانية وقيل أنه لُقِّبَ بالحجر لبخله. كان رحمه الله أحد رجالات المروانيّة، عقلاً وشهامةً وأدباً وغزارَة علمْ وامتاع حديث وطيب مجالسه. (ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/٢١٧) وفي المُغرب: كان جليل القدر، عظيم الذكر، يُعرف بالحجر. (ابن سعيد: المُغرب ٢/١٢). فوّض إليه أمر طليطلة زمن هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور، وكان على مقدمة جيوش المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليقية بعد منصرفه من مقتل غالب الناصري سنة ٣٧١هـ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرَّجل، سجنه المنصور محمد بن أبي عامر لأنه تحالف مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر الذي قام على أبيه وقد قتله أبوه المنصور سنة ٣٨٠هـ، وبقي عبد العزيز مسجوناً حتى وفاة المنصور سنة ٣٩٢هـ، حيث أطلقه المظفر عبدالملك بن أبي عامر وخلع عليه وولاه الوزارة، وتوفي رحمه الله سنة ٣٩٣هـ. وهو غازياً مع المظفر بمدينة مارده وقبره بمسجدها، وكان رحمه الله جَلداً في محنته كثير الدعاء. ومن جميل شعره بعد أن ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر وسجنه بالمطبق بالزهراء بعد أن أطيف به على جَمل بالطويل]:

تنقل لنا المصادر أي تفصيل عن طليطلة خلال تلك المدة، أو عن أي أحداثٍ قد جــرت بهــا، فالبلاد الأندلسية على وجه العموم صفت أيام الحكم المستنصر، وكذلك الأمر أيام ولــده هــشام وحاجبه المنصور محمد بن أبي عامر، فقد كان الناصر لدين الله قد قضى على الثــورات فــي الأندلس، ودانت له وصَفَت، فورّثها لمن بعده على أحسن من يكون من القوة والمنعة، والعــزة والهيبة والأمانِ والرخاء.



فررتُ فلم يُغنِ الفرارُ، ومن يكنْ ... مع الله لا يُعجزْه في الأرض هــاربُ

ووالله ما كان الـــفرارُ لحـــالةٍ ... سوى حذر المــوت الذي أنا راهـــبُ

ولو أننـــي وُفِّقتُ للرشد لم يكن ... ولكــن أمرَ الله لا بـــد غالـــــبُ

وقد قادنـــــي جرًّا إليك برُمتي ... كما اجترَّ ميتاً في رحى الحــرب سالبُ

(للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء، ٢/ ٢١٥- ٢٠، ابن سعيد: المُغرب ٢/١٢، الحُميدي: الجــذوة، ص٢٣١، الــضبي: البغية، ص٣٠١، المقري: نفح الطيب ٣/ ٣٤٣، أبو طعمة، محمد بن أبي عامر في الــشعر الأندلــسي ص١٧٧- ١٨٠.

الفصل الثالث

الباب الأول

طُلَيْطُلة في عهد ملوك الطوائف حتى سقوطها

(٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م- ٤٧٨هـم ١٠٨٥م).

تمهيد

طُلَيْطُلة في عهد بني ذي النون

(٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م).

- **عهد إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (الظافر) (٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م- ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م).**
- **عهد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) (٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م- ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م)**
- **عهد يحيى بن إسماعيل بن يحيى (القادر حفيد المأمون) (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م).**

طُليطة في عهد ملوك الطوائف حتى سقوطها

(٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

تمهيـــــــد:

في جمادى الآخرة من سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، كانت بداية الفتنة على بلاد الأندلس؛ وذلك بقيام (المهدي) محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن بن محمد (الناصر الأموي) على الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله؛ حيث قتل حاجبه عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بشنجول، وخلع الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله، وبايعه أهل قرطبة فأصبح الخليفة. ثم قام على المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار سليمان بن عبد الرحمن بن الحكم ابن أخ المهدي، الملقب بالمستعين، وجرت بينهما حروب انتهت بمقتل المهدي، سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، ومقتل الخليفة هشام المؤيد بالله سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م، ومقتل سليمان الملقب بالمستعين بالله سنة ٤٠٧ هـ، ودارت رحى الفتنة في بلاد الأندلس عامة، فافترقت الجماعة، وانتزى كل والٍ بما ولّي عليه واستقلّ به، وبدأ القوى يطمعُ بالضعيف لأخذ ما بيده وتناثرت فصوص عقد الأندلس، ودبّ الخلاف، وبدأ في بلاد الأندلس ما يسمّى بعهد ملوك الطوائف، عهد الشقاق والنفاق، والضعف والغربة والفرقة، وإذا نزل قضاء الله لا رادّ له إلا هو: قال المقري بهذا الشأن نقلاً عن كتاب مناهج الفكر لابن الوطواط الكتبي المتوفى سنة ٧١٨هـ: (ولم تزلْ هذه الجزيرة منتظمةً لمالكها في سلك الانقياد والوفاق، إلى أن ضما بمترفيها سيلُ العِناد والنفاق، فامتازُ كلّ رئيس منهم بصقعٍ كان مسقط، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصارَ كلٌّ منهم يشنُّ الغارةَ على جارهِ، ويحاربه في عقر داره إلى أن ضعفوا عن لقاءِ عدّو في الدّين يعادى، ويراوح معاقلهم بالعبثِ وإتاوةٍ في كلّ عام

على الكبير والصغير مقرّرةٌ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وقَدَراً في سابق علمِ اللهِ مقدورا)[١].

انتهى

ويحدثنا ابن بسّام عن ما آلت إليه طُليطلة في عهد ملوك الطوائف فيقول: **(ونتلو هذا الفصل بنُبَذٍ لها بهذا الموضع موقع، من أخبار طُليطلة البائسة، وشرح الحال التي أبادت مصانعها، وطيّرت واقعها، وما آل إليه أمر المملكة القابضة للأنام، المبنية على هدم دعائم الإسلام، المجموعة من افتراق الجماعة، المغلوب عليها أئمة السمع والطاعة. ونذرك طرفاً من حديث مآل أميرها المترف المسرف، الملقب- كان- من الألقاب السلطانية بالقادر بالله، جهلاً منه بحقيقته، وتهاوناً بالله وخلَيفته. خُطّةٌ ذاده المقدار عن مستقرها، ودعوى دفع الليل والنهار في صدرها)**[٢].

عندما دارت رحى الفتنة في بلاد الأندلس، كانت طُليطلة أول ممالك الأندلس استقلالاً عن دولة الخلافة الأُموية، حيث استقل بها قاضيها **أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي**[٣]، وكان ذلك سنة ٤٠٠هـ ١٠٠٩م، وكان يعاونه جماعةٌ من رؤساء أهل قرطبة، يحكمون معهُ، ومنهم **عبد الرحمن بن متيوه، وابن مسرّة، وابن كوثر**[٤]، لكن هذه الجماعة ما

---

(١) المقري: نفح الطيب ٤/ ٤٤٦.

(٢) ابن بسّام: الذخيرة، ٨٩/٤.

(٣) هو: يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي: من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر، روى عن أبيه وغيرهِ، كانت له رحلة إلى المشرق، وله عناية كثيرة بالعلم، كان حافظاً للفقه، ذاكراً للمسائل، وقد تولى الأحكام في طليطلة، ثم صار إليه تدبير الرياسة عقب الفتنة البربرية سنة ٤٠٠هـ، ثم خُلع عن الرياسة وحلّ محلّه الظافر إسماعيل بن ذي النون، وصار ابن يعيش إلى قلعة أيوب وبها كانت وفاته سنة ٤١٨هـ، وقيل وفاته سنة ٤١٩هـ. (للمزيد: ابن بشكوال، الصلة ٢/ ٥٢٩، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٢).

(٤) هو: أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري: كان فقيهاً متفنّناً، كان يأتيه طلاب العلم من قلعة رباح ومن المشرق يمكثون عنده الأشهر، فيقوم على خدمتهم وإطعامهم، أحسن الطعام وأطيبه مع التدفئة والعناية، وولي أحكام طليطلة

لبثَ أنْ دبَّ الخلاف بينهم، وتم عزل القاضي ابن يعيش، وصار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ٤١٨هـ[١]، وولي الأمر عبد الرحمن بن متيوه، وبعد وفاته ولي ولده عبدالملك بن عبد الرحمن بن متيوه، فأساء السيرة في الرَّعية، وأهل طليطلة جُبلوا على النفاق والفتن، وخلعِ طاعة الولاة، فاتّفقوا على خلع عبدالملك، وراسلوا عبد الرحمن ابن ذي النون في شنتيريه (Santaver) يستدعونه للقيام بأمر طليطلة، فوجه إليهم ولده إسماعيل، وكان ذلك سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م[٢].

قال ابن الأثير بهذا الشأن: (...**وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته إلى إسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ولقبه الظاهر بحول الله، وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدب بآداب أهلها، وكان مولد إسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب وله شعر جيد وصنف كتاباً في الآداب والأخبار**)[٣].

مع ابن يعيش فاستثقله ودبّر على قتله، وذكر ابن بشكوال أن ابن حيّان ذكر أنه مات مسموماً سنة ثلاثٍ وأربعمائة (٤٠٣هـ) رحمه الله. (ابن بشكوال: الصلة ١/ ٤٦).

[١] ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٦، ابن الأثير: الكامل ٧/ ٢٩٢، ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، طبعة دار الفكر، ابن الآبار: الحلة السيراء ٢/ ٣٧، والحاشية رقم ٥ القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٢ وفيه أن وفاة ابن يعيش كانت سنة ٤٢٧هـ، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٢، ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٥٢٩، عنان: ملوك الطوائف ص ٩٥-٩٦، النويري: نهاية الارب ٢٣/ ٢٥٨.

[٢] ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٦، ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٥٢٩، ابن سعيد: المُغرب ٢/١٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ٢/ ١٧٦، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٢، عنان: ملوك الطوائف، ص ٩٦.

[٣] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧/ ٢٩٢، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت – بنان،ط٤ ١٩٧٣

طليطلة في عهدِ بنـي ذي النون

عهد إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون

(٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م- ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)

وكانت أوَّلية نبّاهة بني ذي النون من جدِّهم ذي النون، أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م- ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) وكان قد اعتل خصيٌّ له، وكان عائداً من الثغر، فتركه الأمير محمد عند ذي النون بحصن أُقليش (Ucles) يمرِّضه، فلما آفاق وبرئ من علته لحق بقرطبة مع الخصي، فأخذ له توقيفاً بتقديمه على حصنه، ثم تداول تلك الخطة ولده إلى أيام الحكم المستنصر بالله (٣٥٠هـ/ ٩٦١م- ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) وفي دولة محمد بن أبي عامر المعافري الحاجب المنصور (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م- ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) تعلق به المطراس بن ذي النون وولده إسماعيل معهُ. وبعد انقراض دولة ابن أبي عامر؛ لحق بالثغر وجمع إليه بني عمّه، وخطب من سليمان المستعين ولاية أقليش، فولاه إيّاه، ثم تهيّأت له قلعة كونكة التي كانت بيد واضح العامري، فلما مات ضبطها إسماعيل بن ذي النون، وحصل له البلد وأصبح تحت إمرته وسطا على من يجاوره من قواد الثغر، فاستقامت له الأمور وعقد له سليمان المستعين الثائر في قرطبة مع البربر الوزارة، ولقبّه بناصر الدولة، وكان إسماعيل بن ذي النون أول الثائرين والمفارقين للجماعة، منهُ نبعت الفتن،ــ وكان يتجرّأ وينالُ من السلف الصالح، ناهيك عن شدة بخله، فتولى أمر طليطلة وساسها السياسة الحسنة، ورضيه أهل طليطلة، وكان معتمداً في تدبير أمور طليطلة على رجلٍ من أكبار أهل طليطلة اسمه **أبو بكر الحديدي**، وكان من أهل العقل والعلم والذكاء والدهاء، وحسن النظر في صلاح أهل طليطلة، فحسده الناس على منزلته عند الظافر إسماعيل بن ذي النون، وكان ابن ذي النون يشاوره في صغائر الأمور وكبائرها، ولا

يقطعُ أمراً حتى يأخذ رأيه. وبقي إسماعيل بن ذي النون يحكم طليطلة حتى وفاته سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م[١]. قال ابن حيّان بحق ابن ذي النون إسماعيل الظافر (...**وآثر الفرقة، واقتطع جانبه، فكان أول الثوّار لمفارقة الجماعة، وفَرطهم في نقض الطاعة، ثم اتفقت له أُمور اتّسع بها عَمَلُهُ، وكثرت جبايته وجمعه، وكان من البخلِ بالمال والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق، بمنزلةٍ لم يكن عليها أحدٌ من ملوك عصرهِ، لم يرغب في صنعةٍ، ولا سارع إلى حسنةٍ، ولا جاد بمعروف، فما أعملتْ إليه مطيّة، ولا حملت نحوه أحداً ناقة، ولا عرَّج عليه أديبٌ، ولا شاعر، ولا امتدحه ناظمٌ ولا ناثرٌ، ولا استخرج من يده درهم في حق، ولا باطل، ولا حَظِيَ أحدٌ منهُ بطائلٍ، وكان مع ذلك سعيد الجدّ، تنقادُ إليه دُنياه، وتصحبه سعادته فينال صعاب الأُمور بأهونِ سعيه، وهو كان فرط الملوك في إيثار الفرقة، فاقتدى به من بعدهِ، وأمّوا في الخلافِ نهجهُ، فصار جرثومة النفاق، وأولّ من استنَّ العصيان، والشقاق، ومنه تفجّر ينبوعُ الفتن والمحن، فتبارك من أملى له، ولم يرضَ له عقوبة الدنيا مثوبة. فقد كان أصحابه حفظوا عنه كلماتٍ في سبيل ذكر السلف الصالح زيادةً إلى مساوئِهِ؛ وذلك أنّهُ نوظر في شأن التأمير لبني أُميّة فقال: والله لو نازعني سلطاني هذا الصّديق لقاتلته، ولما سلَّمتُ لهُ، فكيف أسلِّم لمن**

---

[١] ابن بسّام: الذخيرة ٤/ ٨٩- ٩٠، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق الأب ملشور م. انطوانيه، باريس ١٩٣٧م، ص ١٧- ١٩، ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٦- ٢٧٧، ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، وفيه أن وفاة الظافر إسماعيل كانت سنة ٤٢٩هـ، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٨، وفيه أن وفاته سنة ٤٣٥هـ، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٢، وفيه أن وفاته سنة ٤٢٩هـ، والظاهر أنه ينقل عن ابن خلدون، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٦، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٢ وفيه (قال ابن غالب: إنه توفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة) المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤٠- ٤٤١، عنان: ملوك الطوائف، ص ٩٦.

يدعى إليه من بني أميّة، ممن لا يوجب الله طاعتهم، عترة مروان خيط باطل[١]**، الـذين لـم يسبق لهم صُحبة ولا أدخلهم السلف في شورى الإمامة)** انتهى كلام ابن حيان[٢].

طليطلة في عهد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون المأمون

٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م- ٤٦٧- ١٠٧٥م

بعد وفاة الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرِّف بن ذي النون الهـواري، ولي أمر طليطلة ولده يحيى بن إسماعيل، تلقبّ بالمأمون، وسار على سنن أبيه في تقديم وزيره ابن الحديدي، ومشاورته والاعتماد عليه في إدارة الأمور، وكان والده قبل وفاته جعل له خاصةً يشاورهم إضافةً إلى ابن الحديدي وهم: ابن محقور، وابن لبون، وابن سعيد بن الفرج. قال ابـن بسام: **(بلغني أنّه لمّا مات الظافر إسماعيل، كان حَمَلَةُ دولتهِ ورؤس جملته، الحاج ابن محقور، وابن لَبُون، وابن سعيد بن الفَرج، وكان أَكَدَ ما عهده إلى ابنه يحيى المتلقب بعده بالمـأمون الاقتداء بهديهم، والانتهاء إلى رأيهم،...)**[٣]. وكان المأمون رحمه الله أعظم قدراً وشهرةً مـن بين آبائِهِ وأحفادهِ من بني ذي النون[٤]، وقد عظم بين ملوك الطوائف، وكان بينهُ وبين الفونـسو السادس مواقف مشهورة، وقد غلب المأمون على قرطبة وملكها من يد المعتمد بن عبّاد بعد أن

---

[١] قيل في المثل: **(أدَقُّ من خيطِ باطل)** وهنا قولان: أحدهما أنّه الهباء يكون ضوء الشمس فيدخلُ من الكوّة في البيت. أمّا ألقول الثاني: أنّه الخيط الذي يخرجُ من فم العنكبوت، ويسميه الصبيان، مخاط الشيطان، وعند الجوهري: خـيط باطل، ولعاب الشمس، ومخاط الشيطان واحد، وكان لقب مروان بن الحكم خيط باطل لأنه كان طويلاً مـضطرباً. (الميداني: مجمع الأمثال ١/ ٤٨٠، العسكري: جمهرة الأمثال ١/ ٤٥٤).

[٢] هذا نص ابن حيّان نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة ٤/ ٨٩- ٩٠، وقد وصفه ابن حيّان بمواضع عدّة وذكر سوء قوله ونيله من السلف الصالح ومن بني أمية ص ٩٠- ٩١.

[٣] ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ٩١.

[٤] ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٣.

قتل ولده عمرو، ثم غلب على بنلسية وأخذها من يد المنصور (الصغير) بـــن أبـــي عـــامر[١] واستقامت له الأمور في طليطلة، وأطاعته الرعية، وضخم ملكه لأنه ساس دولته خير سياســـة، وكانت وفاته رحمه الله سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م) بقرطبة، وحمل جثمانه إلى طليطلة، وقيل أنّـــهُ مات مسموماً بقرطبة[٢].

قال الحجاري بحق المأمون: **(لم يكن فيهم أعظم قدراً، وأشهر ذكراً منهُ، اجتمـــع فـــي مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف حسنة القيروان، وعبد الله بن خليفة المـــصري الحكـــيم، وأبو الفضل البغدادي الأديب. ولم يجتمعُ عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمـــع عنـــده مـــن الوزراء والكتّاب الجلة: منهم أبو عيسى بن لَبُّون، وابن سفيان، وأبو عامر بن الفرج، وأبـــو المطرّف ابن مثنّى)** [٣].

وعند ابن الأثير في الكامل بعض الخلط والوهم من خلال حديثه، عن المأمون بـــن ذي النون يحيى، فقد خلط بينه وبين حفيده يحيى بن إسماعيل بن يحيى (المأمون). فيحيى الحفيد لُقّب بالقادر أما يحيى الجد فقد لقب بالمأمون، وقد نسب ابن الأثير صفات يحيـــى (القـــادر) ليحيـــى المأمون وهذا خلط ووهم. ثم قال أنَّ في عهد يحيى المأمون أُخذت طليطلة، وقد قتل في بلنسية وهذا خلاف لما أوردته المصادر بالإجماع كما أسلفنا، وسيأتي الحديث عن يحيى القـــادر فـــي موضعه إن شاء الله.

---

(١) المقري: نفح الطيب، ١/ ٤٤٠.

(٢) للمزيد عنه انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٧– ٢٨٥، ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، ابن سعيد: المُغـــرب ٢/ ١٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٦– ١٧٧، ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٩٠– ٩٢، المقري: نفح الطيـــب ٤/ ٤٤٠، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٨– ٢٥٩، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٢.

(٣) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٣.

والآن نورد نص ابن الأثير بشأن يحيى بن ذي النون (المأمون) وفيه خلط ووهم قال ابن الأثير: (...**وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته إلى إسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ولقبه الظاهر بحول الله، وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدب بآداب أهلها، وكان مولد إسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب وله شعر جيد وصنف كتاباً في الآداب والأخبار؛ وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون وأكثر مهاداة الإفرنج ومصانعتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده إلى أموال الرعية، ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شئ حتى أخذت طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وصار هو ببلنسية وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن حجاف الأحنف)** [١].

لقد كانت مدة المأمون بن ذي النون (٤٣٥هـ- ٤٦٧هـ) مليئة بالخصومات مع أشد منافسيه من جيرانه، ابن عبّاد صاحب إشبيلية وابن هود صاحب سرقسطة؛ وكان بداية الصراع بين يحيى وابن هود، حيث يجاوره من ناحية الشمال الشرقي. فبعد وفاة الظافر إسماعيل كان سليمان بن هود قد طمع بوادي الحجارة، فأرسل جيشاً بقيادة ولده أحمد بن سليمان للسيطرة على وادي الحجارة الذي هو أصلاً من أعمال طليطلة، فنازلها أحمد بن سليمان سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م، لكن يحيى بن ذي النون لم يكن يعلم بهذا الهجوم، ولمّا علم جهزّ جيشاً والتقى مع ابن هود في معارك عدّة، كانت الغلبة فيها لابن هود، وانهزم يحيى بقواته وابن هود يلاحقه حتى تحصن في طلبيرة، وهي من أعمال طليطلة تقع على نهر تاجه غربي طليطلة، وشدّد الحصار عليه وضايقه، ثم فك الحصار عن يحيى، بعد أن كاتب أحمد بن سليمان أباه، وعاد أحمد إلى

---

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧/ ٢٩٢، طبعة دار الكتاب العربي.

سرقسطة وبذلك ينجو يحيى من قبضة أحمد بن سليمان بن هود[1]. وعنـد حتاملـة أن سـبب انسحاب ابن هود عندما كاتبَ والده؛ أنه خشي من قيام القوات النصرانيّة بـبعض التحركـات المعادية، فآثر الانسحاب خشية أن تكون بلاده هي المقصودة، وبذلك يجمع شمل جيوشه للتصدي لأي اعتداء[٢] وهذا ليس مستبعداً فقد كانت سرقسطة قريبة جداً لاراضي النصارى وكانت تسمى الثغر الأعلى المتاخم لحدود قشتالة.

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**... وضخم ملكه وكان يلي نظره من ناحية سليمان بـن محمد بن هود مدينة وادي الحجارة، فعارضه ابن هود فيها وكان بعض أهلها يميلون إلى بن هود وبعضهم إلى بن ذي النون، فبعث سليمان بن هود جيشاً إليها أمرَّ عليه ابنه أحمد ولـي عهدهِ فنازلها وقاتلها واستجاب له بعض أهلها فأدخلوه البلد. وبلغ ذلك يحيى بن ذي النـون فقامت قيامته وأسرع نحو وادي الحجارة ليباشر ما جرى من أمرها فجرت بينه وبين ابن هود حروب ووقائع كان الغلب فيها لابن هود إلى أن فرّ ابن ذي النون أمامه وانحصر في مدينـة طلبيرة بجيشه فنازله أحمد بن هود وضيَّق عليه وكتب إلى أبيه يعلمه بما تهيّأ له عليه فجاوبه أبوه بالرجوع عنه فرجع ابن هود إلى سرقسطة،...**)[٣].

لم ينسَ يحيى شرَّ الهزيمة، إذ بدأ بعد قفول أحمد بن سليمان بـن هـود عـن أرضـه؛ الاستعداد للثأر والانتقام، واسترجاع وادي الحجارة الذي بات ضمن دولـة ابـن هـود، وقـام بمفاوضة ملك قشتالة فرناندو الأول، وطلب منه العون، ووضع يده بيدِ للانتقام مـن صـاحب

---

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/٢٧٧- ٢٧٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٧، عنان: ملوك الطوائـف، ص ٩٦- ٩٧.

(٢) حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ٢/٧٠١.

(٣) نص ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٧- ٢٧٨.

سرقسطة، وقد استغل ملك قشتالة موسم الحصاد صيفاً إذ بعث بعض سراياه فعاثت بالأراضـــي المتاخمه لقشتاله من مملكة سرقسطة، فقام جنود النصارى بحصد الزروع وأخذها عنــوة إلــى بلادهم، مع القتل والسبي والتخريب، وعادوا إلى بلادهم، أمّا ابن هود فقد بقــي ممتنعــاً فــي حصون سرقسطة، وقام المأمون يحيى كذلك بمهاجمة أراضي سرقسطة المتاخمة له وعاث فيها، ثم فكرَّ المأمون بكسب جانب ابن عبّاد لجانبه وذلك بالاعتراف بالدعوة الهاشمية، فعقــد البيعــة على نفسه وأجنادِه، وأعلن بالدعاء على منابرِه، وذلك عندما جيء بالحُصري وقيل بأنّه هــشام المؤيد بالله، كان ذلك تدبير المعتضد بن عبّاد، حيث أظهره، وأعلن خلافته. وكان ابن ذي النون طامعاً بعون ابن عبّاد، فوعده ابن عباد بالعون مقابل الاعتراف بالدعوة المروانية كما ذكرنا؛ إلا أنَّ ابن عبّاد شغل في حربه مع ابن الأفطس صاحب بطليوس، ولم يــوفي بوعــده للمــأمون، وبالمقابل سعى ابن هود لطلب عون النصارى لينال من المأمون فأصبحا بالحال سواء في أمــر طلب العون من عدو الله على أنفسهم دون أن يشعروا. فقام ابن هود بمحالفــة فرنانــدو الأول وأرسل له أموالاً وتحفاً وطلب منه الإغارة على أراضي طليطلة، فبعــث فرنانــدو الــسرايا، وغارت على أراضي طليطلة شمالاً حتى وادي الحجارة، وقلعة النهر (قلعة هناوس) حرقاً ونهباً وتخريباً. وبالمقابل طلب ابن ذي النون من غرسيه بن شانجه ملك نافار القيــام بــنفس الــدور بالإغارة على أراضي سرقسطة وحصل ذلك بعد أن أرسل له المال والهدايا، فعاث غرسيه في أراضي سرقسطة، وكان بين فرناندو وأخيه غرسيه ابْنَيّ شانجه من العداوة أكبر مما بين ابــن هود وابن ذي النون، فلو استغل ابن هود وابن ذي النون هذه الفرصة لافتتحوا حصونهم، ونهبوا زروعهم، فتقوى شوكتهم، ويتفرّق جمع النصارى الذين قويت شوكتهم بضعف ملوك الطوائــف حتى دخلوا طليطلة سنة ٤٧٨هـ.

ولم يلبث فرناندو أن أغارَ مرة أخرى على الأراضي التابعة لابن ذي النـــون[1] فكانـــت مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ، وهكذا فقد قام النصارى بدور المنتقم المأجور، وهم على الحالتين قد كسبوا المال والهدايا وما غنموا أثناء غاراتهم على المسلمين في طليطلة وسرقسطة، ثـــم أنهـــم كشفوا سرّ المسلمين وعورات بلادهم، بل أضعفوا المملكتين طليطلة وسرقسطة في آن واحـــد، وكل ذلك من أجل أن ينتقم المسلم من أخيه المسلم على حساب أرضِهِ وعرضِهِ وهيبتِهِ. وهذا هو دأب ملوك الطوائف، وجُلّ ما تمناهُ ملوك النصارى فجاءتهم الأمنية على طبق من ذهب.

قال ابن عذاري بهذا الشأن: **(فلجَّ ابن ذي النون في الفتنة ومطالبة سليمان بـــن هـــود فأداه اللج. والجنوح إلى الغلبة والإباية من الاستهضام على مظاهرة النصارى والتناصر بهم فاستمال القومسان الأشبان من ولد الطاغية شا[نجه]....، ورعيا من المسلمين بالثغر الأعلى قاصدين مكروه ابن هود لإرضاء ابن ذي النون، فانبسطوا هنالك آمنين وجرت خيولهم كيف شاءت في بلاد المسلمين مطمئنين، ولاذ منهم ابن هود وولده بحصونهم وتركهم يجولون في الأرض فلا أحد يصدهم عن ذلك، وكان أوان الحصاد، فنزل المشركون بساحتها نزول إقامـــة وحشروا لها علوجهم للحصاد والنقلان مدة من شهرين كاملين، حتى استوعبوا جميع ما فيها حصاداً ودرساً ونقلاناً إلى بلادهم، والمسلمون ينظرون إليهم لا يملكون دفاعاً، ثـــمَّ انـــصرف العدوُّ عنهم إلى أرضه بعد ما قتل وأسر ودمّر فقوي طمعه فيهم، وامتدّت آماله إلى التغلُّـــب على بلاد المسلمين، إذ لم يقف أحد في وجهه، وتمكّن خلال ذلك يحيى بن ذي النون من العبث فيما يليه من بلاد ابن هود ولم يقصر في إفساد ما وطئ مـــن أرض المـــسلمين، ثـــم دعـــت الضرورة لابن ذي النون إلى محالفة المعتضد بن عبّاد والدخول في دعوته الهـــشاميّة التـــي**

---

[1] للمزيد: (ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٨- ٢٨٠، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٨- ٢٥٩. ابن الخطيـــب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٧، عنان: دول الطوائف ص٩٧- ٩٨.

أنكرها أبوه قديماً من الدخول في دعوة المشبّه بهشام، فاستحالت نيّته عن ذلك واستجاب الآن لها ودعا رعيته إلى الدخول فيها كلٌّ ذلك طمعا في نصرته على معاداة سليمان بن هود فوعده ابن عبّاد بالتناصر والتظافر وأظهر يحيى بن ذي النون الدخول في هذه الـــدعوة الهــشاميّة، وعقد البيعة على نفسه وأجناده وأهل عمله، وأعلن بالدعاء على منـــابره لهـــذا الموضـــوع باشبيلية، فذهب به الطمع الخائب كل مذهب وغرَّه الأمل، وأتبع الباطل واشتغل ابن عبّاد عنه بحرب ابن الأفطس، والطلب لبلاده، وزلّت قدم يحيى بن ذي النون في ذلك، ولم يبلغ أمله وقد كان قرر عنده مشيخة طليلطة كابن مغيد...، رأيه في ذلك وردوا الأمر إليه فيه، وكان المتمّم لذلك من قبل ابن عبّاد وزيره ابو عمرو بن الدُّب الإشبيلي، ومن قِبل يحيى بن ذي النون أبو عمر بن الحدى، فعقد ابن الدب وابن الحدى هذا الأمر ورجع الدعاء لهشام بطليطلة بحــضرة ابن الدب، وسار ابن الدب إثر ذلك إلى إشبيلية ومعه وفد طليطلة، فجاؤوا ابن عباد فجد الدهر فيما ظنَّه واستطار بذلك فرحاً وقدَّر أنه لم يبق عليه بعد طليطلة أحد. وظاهر سليمان بن هود النصارى أيضاً فرذلند بن غرسية وردمير ابن شانجه بن غرسية وكان بين هؤلاء الإخوة من التنافس والتباعد والعداوة والحرب أشدَّ ما بين آبقين فراسل ابن هود فرذلند الطاغية وبعــث إليه بأموال جمة وهدايا جليلة، وسأله الخروج إلى بلد ابن ذي النون بجيشه فخرج بعددٍ عظيم إلى ثغر طليطلة، فأفنى حماته ورجاله وعاث في بلادهم، وصبَّ الله على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له، فلا يكاد أحد منهم يلتقي نصرانياً في قرار مــن الأرض إلاَّ ويوليــه الدبر، غير مستحيي من الله سبحانه من الفرار أمامه، حتى تعوّد أعداء الله ذلك مــنهم فــلا يعدون حبلهم شيئاً فذهبت أكثر أموال أهل طليطلة بتكرر الغارات عليهم، وفشت جوائحهم وجلا كثير من أهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم)[١].

---

[١] نص ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٧٨- ٢٨٠.

اضطّر أهل طُليطلة جرّاء هذه الحروب المتتالية التي نكبتهم إلى طلب الصلح والمهادنة، فبعثوا إلى سليمان بن هود يطلبون منه المهادنة، ووصلوا إليه في سرقسطة، فأظهر لهم قبول ما دعوهُ إليه، وابدى كذلك ابن ذي النون الميل إلى الصلح مع ابن هود رغم ما جرى بينهما من الحروب والقطيعة، وصرف ابن ذي النون حلفاءه من النصارى الذين كان قد حالفهم آنفاً كما أسلفنا.

بيد أن ابن هود لم يكن بصاحب القلب الواسع، فبيّت المكر والخداع لأهل طليطلة، فأخرج طائفة من حلفائِه النصارى، وهو معهم بجيشه، فهاجم مدينة سالم، وهي من أعمال طليطلة المتاخمة لمملكة سرقسطة، وقتل جملةً من المدافعين، واستولى على سائر ما كان قد أخذهُ منه يحيى بن ذي النون من الحصون، وأثر في أعمال ابن ذي النون آثاراً قبيحةً، وكان في هذه الغزوة مع ابن هود عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون الثائر على أخيه، يدلُّ ابن هود على عورات البلاد وثغراتها، **(وتلك الشعرة التي قصمت ظهر البعير)**. المأمون هرع بقواته لنجدة مدينة سالم، وكان ابن ذي النون خلال ذلك يبالغ في إهدار الأموال والدخائر مستنجداً بالطاغية غرسيه بن شانجه، فخرج غرسيه في جموع الكفرة قاصداً بسراياه سرقسطة، وبالمقابل كان أخوه فرناندو حليف ابن هود يقوم بنفس الدور بمهاجمة أراضي طليطلة، حيث أخلّ بأعمال ابن هود ما بين تطلية (Tudela) ووشقه(Huesca) حتى أدخل الرعب في قلوبهم قتلاً وحرقاً ونهباً وسلباً، ثم أتى قلعة قلهرة (Calat Calahorra) من ثغر تطلية وفتحها سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، أما ابن هود فقد حاد عن اللقاء، على ما كان عنده من الجيش، واقتصر على ضبط الحصون والقلاع وشحنها بالطعام والرجال وفرناندو يجوس خلال الديار[1].

---

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٨٠ –٢٨١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٧، في خبر قصير، عنان: دول الطوائف ص ٩٨– ٩٩.

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: **(واضطر أهل طليطلة أن يبعثوا إلى سليمان بن هود يطلبون منه المصالحة والمهادنة، ووصلوه إلى سرقسطة فدخلوا عليه ووعظوه وذكّروه الله سبحانه، وعرّفوه بما تهيّأ للعدو من النصر والظفر على المسلمين، وما افسد من بلاده، وما ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين، وعزموا عليه في الصلح الذي يزيل طمع العدوَ فيهم، فأظهر لهم قبول ما دعوه إليه، ورجعوا إلى أميرهم يحيى بن ذي النون وهو متردد في الميل إلى وفاق النصارى فنهوه عن ذلك فلاقوا منه انقياداً ورد العدو الذي كان معه إلى بلاده، ثم إن ابن هود مكر بابن ذي النون واستخرج طائفة من النصارى المظاهرين له الذين يستطيل بهم وركب بجيشه فيهم منتهزاً فرصته، فأتى بأب مدينة سالم المستضافة إلى ابن ذي النون باسطاً الغارة، مستطيلاً بجمعه، فخرجت خيلهم لدفاعه فهزم جميعهم وقتل منهم جملةً، ومال سليمان إلى الحصون التي كان انتزعها ابن ذي النون من يديه، فاستردَّها وأثر في أعمال ابن ذي النون آثاراً قبيحة، وكان مع سليمان بن هود: عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون أخو يحيى الذي نازعه سلطانه فدلّضه على عوراته، وبالغ في إذايته ويحيى في هذا كله قد ذهب به اللجج كل مذهب؛ فأبرز أمواله وانحنى على ذخائره؛ فوجّه بكثير منها إلى الطاغية غرسية فخرج غرسية المظاهر لابن ذي النون في جموع جمّة من الكفرة إلى الثغر الأعلى من عمل ابن هود؛ وجرت خيله وسراياه بكل سبيل وإلى كل جهة، مناغيا لأخيه فرذلند فيما فعله في عمل ابن ذي النون، فأخلَّ بأعمال ابن هود ما بين تطيلة ووشقة، وجعجع بأهل الثغر الأعلى، فَحشَى قلوبهم رعباً وخوفاً، ثم أتى قلعة قلبرة[1] من ثغر تطيلة بجمعه؛ فلم يزل عنها حتى**

---

(1) قلهرة (Calahorra): مدينة من أعمال تطيلة Tudela، وهي من مدن الثغر الأعلى، وعند ابن حيّان وابن عِذاري أنها حصن، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سرقسطة (Zarqoza) وهي قديمة معروفة قبل الفتح الإسلامي تأخر فتحها حتى سنة ٣٠١هـ-٩١٣م وفتحت في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وقد خرج من أيدي المسلمين سنة ٤٣٧هـ عندما احتلها غرسية شقيق فرناندو ملك قشتالة (للمزيد ياقوت الحموي: معجم البلدان،

فتحها وذلك في صدر عام سبعة وثلاثين، وابن هود في هذا كله قد حاد عن لقائه على ما كان عنده في ذلك الوقت من الجموع ووفور الأعداد، واقتصر على ضبط الحصون والقلاع وشحنها بالأطعمة والرجال وخلّى بين عداة الله والبسائط يسعرونها ناراً) [1].

ثم يأتي الدور المغاير، وهم حلفاء ابن هود فرناندو بن شانجه ملك جليقية، للإغارة على طليطلة في خلقٍ عظيم، وابن عم ابن ذي النون يدخل المعركة معهم ليدل النصارى على عورات البلاد، أعمال طليطلة ضاعت بها الحال، وأنهكتها الحروب واضطربت أحوال الناس، وفرّوا إلى مدينة طليطلة لعلها أمنع حصانةً من غيرها، وغصّت طليطلة بالناس الفارين من وجه فرناندو وأعوانهِ، أما يحيى المأمون فكان يحرس مدينة سالم حتى لا يعود ابن هود ليدخلها، وعندما علم بما فعله الطاغية فرناندو باعماله وضجت رعيته؛ قفل عائداً إلى طليطلة، لكنه كأن لم يعود فلم يصنع شيئاً، ولم يتمكن من لقاء فرناندو، واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت الحياة، فاضطرّ أهل طليطلة إلى أن يرسلوا إلى الطاغية فرناندو ظهير ابن هود لطلب الصلح والمهادنه، فاستغل الظرف، وبالغ بطلب الأموال الكثيرة، واشترط شروطاً لا يقدرونَ عليها فقالوا لهُ، لو كان لدينا ما تطلب من المال لاستدعينا البربر، فقال لهم عباراتٍ بأنكم لن تتمكنوا من استدعاء البربر لما بينكم وبينهم من العداوة ولو استطعتم لفعلتم، ونحن نطلبُ بلادنا التي أخذتموها بادئ الأمر يعني فتوح طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، فارحلوا عنّا، وفي الوقت نفسه كان حلفاء ابن ذي النون غرسيه بن شانجه وحلفاؤه يغيرون على أراضي

٣٩٣/٤، البكري: جغرافية الأندلس، ٦١-٦٢، ابن عِذاري: البيان المُغرب ١٦٤/٢، ١٧٨، ٢٨٠/٣- ٢٨١، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ٧٤، ٩٧، ابن حيّان: المقتبس، ٩٨/٢-٩٩، ١٦٥، حتاملة: إيبيريا، ٩٧، ٢٤٩، موسوعة الديار الأندلسية ٨٨٥/٢.

[1] نص ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٨٠- ٢٨١.

ابن هود، واستمرت الغارات بينهم حتى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م حيث انتهت بموت سليمان بن هود صاحب سرقسطة[1].

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**... وخرج فرذلند الطاغية أيضاً المظاهر لسليمان بن هود، وهو فرذلند ابن شانجه أمير جليقية إلى ثغر طليطلة في خلق كثير، وجاءه ابن عم [ابن] ذي النون ليدله على عورات البلاد وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم واضطربت أحوال أهلها، كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذي النون غائب عنهم بجيشه في مدينة سالم مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود، فلما تيقن بخروج هذا اللعين إلى عمله وضجت رعيته إليه؛ جاء في جموعه فلم يصنع شيئاً ولا قدر على لقائه واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت، فلما رأى ذلك أهل طليطلة، أرسلوا إلى الطاغية فرذلند الظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحاً على بدلهم طليطلة وما حولها على ما يؤدونه إليه، ويرحل عنهم فقال لهم: ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا، واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها، فقالوا: لو كنّا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لنفقناها على البرابرة واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة، فقال لهم فرذلنذ أمّا قولكم لا تقدرون على هذه الأموال فذلك محال، فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهباً لكثرته، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا وتهددّونا به، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم وقد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا على عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكنكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم، فلم يجد رسل أهل طليطلة**

---

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٨١- ٢٨٢، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٧، في خبرٍ قصير مختصر، عنان: دول الطوائف، ص٩٩.

عند فرذلند وأصحابه النصارى قبولاً لما عرضوه عليهم من الصلح، وكان أخو هـذا العِلـج صاحب يحيى بن ذي النون مظاهراً له فخرج في هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها وأغلظ في إهلاكها وأخلَّ بالثغر الأعلى وفعل فعل أخيه فرذلند في نظر ابن ذي النون، ودامت الفتنة ما بين هذين الأميرين ابن هود وابن ذي النون على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وانقطعت بموت سليمان بن هود في السنة المذكورة) [١].

وبموت ابن هود ينقضي عهدٌ من الحروب الدامية استمرت من سنة ٤٣٥هـ وحتى آخر سنة ٤٣٨هـ، ويتنفس المأمون ابن ذي النون الصعداء بهذا الفرج، بموت عدّوه ابن هود، لكـن ابن ذي النون على ما يبدو قد تعوّد على أجواء الحروب والقتال، ولم يتلقّنُ درساً من هزائمه مع ابن هود. وهذه المرة المظفر بن الأفطس صاحب بَطَلْيُـوس (Badajoz)، وأقربُهـا لمملكـة طليطلة، فبدأ يطلب جاره، حيث جرت بينه وبين ابن الأفطس حروب، لكنها لم تكن تلك الحروب الضارية، فعلى ما يبدو كانت مناوشات ليست ذات شأن على الساحة السياسية[٢] وعند عنان أن هذه الحروب قد نشبت بين الفريقين بعد سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م[٣].

فرناندو وبعد أن كشف عورة طليطلة من خلال غاراته عليها لصالح ابن هود؛ يعود من جديد بعد موت ابن هود للإغارة على أراضي طليطلة، لكن هذه المرّة ليس مأجوراً، بل لحسابه الخاص، وكان يريد أن يُرّوض تلك البلاد شيئاً فشيئاً ليضعفها وخاصة ما كان متاخماً لأراضيه وحدوده، ومطالبة ابن ذي النون بالجزية، ويتوصل إلى مطلبه وهو ضعفها وذلك من خلال مصّ دمائها وإرهاقها بدفع الأموال. وبعد أن تأكد من نتائج خططه المثمرة، جهزّ جيشاً سنة ٤٥٤هـ/

---

(١) نص ابن عِذاري: البيان المغرب ٣/ ٢٨١- ٢٨٢.

(٢) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٨٣، عنان: دول الطوائف، ص ٩٩.

(٣) عنان: دول الطوائف ص٩٩.

١٠٦٢م وخرج بهذا الجيش الذي يضم أقوى الفرسان، وأمهر الرماة، وأغـار علـى أراضـي طليطلة، فعاث فيها، أما المأمون ابن ذي النون فقد خنع وأذعن للصلح والمهادنة مقابـل دفـع الجزية[١] ونسيَ المأمون أن كل هذه من فعل يده في حروبه مع ابن هود.

وفي سنة ٤٥٧هـ/ (١٠٦٥م) استولى المأمون ابن ذي النون علـى بلنـسية بالخديعـة والمكر، والتي كان يتولى أُمورها عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبـي عـامر، صهر المأمون بن ذي النون، كان عبد الملك قد تزوج بابنة المأمون بن ذي النـون[٢]. وزادت أطماع المأمون يحيى بن ذي النون بعد استيلائه على بلنسية بالتوسع، فمعدّ أنظاره إلى قرطبة، وقد تمكن من دخولها سنة ٤٦٧هـ في أواخر جمادى الآخرة/ (١٠٧٥م) بمساعدة ابن عكاشة. لم يلبث المأمون بن ذي النون طويلاً بعد دخوله قرطبة فوافته المنية في أواخر ذي القعدة مـن سنة ٤٦٧هـ العام نفسه[٣]، وقيل أنّهُ مات مسموماً بقرطبة وحمل من قرطبة ودفن في طليطلة.

وبذلك تنطوي الصفات المليئة بالجدل والحروب الدامية من حياة المأمون، ويضع الموت حداً لأطماعه التوسعية في الأندلس والاعتداء على جيرانه وإخوانه من ملوك الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، الملطخ بالطمع والتنازع، المُعَنْونُ بالضعف والخنـوع، القـائم علـى النفـاقِ والشقاق.

---

(١) عنان: دول الطوائف، ص٩٩-١٠٠.

(٢) للمزيد: ابن عِذاري: البيان المغرب ٣/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٧، ٣٠٣، ابن الأثير: الكامـل فـي التـاريخ ٧/ ٢٩٣، النويري: نهاية الأرب ٢٧٣/٢٣، القلقشندي: صبح الأعشى ٢/ ٢٥٣، المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤٠، عنـان: دول الطوائف ص ١٠٠- ١٠١، أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص ١١٠- ١١٤.

(٣) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٢٨٣.

ابن الأثير: الكامل ٧/ ٢٩٢، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٨، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٠، ابن خلـدون: العِبر ٤/ ٢٠٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٧، المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤٠، عنان: دول الطوائـف، ص ١٠١- ١٠٣.

طُليطلة في عهد يحيى بن ذي النون القادر

٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م

تولى أمر طليطلة بعد وفاة المأمون يحيى بن ذي النون حفيده يحيى بن إسماعيل بن يحيى (المأمون) بن ذي النون، وتلقب بالقادر، وكان حدثاً قليل الخبرة والتجربة، نشأ بين عبيد القصر وخصيانه، فلم يكن أهلاً لأن يتولى أمر دولة عظيمة يهددها خطر النصارى، وقد وضعها ألفونسو السادس (فرذلند بن شانجه) على أولويات خططه.

قال فيه ابن بسام: **(وكان- زعموا- آيةً في قرب غَوْرِهِ، وسكونِ فَوْرِهِ، والحَوْرِ بعد كَوْره، إمّعةَ إمرهِ[1]، أجبنُ من قُبرةٍ: إن حَزَمَ لم يَعْزِمْ، وإنْ سدَّى لم يُلحم، إلى ما كان يغرضُهُ من غرض، ويلزمه أكثر مدته من مَرَض، من ذَرَبٍ لازم- زعموا- كان لِمعدته، واستحرار حاسم لمرَّته)** [2].

وكان جده المأمون قد قسَّم أعمال دولته بين الوزيرين الأثيرين عنده، وأدار سياسَتَها عليهما وهما: **ابن الفرج** وقد جعل له تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القوّاد إلى سائر الشؤون السلطانية، والأعمال الديوانيّة، أما الفقيه **أبو بكر بن الحديدي** فقد جعل له الأصدار والإيراد، والنظر لجماهير الناس وكواف البلاد، والرأي والمشورة، والصغيرة والكبيرة، وأوصى المأمون حفيده القادر متى تسلم زمام دولته؛ أن يعتمد على ابن الحديدي ويأخذ بنصحه، وأخذ كذلك من

---

(١) للمزيد عن القادر يحيى بن ذي النون انظر: ابن بسّام : الذخيرة ٤/ ٩٣- ٩٤، ٩٧- ١٠١، ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٨- ١٨٠، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٢٥٢، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٣، المقري: نفح الطيب ٤/ ٤٤١.

(٢) الإمَّعَةُ: هو الذي لا رأي له، يتبع الناس ويأخذ برأيهم دون أن يمّحص الامور، ويتبيّن حقيقتها، يقول لكل الناس أنا معك فيما ترى، فلا يستقرّ على أمر.

ابن الحديدي العهود الوثيقة بأن يخلص النصح للقادر، ويشد من أزره، لكن حفيده القادر لم يلقي بالاً لوصية جدّه، فاستدرج ابن الحديدي إلى القصر، وأدار عليه الحيلة، بما وغلّ عليه صدره أهلُ الحسد من رجال دولته. وذلك أن المأمون قبل وفاته وأثناء غيابه في بلنسية كان قد سجن مجموعةً من الأعيان الذين حاولوا الانقلاب على المأمون أثناء غيابه لكن ابن الحديدي أدار عليهم الحيلة حتى قدم المأمون وسجنهم، فقام حفيده القادر بإخراجهم من السجن وأدخل عليهم ابن الحديدي في القصر وخرج عنهم، فتمكّنوا منه وقتلوه. وقيل أن من ملأ قلب القادر شراً لابن الحديدي هو القاضي ابن المشاط متولى قضاء طليطلة يومئذ، وبعد الفتك بابن الحديدي، تم نهب دوره وكان ذلك في أوائل المحرم من سنة ٤٦٨هـ/ (١٠٧٦م) [(١)]. فبدأ القادر هذا عهده بسفك دَمِ مدبّر دولته دون نظرٍ في عواقب الأمور فكانت فاتحة الشر، وبداية النهاية الوخيمة لفتىً أرعن إمّعة، قليل الخبرة، عديم التجربة، مسلوب الإرادة والهيبة، حفر قبره بنفسه بادئ أمره، وإذا أراد الله أمراً هيّأ له الأسباب.

نهايةٌ مخزية

قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**...وقد كان جده المأمون قسم الحضرة قسمين، وأدار سياستها على رجلين. فجعل تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القوّاد، إلى سائر الشؤون، السلطانية، والأعمال الديوانية إلى ابن الفرج، وبقيّة الإصدار والإيراد، والنظر لجماهير الناس**

---

(١) ابن بسّام: الذخيرة ٤/ ٩٣– ٩٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٨، ابن سعيد: المُغرب ١٣/٢، وللمزيد عن ابن الحديدي. انظر: ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٥١٥، (وهو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي، من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر، كان فقيهاً، نبيلاً متفنناً فصيحاً مقدماً في الشورى، كانت له مكانة عند بني ذي النون ابتداءً بإسماعيل الظافر وولده يحيى، حتى كان مقتله بتدبير من القادر بن ذي النون، صحوة يوم الجمعة في المحرم سنة ثمان وستين وأربعمائة (٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م).

وكواف البلاد، والرأي والمشورة، والصغيرة والكبيرة، على الفقيه أبي بكر بن الحديدي، رجل كان له قدم وإقدام، وعنده نقضٌ وإبرام. وكان قد عهد لحفيده هذا المرشح لأمره متى ورث سلطانه، وتبوَّأ مكانه، أن يشدَّ على ابن الحديدي كلتا يديه، ولا يفتات بأمر من الأمور عليه، وأخذ الموثق الغليظ على ابن الحديدي ليبلغن كل مبلغ في شد أزره، وتثبيت أمره علماً باستقلاله، واستنامةً إلى يمن مناقبه وخلاله، وحفظاً لما كان عنده من يده في إقامة أوده، وممالأته على أهل بلده. وقد كان أكثرهم فيما سلف نفروا عنه، وهمّوا بالاستبدال منه. فنكث أبو بكر هذا قوى مكرهم. وخاطب المأمون يومئذ إلى بلنسية بجلية أمرهم، خوفاً من الفتنة، وتفادياً من المحنة. فانكدر المأمون من حينه إلى طليطلة وقد ضاق ذراعاً، وكادت نفسه تذهب شعاعاً. وأدار الحيلة على مشيخة طليطلة في خبر طويل حتى سجن عامتهم بمطبق حصن [وبذّة]، أخرى قلاعه المنيعة. ولم يزالوا بها حتى شاب الشباب، وبليت الأحقابُ، وتلك اليد كان المأمون يراعي لابن الحديدي، فوضع في حياته زمامه بيده، واستخلفه بعد وفاته على بلده وولده) [(١)].

وبشان مقتل ابن الحديد يقول كذلك ابن بسّام: **(وزين هذا الحزب المُعْلِنُ بشرّه، من شيعةِ ابن ذي النون المغلوب على أمره، لصاحبهم اللجاج في غَدْرِه، والتمادي على غلواء مَكْرِه. وأرته أن ذلك من سعيها لا يستوي على سوقه، ولا يخلو بسواء طريقه، إلا [بإطلاق] تلك الطائفة المغربة بمطبق وبذّة، المحترقة افلاذُ أكبادهم، بنيران دمهم وأحقادهم: داء دفينٌ، وشر مضمون وسولوا له أنه إذا فك أغلالهم، ووصل بحبل الحياة حبالهم، غسل جوانحهم، وتألَّفَ نصائحهم، وشاركهم في ذوات صدورهم، واعتد عليهم منه نشورهم، والبعثة من قبورهم. فأثار منهم مدى وشفارا، [أعدَّ] بهم لخراب ملكه أعواناً وأنصاراً. فأدخلهم البلد سراً من بعض**

---

(١) نصّ ابن بسّام: الذخيرة ٤/ ٩٤.

مداخله الخفية، وقد سترهم باللثم، وأوهم أنهم بعض الحُرم، حتى وصلوا إليه، ومثلـــوا بـــين يديه، وذلك اليوم يوم الجمعة لعشر خلت لمحرم سنة ثمانٍ وستين[١].

وكان الذي مالأ ابن ذي النون على ذلك، وسهل له- زعموا- تلك المنـــاهج الخبيثـــة والمسالك، الفقيه ابن المشّاط متولي القضاء كان يومئذ بقونكه. وكان أبو بكر بن الحديـــدي [يألفه] ويسكن إليه قديماً، فاستدرجه بالأمان، واستفزه إلى مصرعه يومئذ بمزورات الإيمان، حتى جرَّعهُ رَدَاهُ، وأسلمه إلى عداه. ودخل ابن الحديدي يومئذ القصر، والمقـــدار يزعجـــه، والخائن الغذَّارُ ابن المشاط يستدرجه. فلما أفضى إلى مجلس ابن ذي النون رأى وجوهاً قـــد أمِنَهَا مما تخوَّفها، وأنكرها من طول ما عرفها، فأيقن بالشر لا خلاص، ولات حين مناص. ثم وطنَّ لمحنته، واتكأ فضل مُنْتَه، فجاذبهم أطراف الخصام، وطلع عليهم مـــن ثنايـــا الـــنقض والإبرام. فقام ابن ذي النون من موضعه وابن الحديدي متعلق بأذياله، مستجيرٌ به من أقتاله، فشغبوا عليه وشغلوه، وأحاطوا به حتى قتلوه. فقضي الأمر، وانقضى العجز والصدر. ولمـــا أحسّت العامة بقتله، وهمّت بسلاحها من أجله، ثار أولئك المخرجون في وجوههم، أطلالٌ في أسمال. فأخذ كل واحد منهم بطرف من الطريق، وذهب ممن كان هنالك من العامة بفريق، بين صديق لهم يسر، وعدو يفر، وتشاغلوا بنهب دور بني الحديدي حين عجزوا عـــن نـــصرته، وعلموا أن لا سبيل إلى كرته. ولم يكن إلا كـــ"لا" حتى أصبحت حبلاً رثّا، وهباءً منبثاً)[٢].

لقد أقدمَ القادر يحيى على أمرٍ خالف به وصيّة الأجداد والآباء، بل لعنةٌ ستبقى تلاحقـــه حتى مقتله في بلنسية، ونسي المُغفَّلُ التائه أن العاهة إذا سلكت في الأصول لا بد أن تصل إلـــى الفروع، هؤلاء الذين أخرجهم من سجونهم هم من كانوا قد أشعلوا نار الفتنة أيام جدّه فأطفأها أبو

---

[١] يعني سنة ٤٦٨هـــ.

[٢] نصّ ابن بسّام: الذخيرة، ٤/ ٩٥- ٩٦.

بكر بن الحديدي واليوم هم أنفسهم يوقدون فتيلها، ويلقّحون الفتنة تنجبُ دماراً وخراباً لا يبقي إلا رسمها وعفاها. وللشيء بالشيء يذكر، نتذكر هنا أحداث سنة ٣٩٩هـ وعندما أقدم عبد الرحمن بن أبي عامر على طلب الخلافة من هشام المؤيد، أمراً لم يطالب به أبوه وأخوه من قبله فكانت الفتنة في قرطبة والأندلس والتي بنيت على أطلالها أمجاد ملوك الطوائف.

بدأ أولئك الذين أخرجهم القادر من السجون، وعلى أيديهم تمَّ التخلص من ابن الحديدي؛ بإشعال نار الفتنة على طريقتهم الخاصة، يحيكون الدسائس، ويثيرون العامة ضدّه، حتى ضعف سلطانه، وبدأت نار الفتنة تضطرم يوماً بعد يوم وهم يذكونها بأحقادهم وتشجيعهم على الثورة. بالمقابل العدّو السابق لابن ذي النون (أحمد بن سليمان بن هود) استغل هذه الظروف، يغير عليه، ويرهقه بالمطالب، بل عاد كعادته يستعين بالنصارى ضده. وفُتحت عليه جبهة ثانية، فقد ثار في بلنسية أبو بكر بن عبد العزيز، فخلع طاعة القادر بن ذي النون، ونادى بنفسه أميراً على بلنسية، وداخله ابن هود صاحب سرقسطة وخطب له ابنته آملاً منه بهذه المصاهرة أن يتغلب على بلنسية. وكان سانشو راميرو قد أغار على قونقة وكادت تقع بيده، فأرسل القادر جيشاً بقيادة الفتى بشير لمقاتلة سانشو وابن هود، لكن لم يحصل قتال بينهما، فاضطر القادر أن يضع يده بيد الفونسو السادس ملك قشتاله الذي كان أسيراً عند جده المأمون عندما فرّ من سجن أخيه، ولجأ إلى طليطلة فآواه المأمون يحيى زماناً حتى قُتل أخاه سانشو فعاد إلى بلاده ونودي به ملكاً لليون وقشتاله بمساعدة أخته آراكه.

لكن ألفونسو لم يرعَ ودَّ بني ذي النون، فقد وافق على إغاثة القادر بشروطٍ قاسيةٍ، وشط في طلب المال تباعاً، وتسليم الحصون المتاخمة لقشتالة، منها حصنٍ قتورية، وقتالش، وسرية، والقادر كان في كل هذه المطالب مرغماً مغلوباً على أمره، وليس له بديل حسب نظرته الضيقة،

والفتنة دائرة عليه في الداخل، حتى أضطر إلى الهرب مع أهله وولده إلى حصن (وبذّة) سنة ٤٧٢هـ، أما طليطلة فأضحت خاويةً أياماً بلا أمير[١].

قال ابن بسّام بهذا الشأن: **(وظنَّ ابن ذي النون [أنه] قد راع أحشاء الأيام بفتكة براضِيِّةٍ، وهتك أستار الخطوب عن حيلة عَمْرية. ولعمري لقد راعَ ولكن آمِنَ سِربه، ولقد هتكَ ولكن حجاب قَلبه. أخلى وجههُ لشرار أغمار، لم تكن لهم أحلام تحجرهم، ولا حلوم توقرهم، أذبّة شهوات، وفراش ضلالات، أغضى الزمان لهم هَنْيَة فظنوا أنهم قد أعجزوه وانتهزوه، فوجدهم مغترين ليس لهم سلاح إلا مقاتِلُهم، ولا بهم حويلٌ إلاّ تدابرهم وتخاذلهم. ونفث على نفسه من أولئك المخرجين شرار زناد، وأسرار عداوات وأحقاد، أحلاس السجون والأهوال، وبقايا القيود والأغلال. فلم يزد بموت ابن الحديدي وحياتهم على أن كان الشرُّ سبباً فأصبح أسباباً. والناس حزباً فتفرقوا أحزاباً. وانتبذ ابن عبد العزيز لتلك الوهلة ببلنسية من جماعته، وخلع يده من طاعته. إلا هدنة على دخن، يتطارد له بصيدها، وينشده عن كيدها: [الوافر]**

أحبّك في البتولِ وفي أبيها ... ولكنِّيّ أحبّك من بعيدٍ

وفَغَر الطاغية أذفونش بن فرذلند فمه على ثغوره المثغورة، فجعل وقته يطويها طيّ السّجل للكتاب. وينهضُ فيها نهضة الشيب في الشبّاب. وابن ذي النون يُلقمه أفلاذ كبده، ويرجمهُ بسبده ولبَده، أذفونش لعنه الله لا يقنعُ منه بصيدِ العنقاء، ولا ببيض الأنوق، بل كلّفه إحضار الأبلق العقوق، ويسومه درك الشمس، ويطلبه برد أمس، ما أكل الإنفاقُ ثبج ماله، وأخذ الخناقُ بكظم احتياله، وأحسَّ بدوُّ المشتاق بذلك من حاله، سما إلى معاقله المنيعة.

---

[١] للمزيد: ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ٩٦– ٩٨، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٣– ١٤ في خبر مختصر، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢٠/ ١٧٨– ١٧٩، النويري: نهاية الارب ٢٣/ ٢٥٩ في خبر قصير، عنان: دول الطوائف، ص١٠٦.

وذُرى أملاكه رفيعة، عُدَدِ الأنام، ودروب الإسلام، فما راهنَه منها عليه غلق، ما رام أخذه من يديه لم يُدركه حتى مُزق)[1].

وبشأن تفاقم الثورة على القادر وفراره قال ابن بسّام: **(وانجرَّت الحال بينه وبين أولئك الشيوخ المخرجين من المُطبق بمقدار ما رقعوا خروقهم، وجمعوا فريقهم؛ فلما استوثق أمرهم، وثاب إليهم شرُّهم، دلفوا لحزبه الذُّنوني البسيس، تحت إحدى ليالي جديس؛ أرغت عليهم سُقَبُ السماء، وتمخضَّت لهم بالداهية الدَّهياء، ورؤوسهم بأيدي الولدان لُعَباً، وأتى ابن ذي النون صريخهم تلك الليل فصادفَ منه رأياً مغلوباً، وقلباً منخوباً، طار به الذُّعر ففرَّ ودونَه من عبيده أسدُ الشرى، والأسوارُ شامخة الذُّرى، كأنما ناجته القتال أضغاث حلمه، أو رأى وجوه الأقتال في وجوه حرمه، تجفَّل الظليم، لا يحفلُ بالعارِ المقيم، ولا يصيخ على الصديق الحميم. حدثت أن زوجةُ بنت المظفر بن أبي عامرن طريد جده- كان- من بلنسية، وابنته منها تبعتاه يومئذ راجلتين نيفاً على فرسخين، حتى أُدركتا بمركوب، وقد أخذ الجهد منهما بأوفر نصيب. واجتمع مشيخةُ طليطلة بفناء القصر، مرتبكين بين اللجاج والذُّعر، عامتهم تتطاول بزعمها إليه، وخاصتهم تتخيل المثول بين يديه، وهم يظنونه بحيث يرى ويسمع، ويتوهمون أنه سيفعل ويصنع. فوجدوه قد أذعن للدنّيةِ، وخرجَ من بعض تلك المخارج الخفيّة، ومشى القهقرى، قبل عِيرٍ وما جرى، فاستأسدت كلابهم لأكل لحمٍ ليس له ناصر، وهزج ذبابهم أثناء روض ليس [له] واردٌ صادر. ولقوا يومئذٍ في سؤرِ الطاغية أذفونش من تلك الجواهر المكنونة، والذخائر المصونة.**

وتلاحق بابن ذي النون بقيّة سربه المنفَّر، وفلُّ عسكره المدبر، بحصن من حصونه، وأقام أهل طليطلة بعده ايّاماً ولا كالسائمة المهملة نام راعيها، وأكبثَتْ مراعيها، يتهادون لحماً

---

[1] ابن بسّام: الخيرة ٤/ ٩٦- ٩٧.

بين قديد ومُعجل، ويرتمون بشحم كهدَّاب الدمقس[١] المفتل[٢]، في هياط ومياط[٣]، ولجب واختلاط، ليس عليهم أمير، ولا فيهم إلى الصواب مُشير. وتشاوروا في أي ملوك الطوائف يحكِّمونه فيهم، ويلقون إليه بأيديهم، فطار طائرهم، واختلفت بواطنُهم وظواهرُهم، واشرأبَّ من كان يليهم منهم لمملكةٍ لم يُحكموا إليها أسباباً، وغنيمةٍ لم يُوجفوا عليها خَيْلاً ولا رِكَابا) [٤].

هكذا، تُصبح طليطلة التي جُبل أهلها على الشقاق والنفاق والقيام على ولاة الأمر؛ بلا أمير ولا حاكم، وقد تعوّد أهل طليطلة ومنذ فجر تاريخها خلع ولاة الأمر، وتلقيح الفتنة أينما كانت. وقد أشار عليهم رجل من أهل طليطلة وهو: (أبو محمد يوسف بن القلاس البطليوسي) بابن الأفطس (المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس)[٥] ليتولى أمرهم، وكان ابن القلاس هذا كما وصفه ابن بسّام من عفاريت الضلال وأكلة الأموال، وقد وصفه بالأقدم على المحرمات، والخبث والنّجس.

---

(١) الدمقس: الحرير أو الأبيض منه.

(٢) من قول امرئ القيس:

يظل العذارى يرتمينَ بلحمها   وشحم كهدّابِ الدمقس المفتل

ابن قتيبة: (الشعر والشعراء ص٥٤)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠٠٠م.

(٣) يقال: هم في هياط ومياط، أي في شر وجلبة، أو في دنو وتباعد واضطراب.

(٤) ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٩٧– ٩٨.

(٥) هو: عمر (المتوكل) بن محمد (المظفر) بن عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس، ولي أمر بطليوس بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٠هـ، وكان المتوكل يعرف بساحة، كان ملكاً عالي القدر، مشهور الفضل، مثلاً في الجلالة ومن أهل الحزم والمشورة، ومن أهل البلاغة، كانت بطليوس أيامه دار أدب وشعر، وكان ببطليوس كابن عبّاد باشبيلية، وقد شارك مع ملوك الأندلس في حربهم مع ألفونسو في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ، وكان شاعراً وناثراً، قتله المرابطون سنة ٤٨٩هـ مع أولاده عندما دخلوا الأندلس للمرة الثالثة وخلعوا ملوك الطوائف، (للمزيد: ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٥، ابن خاقان: قلائد العقيان، ١/١٢٠–١٤٥، ابن سعيد: المُغرب ١/ ٢٨٥، ٢٨٦، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٢– ١٨٣، ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٩٧– ١٠٠، المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤٢.

وقَبِلَ المتوكلُ الأمر وهو كارهٌ له، ودخل طليطلة عقب سنة ٤٧٢هـ، ومكث عندهم نحو من عشرة أشهر، وكان مدته متخبطاً ضالاً للأُمور، تائهاً في سبيلها[١]. قال ابن بسام بهذا الشأن(... **وكان عندهم يومئذ أبو محمد يوسف بن القلاس البطليوسي أحد عفاريت الضلال، وأكلة الأموال، من رجل أجرأُ خلق الله على دم وهو أجبن من صافر**[٢] **وأجسرهم على ركوب ثبج محرم وهو أضعفُ من لحظٍ فاتر، نَبهَت تلك الفتنة على قَدْرِه، ورفع عُدَم الرجالِ صوته بذكره، فهبّت ريحه شمالاً وصبا، واتّخذ سبيله في البرّ والبحر عجباً فعرَّض عليهم بصاحبه المتوكّل عمر بن المظفر بن الأفطس، وأعرب لهم عن لين مكسره، وضيق مسافة نظره، واشتغاله باللذات عن أكثره، فقالوا: بُردٌ كَبُرد، ما أشبه سعداً بسعد! فأتاه سفيرهم، وخفَّ إليه عيرهم ونفيرهم، فجاءهم ينظرُ من خفاء، ويمشي على استحياء، كَودَنا ساموهُ خطة سباق، وحُبَينةً**[٣] **أقاموها على ساق، فدخل طليطلة عقب سنة اثنتين وسبعين. وأقام عندهم نحواً من عشرة أشهر، أضلَّ من يدٍ في رحم**[٤] **وأذلَّ من لَحمِ على وَضَم).**

أما ابن ذي النون فقد بدأ يفكر بالعودة إلى طليطلة، مهما كان الثمن، وأن يسترجع عرشه ولو كان على حساب رعيته، فسار إلى قونقه من ملجئه في حصن وبذة، وكاتب ألفونسو السادس يستنجده ويستغيثه، ويذكره بعهود الودّ أيام جدّه، عندما كان ألفونسو يحضى بالاحترام والتوقير

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٩٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٨- ١٧٩.

(٢) هذا مثل والصافر هو طير يتعلّق من الشجر برجلية وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ. انظر: الميداني: مجمع الأمثال ١/ ٣٢٨، العسكري: جمهرة الأمثال ٣٢٥.

(٣) الحَبَن: ارتشاح تحت الجلد من تجمّع المصل في الأنسجة الخليلية وقد يشمل الجسم كله.

(٤) هذا مثل عربي يضرب لبيان شدة الحيرة والتخبط في الأمور كمن يمشي على غير هدى، أو من يمشي في الظلمات إذا أخرج يده لم يكد يراها، زعم ابن خبيس أنها يد الجنين، وقال غيره: هي يد الناتج (الميداني: مجمع الأمثال ٢/ ٢٧١، العسكري: جمهرة الأمثال ٢/ ١١.

والمنزل الحَسن في قصور بني ذي النون، عندما فرّ من سجن أخيه سانشو كما أسلفنا، فوافق ألفونسو على نصرة القادر ابن ذي النون، وأظهر له التعاطف معهُ، وهو يخفي المكر والخداع، وكأن الفرصة قد سنحت، وسار معه إلى طليطلة، والمتوكل بدوره ينهب ذخائر طليطلة وأموالها وفرشها وكتبها من قصور ابن ذي النون ويرسل بها إلى بطليوس، وأهل طليطلة ساهون، لا يعلمون شيئاً[١] قال ابن بسَّام بهذا الشأن: (**..[و] قد كان ابن ذي النون حين انفلتَ من يد المقتص، انفلات الحمامة من القَفَصِ، تهيأ له دخول كونكة في خبرٍ طويل، فثاب إليه حِسه، ورجعت قليلاً نفسه، وراسل الطاغية أذفونش.، وهو بحيث ينتهز الفرسة، ويسمع القصة. فذكّره ابن ذي النون سالف عهده، وشهد عنده أنعم جَدَّه، فبالزنّاد الذنونية- زعموا- وَرِيَتْ ناره، ومن التلاع المأمونية تدفق تياره، أيام كان اسم هذه الطاغية مخمولا، وصَعْبُه ذَلولا. بتغلب. أخويه شانجه وغرسية عليه، وأخذُهما طرفي سلكه من يديه، فآواه المأمون ابن ذي النون ونصره، واستقل بسلطان طاغوته حتى أظهره، وعند الله جزاء موفور، وإليه منقلبٌ ومصير. فلبَّى دعواه، وسمع شكواه، وأظهر الارتماض لما عزَّه وعراه. وأقبل معه إلى طليطلة يرد ماء بماء، ويَسِرُّ حَسْواً في ارتغاء[٢] يورد ورداً إلى صدره، ويحلب حلباً له اكثره، والمتوكل بها طليح جِفان، طريح أكواب ودنان، مكباً على قَمْشٍ ما نَحتَّه المِحنة، وتجافت عن انتهابه الفتنة، من فَرش فخم، وسُرادق ضخم، وآنية وكتب، وصعد من آلةِ المُلك وصَبَب، حتى اجتمع عنده من خبث زُبرتِها، وغُثاء غَمرتِها، مع ما أذابوا له صدر مقدمه من شحم سنامها، وأفاضوا من بردها وسلامها، جُملةٌ علمّتهُ الجلُوس في ا لصدر، وأرته الفرقَ بين**

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٤/ ٩٨- ٩٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٩.

(٢) مثل يضرب لمن يريك أنه يعنيك، وإنما هو يجر النفع لنفسه يسرُّ حسواً في ارتغاء ويرمي بأمثال القطا فؤاده (الميداني: مجمع الأمثال ٣/ ٥٢٥.

الخلِّ والخمرِ، وأهل طُليطلة الممتحنون، في غمرتهم ساهون، وعلــى أعقــابهم ينكــصون، يخوضون ويلعبون، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) [1].

ولمّا علم المتوكل بمسيرة القادر بحماية الفونسو السادس؛ خرج مــن طليطلــة قاصــداً حاضرته بطليوس بعد عشرة أشهر قضاها في طليطلة] ينتهب كل ما طالته يــده مــن فُــرش وذخائر، ومال وكتب ونفائس. ودخل القادر طليطلة بحماية الملعون الفونسو وجلس على كرسيه الواهي المهدد بالدمّار، المرتكز على الغدر، وقد دخلت القوات النصرانية طليطلة مــع القــادر وقاوموها أهالي طليطلة وحاولوا رد القادر عنها، إلا أن الجيوش النصرانية نكلّت بهم، ونكبتهم، وهزمتهم شرّ هزيمة، قتلوا منهم الكثير، وكل ذلك من أجل إجلاس عميلهم المتآمر علــى بلــده ورعيته القادر بن ذي النون، الذي جلس على كرسي الإمارة، والفوضى عامة في طليطلة وكان دخوله طليطلة سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) وكان القادر قد تعهد للألفونسو أن يخرج له عن طليطلة بعد أن يبلغ أمله منها وكان هذا الاتفاق سراً، أما ظاهراً فهو مبلغ مــن المــال بدفعــه القــادر لالفونسو دون أن يتأخر موعده، ولأجل ذلك عمل القادر علــى إرهــاق الرعيــة بالــضرائب والمغارم، ونكلّ بهم أشد تنكيل، ولم يرحمهم وكان همّه تأمين المبلغ المطلوب حتى لا يغــضب الفونسو ويحل عليه سخطه، حتى ساءت أحوال الناس، وبدأ يغير الفقير على الغني، والقوي على الضعيف، وعمّتْ الفوضى أرجاء طليطلة، وابن ذي النون ليس له هم إلاّ نفسه وكرسيه، وتأمين المال والذهب لأجل عليه محتوم[2] قال ابن بسام بهذا الشأن: **(فلما تمكن المتوكل مــن الــري والشبع، تذكَّرَ عواقب الطمع، ورأى أنه إن زاد على ملء بطنه، كان كالسراج المنغمس فــي دُهنه؛ فكايدهم بفراره، وأجلى مبادراً إلى بطليوس دار قراره، ينشد:**

---

[1] نص ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ٩٨- ٩٩.

[2] ابن بسّام: الذخيرة ٤/٩٩- ١٠١.

إنِ اللهُ يرجعني مـن الغـزوِ لا أُرى وإنْ قلَّ مـالي طالبـاً مـا ورائيـا

ومن غريب تأويل الأحلام، أن رجلاً رأى المتوكل قبل دخوله طليطلة بـأعوام، كأنـه يأكل فيها طعاماً فيه سلقٌ مع رجل يسمى يوسف، ففسرها الأديب أبو عمر فَتح المعروف بابن برلوصة، وقال: إن المتوكل سيدخلها على يد رجل يسمى يوسف، وينالان من مالها وذخائرها، لكنهما يسلقان بالألسنة فيها. ويقبح الحديث عنهما، فخرجت الرؤيا كما فَسَّر. ولمـا دخلهـا وحصل إليها منها ما حصل فر وتركهم كالسفينة خانتها الريح، والجسد بان عنه الروح، بين ناب الطاغية أذفونش وظفره، يقدح لهم نار الفتنة عن حجره، ويريهم الموت في أهول صوره، مقسماً لا يبرح العرصة حتى يفي لابن ذي النون بضمانه، ويكافئه على سالف إحسانه. وكان عاقده ابن ذي النون أنه إذا صرخ قذاها، فإنه وعده أداء جملةٍ من المال، لا تفي بـه مـدة الإقبال، ولا إرخاء الحال، راهنه بها أبناء الأمجاد، وبقايا معاقله الأفراد، وألقى أهل طليطلـة بأيدي الصغار، على حين أيقنوا بالبوار، وضاقت عليهم أنشوطة الحصار. فجاء ابن ذي النون يقدمه أذفونش، وهو يظهر من التزام بره، واعزاز نصره، ما بهر العقول، وكثر القال والقيل، حتى زعموا أنه رفع صوته يدعو إليه، وترجَّلَ يمشي بين يديه، وصار أعجب من تورط فـي حبائل كيده، وجعل الضرغام بازاً لصيده[١] وكم رام أهل طليطلة قتل ابن ذي النون في أثنـاء تلك الوشلات مراراً، ولكنه بلغ مداه، وكره الله لقاءه فأبقاءه، وكانت لله فيه مشيئة أمـضاها، وقضية أنظَر به إناها، لذلك ما خبأته صروف الأيام، وسلم من الحِمام إلى الحِمام[٢]. فلما كان

---

(١) من قول المتنبي (ديوانه ٢/ ١٢٥): [الطويل]

ومن يجعلِ الضرغامَ للصيدِ بازَهُ تصيّدهُ الضرغامُ فيما تصيدا

(٢) من قول المتنبي (ديوانه ٢/ ٢٤٩: [الوافر]

وإن أسلمْ فما أبقى ولكن سلمتُ من الحِمام إلى الحِمام

يوم النحر سنة أربع وسبعين، نهدوا له في عددهم وعديدهم، وزحفوا إليه بحدهم وحديـــدهم، فتجاولوا عامة يومهم في شوارعها، يترامون بدوامغ الحتوف وقوارعها؛ فأجلت الحرب عنهم قد شرقوا بغصتها، وخلوا بينه وبين عرصتها. وتساقطوا على أذفونش يشكون ابن ذي النون إليه ويستصرخونه عليه. فرماهم بحجر، ولبس لهم جلدة نمر، فتفرقوا بكل ســبيل، وطــاروا على كل صعب وذلول، حتى مات ابن مغيث كبيرهم الذي علّمهم السحر، وطاغوتهم الذي شرع لهم الكفر، بشيمتور من أرض قشتيلة بين الدنان والصلبان، فسار وإلى الله إيابــه، وعليــه حِسابه، ورجع بنوه أخيراً فانتزوا بمدينة مجريط، وانحشر إليه ذؤبان الوقائع، وأذية المطامع، فكانت بين ابن ذي النون وبينهم أيام عدتهم له عدا، وساقتهم إليه وردا، حتى باد جمهورهم، وتلاحقت أعجازهم وصدورهم، وبلغ ابن ذي النون من هدم ربوعهم، وصلبهم على جذوعهم، ما يبرد صدر الموتور، ويضحك سنَّ الموتِ المُبير) [١].

وبشأن الفوضى التي دبّت في طليطلة، وانهماك القادر بجمع المال لإرضاء الفونسو يقول ابن بسام: **(وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، وأداء مــا كان ضمن لاذفونش من الأموال الجلائل؛ فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولّى آخرهم كبر أولهــم، حتى طمع فقيرهم في غنيهم، واجترأ ضعيفهم على قويهم، وأصبح الرجل منهم يرتــاع مــن ظله، ويلتفت وإنما هو بين أهله. وانكدر أذفونش على طليطلة ينتسف مرافقها، ويقعد لجاليةِ أهلها ثناياها ومضايقها، يأسر ويقتل، ويحرق ويمثّل. وسما السعر، وتفاقم الأمــر، وانكِــرَتْ الموارد والمصادر، وبلغت القلوب الحناجر)** [٢].

---

[١] نص ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ٩٩- ١٠١.

[٢] ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠١.

لم تكن مساعدة ألفونسو للقادر بلا ثمن، فعلى الرغم من الحصون التي أخذها من القادر؛ إلا أنّه بدأ يتطلع لأخذ مدينة طليطلة بعد أن أضعف قوتها، ونهب خيراتها، وأهلك أهلها بالضرائب التي كان قد تعهد بها له القادر مقابل إعادة ملكه إليه.

وبدأت الحملات والغارات الجديدة على طليطلة بعد أن عاد الأمير المخلوع إلى إمارته الواهية، واستمرّت هذه الحملات حتى عام ٤٧٨هـ أي بعد أربع سنوات (٤٧٤هـ- ٤٧٨هـ) (١٠٨١م- ١٠٨٥م) أي ما يقرب من أربعة أعوام، وكانت هذه الحملات تنظّم بتواطئ المدجنين من أهل طليطلة والذي تصفه الرواية القشتالية (بالحزب المدجني) وهو الموالي لملك النصارى، وفي كل عام تتجدد هذه الحملات في تخريب الزروع، وقطع الأشجار، وسبي الذراري، يصول ويجول ولا أحد يردّه، وكان الهدف من كل هذه الحملات هو انهاك طليطلة والقضاء على مواردها الزراعية والاقتصادية، والقضاء على دفاعاتها؛ كي يَهُنْ دخولها حسب ما كان قد خطط لها ألفونسو منذ دخوله مع القادر يوم أضحى سنة ٤٧٤هـ: أما موقف ملوك الطوائف فقد كان الصمت والخنوع، فقد سارع معظمهم ووضع يده بيد الفونسو خشية بطشه مع دفع الضرائب وعلى رأسهم المعتمد بن عبّاد الذي أرسل ابن عمار إلى ليون وعقد الصلح المشروط بالإتاوات مع الفونسو، وقد سار على نهجه معظمهم عدا المتوكل عمر بن الأفطس الذي رفض دفع الجزية[1].

---

(١) عنان: دول الطوائف ص ١٠٨- ١٠٩.

حُكّام طليطلة خلال مدة ملوك الطوائف

(٤٠٠- ٤٧٨هـ/ ١٠٠٩- ١٠٧٤م)

١. يعيش بن محمد بن يعيش (٤٠٠- ٤٢٧هـ/ ١٠٠٩- ١٠٣٥م).

٢. إسماعيل بن ذي النون (الظافر) (٤٢٧- ٤٣٥هـ/ ١٠٣٥- ١٠٤٣م).

٣. يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) ٤٣٥هـ- ٤٦٧هـ/ ١٠٤٣م- ١٠٧٤م).

٤. يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر) ٤٦٧هـ/ -٤٧٨هـ/ ١٠٧٤- ١٠٨٥م).

حيث سقطت طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتاله، بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من أربعمائة عام (٩٣- ٤٧٨هـ/ ٧١١- ١٠٨٥م).



الفصـــــل الثالــــــتث

الباب الثاني

سقوط طُلَيْطُلة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م

رثـــــاء طُلَيْطُلــــــة

سقوط طليطلة

جميع ما ذكرنا من الظروف السابقة، كانت قد مهدَّت الطريق لسقوط مملكة طليطلة، وأزالت حجارة العثرة من دروب ألفونسو السادس، ليسلكها على هونٍ لدخول طليطلة بأقل وقت وخسائر. لقد قضى الفونسو السادس بغاراته منذ سنة ٤٧٤هـ على معظم موارد ومقومات المملكة الطليطلية، من نهبٍ للموارد، وإبادةٍ للزروع، وقطع للأشجار، وقتلٍ ونهبٍ وسلبٍ وترويع، ثم أنَّ معظم الحصون والمعاقل كانت بيدهِ، ناهيك عن الضرائب التي فرضها القادر على الرعية بعد عودته لها سنة ٤٧٤هـ، فأنهكتهم حتى ضاقت الحال بأهل طليطلة، وغارات الفونسو لا تنقطع عن طليطلة، وقد عرف منافذها، وبانت له عوراتها ومخابؤها عند دخوله مع المقتدر حامياً له سنة ٤٧٤هـ، عندما ساعده على استرداد عرشه. قال ابن بسَّام بهذا الشأن: **(وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، وأداء ما كان ضمن لاذفونش من الأموال الجلائل؛ فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولّى آخرهم كبر أوّلهم، حتى طمع فقيرهم في غنيهم، واجترأ ضعيفهم على قويّهم، وأصبح الرجل منهم يرتاع من ظله، ويلتفت وإنما هو بين أهله. وانكدر أذفونش على طليطلة ينتسف مرافقها، ويقعد لجاليةِ أهلها ثناياها ومضايقها، يأسر ويقتل، ويحرق ويُمثّل. وسما السعر، وتفاقم الأمر، وانْكِرَتْ الموارد والمصادر، وبلغت القلوب الحناجر، وكان من غريب ما اتفق وعجيب ما انتظم من ذلك واتسق، أن البُرَّ كان على زعمهم يمكث عندهم أكثر من خمسين سنة لا يؤثر فيه طول القِدم، ولا يخافُ عليه آفةُ العَدم، ولم يرفع مدة الفتنة من البيادر- على تعذُّرِ بذره، وضيق الحيلة**

عن محاولة شيء من أمره- إلاَّ وقد بدا البلى عليه، وأسرعتِ الآفةُ إليه، أمرٌ من الله لم يكن له مردّ، ولا منه بد) [١].

ما حول طليطلة من الممالك كانت مشغولةً بشؤونها الداخليّة والخارجية: مملكة إشبيلية وقد عقدت صلحاً مع ألفونسو مقابل ترك الفونسو وشأنه في مشاريعه نحو طليطلة، وقد شغله حربه مع عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة. مملكة سرقسطة مشغولةٌ بصدّ هجمات ملك أرجوان وأمراء برشلونه، أما الممالك الشرقية والجنوبية فهي بعيدة عن طليطلة، ومعظمهم حالف الفونسو، وهكذا فقد عدمت طليطلة النصير والمُجير وهو ما أراده ألفونسو مع تكراره الهجمات على طليطلة وما يتبعها لتصبحَ اللقمةَ السائغةَ له، والثمرة اليانعة التي يقطفها بسهولة، حتى بات سقوط طليلطلة وشيكاً، ورغم محاولات أبو الوليد الباجي الذي كان له دوراً هاماً في إنذار ملوك الأندلس بإشارة من عمر بن الأفطس، إلاّ أن النُذر لم تجدي نفعاً، وطاف بالولايات وحذرّهم من مغبة الأمر، وأوضح لهم أن ألفونسو سوف يسحقهم الواحد تلو الآخر، لكن الجهود فشلت[٢].

كان هؤلاء الرجال يرون بنور الله، وأنَّ الخطب نازلٌ لا محالة، نظرةٌ مستقبلية، فقد وقع عليهم فيما بعد القول: (أُكلتُ يومَ أكلَ الثورُ الأبيضُ) المعتمد بن عبّاد وقف مكتوف الأيدي إزاء هذه التطورات وكان همّه الاحتفاظ بما انتزعه من أراضي طليطلة الجنوبية، وكان آنذاك أقوى ملوك الطوائف. المتوكل عمر بن الأفطس شمرّ عن ساعده وأرسل جيشاً لمقاتلة الفونسو وحدّه عن طليطلة، لكنه لم يتمكن لكثرة عدد وعدة الجيوش النصرانية، حيث أرسل ولده الفضل والي ماردة على رأس جيش فارتدَّ آسفاً بعد أن خاض معهم معارك دامية، وكان آنفاً قد اشتبك معهم

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٤/ ١٠١.

(٢) عنان: دول الطوائف، ص١٠٩.

في معارك أخرى سنة ٤٧١هـ لكن ألفونسو تغلّب عليه وانتزع منه مدينة قورية من أعماله الشمالية المجاورة لطليطلة[١] وبذلك تركت طليطلة لقضائها المحتوم، ومصيرها المشئوم.

أمَّا بقية ملوك الطوائف فقد أمنَّهم ألفونسو بعقوده المبرمة معهم على المهادنة والصلح، ودفع مالٍ في كلِّ عام، وكان القادر بيدِه أسهلُ من حجر شطرنج يحركه حيث شاء ومتى شاء، وهكذا فقد خلت له الأمور على أحسن ما تكون، وبات دخول طليطلة وشيكاً.

والجدير بالذكر أن القادر عندما اتصل بألفونسو وساعده على العودة إلى طليطلة واسترداد ملكه، كان قد تعهدَّ لألفونسو أن يخرج له عن طليطلة وهذا ما أضمره حسب ما ذكر لنا ابن بسَّام، إضافةٍ إلى ما ذكرنا من المال الذي فرضه عليهم كل عام، وأخذ منه الرهائن من رجالٍ وحصون ومعاقل. قال ابن بسّام بهذا الشأن (**... وكأن عاقده ابن ذي النون أنّهُ إذا ضرح قذاها، وأماط أذاها، واقتضى دَينها، خلّى بينهُ وبينها، ها [ما] أضمر، فأما الذي أظهر، فإنه وعده أداء جملةٍ من المال، لا تفي به مدة الإقبال، ولا إرخاء الحال، راهنه بها أبناء الأمجاد، وبقايا معاقله الأفراد**)[٢].

وهذا ما أوردته الرواية القشتالية التي أوردها عنان والذي بدوره يدافع عن القادر أن يقطع مثل هذه العهود؛ فقد دافع عن طليطلة أثناء الهجوم عليها. وهنا أعارِضُ المرحوم عنان فلم يسبقُ أن بَدَرَ من القادر موقعاً فيه شهامة ابتداءً من أول يوم تسلم فيه الحكم، عندما مدّ يده إلى أموال الرعية، وسلم حصونه للنصارى، فلا يستبعدُ عنه أي عمل شائن وربّما أنه قطع لهم مثل هذه العهود لشهوة السلطة والكرسي وظن أنّه ربما يخلص نفسه من عهود ألفونسو بعد دخوله طليطلة، وربما كانت هذه شروط ألفونسو على القادر، فلم يستطع ردها لأنه في موقفٍ ضعيف،

---

(١) عنان: دول الطوائف، ص ١١٠.

(٢) ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٩.

مسلوب السلطان والملك مشرد، أما دفاعه عن طليطلة فهو كذلك حُبّاً بالبقاء على كرسيه، بعد أن ذاق طعم التشرد عندما أخرجوه أهل طليطلة منها، لا مرؤة منه ولا رجولة. قال النويري متحدثاً عن القادر: **(ولما ملك امتدت يدهِ إلى أموال الرعية، واستعمل السفلة وأهل الثغور، ولم تزل النصارى تطوي حصونه حصناً بعد حصنٍ حتى استولى على طليطلة)** [١].

يقول عنان بشأن تعهد القادر بالخروج لألفونسو عن طليطلة بعد أن يبلغ أمله من دخولها: **(وتقول لنا الروايات القشتالية إنَّ القادر كان حينما طلب من الفونسو معاونته على استرداد المدينة، قد تعهدَّ له بأن يحكمها باسمه، وأن يسلمها إليه متى شاء، على أن يعاونه على استرداد مقر إمارته. بَيْدَ أن الحوادث التالية، وموقف القادر في الدفاع عن مدينته، يجعلنا نشك في أنَّه قطع مثل هذا العهد)** [٢] والظاهر أنَّ عنان رحمه الله لم يقتنعُ بما ذكره ابن بسَّام وابن الخطيب بهذا الشأن، ولو كان قد اقتنع لربما رجح ذلك[٣].

على كافة الأحوال بات سقوط طليطلة وشيكاً، مسألة وقت فقط، فقد تهيّأت جميع الأسباب، بعد أن وضع ملوك الطوائف رؤوسهم في رمال الغفلة حتى لا يراهم أحد، ورسلهم في ذهاب وإياب لخطب ودِّ العِلج ألفونسو السادس لعنه الله .

قال ابن خلدون: **(... وكان الطاغية بن أذفونش قد استفحل أمره لمّا خلا الجو من مكان الدولة الخلافية، وخفّ ما كان على كاهله من أمر العرب فآلتهم البسائط وضايق ابن ذي**

---

(١) النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٩.

(٢) عنان: دول الطوائف، ص ١٠٧.

(٣) ابن بسَّام: الذخيرة، ٤/ ١٠٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٧٩.

النون) [1] وقال القلقشندي: **(وكان الطاغية أذفونش ملك الفرنج قد استفحل أمرُهُ عند وقوع الفتنة بين ملوك الأندلس)** [2].

في خريف سنة ٤٧٧هـ/ (١٠٨٤م) زحف ألفونسو السادس يجر خلفه القوات القشتالية بعددها وعدَتها قاصداً طليطلة آخر مراحل خطّته آنفة الذكر، ونزل بالمنية المسوّرة التي كان ينزل بها المأمون ابن ذي النون، وقت راحته وأنسه، والتي تُعرف بالرواية القشتالية ببستان الملك (Huerta del Rey)، وحاصر طليطلة، فدخل الشتاء، فشحّت الأقوات، فلا مدد يدخل إلى أهالي طليطلة، مواردها كان قد دمرّها ألفونسو خلال غاراته السابقة، واشتدّ الأمر على الأهالي واستمرّ الحصار ما يزيد على شهرين، والأمور تسوء شيئاً فشيئاً، وكان القادر بن ذي النون متفقاً مع أهل طليطلة بعد أن رأى ما رأى في تشديد المقاومة ضد ألفونسو، وإطالة أمد المقاومة لعل ألفونسو يكلُ من حصارهم، ويذهب بعزمِهِ، لكن ذلك لم يأتي بنفع، فالقشتاليون قد أخذوا احتياطاتهم اللازمة وأعدّوا لهذا الحصار العدّة وإنْ طال أمده، مما اضطر وجوه أهل طليطلة بالاتفاق مع القادر، بأن يرسلوا وفداً إلى ملك قشتالة، للتحدث بأمر الصلح، فأبى أن يستقبلهم، واستقبلهم وزيره ومدبر دولته وسفيره سنندو (ششنند)، وقد كان من النصارى المستعربين، أُسر حدثاً في بلاط إشبيلية وفي أيام المعتضد بن عباد سفربينه وبين فرناندو وملك قشتالة، ثم نزح إلى جليقية، وخدم فرناندو، ثم ولده ألفونسو من بعده، وكان داهيةً ذكياً، وهو الذي وطد صولة الفونسو لدى معظم ملوك الطوائف، والتزموا له بأداء الجزية، وفاوضهم على أن لا أمل بالصلح، وأن ملك قشتاله لن يثنيه أيٌّ أمرٍ عن تسليم مدينة طليطلة، وأقنعهم بأن ملوك الأندلس

---

[1] ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، طبعة دار الفكر، المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤١ نقلاً عن ابن خلدون.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٢٥٢.

لن ينجدونهم، حيث استدعى ألفونسو من خيامه رسل ملوك الطوائف وَهُمْ يقدّمون الهدايا والأموال، يخطبون ود ألفونسو، ويطلبون السلامة لأنفسهم بأغلى ثمن، وأرذلِ طريقة[1].

قال ابن بسَّام بهذا الشأن: **(ولما شمل البلاء، وفدحت البأساء، وأتى على أكثر أهل طليطلة القتل والجلاء، وقضى الطاغية أذفونش- قصمه الله- قضاءه من استباحة الحريم، واستئصال الراحل والمقيم، وإتلاف الموجود والمعدوم، أسرى تحت الليل، في قطعة غير وافرة من الخيل، فنزل المنية المصورة التي كان المأمون يحشد إليها كل حسن، ويباهي بها جنة عدن، ويقلب الحوير في جَيّد بنيانها، والإشادة بشأنها، ظهراً لبطن، فاتخذ عروشها مرابط لأفراسه، وإيواناتها ملاعب لأراذلته وأرجاسه. وهجم الشتاء فمنعه من ميرةٍ تأتيه، أو مدد يوافيه، فأقام نيفاً على شهرين لا يسيغ الشراب، ولا يملكُ المجيء ولا الذهاب، ليس له شوكة إلا ظلٌ لوائه، ولا مدد إلا ضعف من كان بإزائه. ولولا اهتبال ملوك الطوائف بإقامة مرافقه، وإصغاؤهم إلى هدر شقاشقة[2]، لطار شعاعاً، وذهب ضياعاً. وطفق أهل طليطلة يستصرخون من حولهم، ويعملون في ذلك فعلهم وقولهم، فيعكفون على طلل بائد، ويضربون في حديد بارد. فلما نأى الشتاء بجانبه، وخلى بين كل ذاهب ومذاهبه، مال بأهل طليطلة سيل لا يقوم له سهل ولا وعر، وطلع عليهم ليل لا يلوح لهم فيه صبح ولا فجر. واضطرَّ من أخطأته الحوادث، وتخطته تلك الخطوب الكوارث، - من أشدها ضيق الحصار، وكلب البوار، وغبطاء المرافق والأنصار- إلى مداخلة الطاغية أذفونش، فشرعوا في ذلك غير مظهرين للاستسلام، ولا مبترئين من الصبر على ضنك ذلك المقام، طمعاً في أن يغروه ولو باغلاء سوم، ويخدعوه على أذماء نفوسهم ولو ببياض يوم، إشارة الغريق إلى الساحل، واستراحة المحتضر إلى**

---

(1) ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠١- ١٠٢، عنان: دول الطوائف، ص ١١٠- ١١١.

(2) الشَّقاشق: جمع شِقْشِقَة: شيء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هاج وهدر.

الطبيب الجاهل؛ فأبى أذفونش إلاّ عَرَصةَ الدار، وأمّ الأوطار، ولجاجاً بين التمادي والاستمرار، لعلمه أين ينتهي طلقهم، وتقديره لما عسى أن يفي به رمقهم. فخرج من أعيانهم جملة إلى مضرب أذفونش في بعض تلك الأيام، وقد ضاق المجال، وتلمظت الآجال، وأقبلت الحتوف تختال، فقام الحجاب دونه، وقالوا: هو نائمٌ فكيف توقظونه؟ فعدلوا إلى مضرب ششنند، شرّه العتيد، وشيطانه المريد، وهامانه الذي أوقد له على الطين، وعلمّه الدفع بالشك في صدر اليقين، أحد أعلاج ابن عبّاد كان- من رجل متوقد جمرة الذكاء، بعيد المذهب بين الجرأة والنكراء، سفر بين المعتضد على نفسه، فنزع به عرق اللوم، إلى المقر المذموم. واستقرت قدمه بجليقية، فاضطلع بالدروب والثغور، وغلب على سائر السياسة والتدبير، وصار بعد قصارى ملوك الطوائف بالجزيرة نظرة من اهتباله، وأدنى خطرة من باله. فأدخل على أذفونش يومئذ منهم جمعة فوجدوه يمسح الكرى من عينيه، ثائر الرأس، خبيث النَّفَس، وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة رأسه، فما نسوا دفر أطماره، ودرن أظفاره. ثم أقبل عليهم بوجه كريه، ولحظ لا يشكون أن الشر فيه، وقال لهم: إلى متى تتخادعون، وبأي شيء تطمعون؟ قالوا: بنا بغية، ولنا في فلان وفلان أمنية، وسموا له بعض ملوك الطوائف، فصفّق بيَديه، وتهافت حتى فحص برجليه، ثم قال: أين رسل ابن عباد؟ فجيء بهم يرفلون في ثياب الخناعة، وينسبون بألسنة السمع والطاعة. فقال لهم: مذ كم تحومون عليّ، وترومون الوصول إليّ؟ ومتى عهدكم بفلان، وأين ما جئتم به لا كنتم ولا كان؟ فجاءوا بجملة ميرة، وأحضروا بين يديه كل ذخيرة خطيرة. ثم ما زاد على أن ركل ذلك برجله، وأمر بانتهابه كله؛ ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلاّ أحضر يومئذ رسله، وكان حاله حال من كان قبله. وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم، فخرج مشيختها من عنده وقد سُقط في أيديهم. وطمع كل شيء فيهم، وخلوا بينه وبين البلد، لثلاثة

أيام من ذلك المشهد. ودخل طليطلة على حكمه، وأثبت في عرصتها قدم ظلمه، حُكْمٌ مــن الله سبق به القدر، فلم يكن منه وزر)[1].

وخرج شيوخ طليطلة ترهق وجوههم ذلّة، وجند ألفونسو يدفعون فــي ظهــورهم وهــم صاغرين. كان قد مضى على حصار طليطلة تسعة أشهر، وتبين أن لا فائــدة مــن صــلحٍ أو مقاومة، بعد أن أنهك الجوع الأهالي، ولم تمض ثلاثة أيام على عودة شيوخ طليطلة من معسكر ألفونسو، حتى عَرَضَتْ المدينة التسليم لملك قشتالة وذلك ضمن الشروط التالية:

١- أن يسلّم القصر وأبواب المدينة والقناطر وحديقة الملك (وقد كانت حديقة نضرة غناء على ضفة التاجه) إلى ملك قشتالة ألفونسو السادس.

٢- أن يذهب الملك المسلم حراً إلى مدينة بلنسية وفقاً لرغبته وأن يسمح بالحرية لمــن شاء أن يتبعه من المسلمين، وأن يأخذوا معهم أموالهم. وأما الــذين يقيمــون فــي المدينة، فلا تؤخذ منهم أمتعتهم ولا أملاكهم.

٣- أن يبقى المسجد الجامع بأيدي المسلمين يقيمون فيه شعائرهم.

٤- ألاّ تفرض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم.

٥- أن تجري عليهم أحكام شريعتهم، وعلى يد قضاتهم المسلمين دون غيرهم.

٦- أن يقسم الطرفان كل وفق تقاليده على احترام هذه العهود.

٧- أخيراً أن يقدم أهل المدينة لفيفاً من أعيانهم كرهائن[2].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٤/ ١٠٢– ١٠٣.

(٢) عنان: دول الطوائف، ص١١٢، نقلاً عن الأب ماريانا وهو من أقدم المؤرخين الذين كتبوا عن سقوط طليطلة.
Mariana: Historia general de Espana (cap. 16).

وأضاف عنان أيضاً بعض الشروط وقال: على أن هذا النص الذي يقدمه الأب ماريانا ينقصه شيء من الدقّة في بعض تفاصيله، والمتفق عليه، أن شروط تسليم طليطلة قد صيغت على النحو الآتي:

١- أن يؤمن أهل المدينة في النفس والمال، وأن يغادرها من شاء منهم حاملين أموالهم، وأن يسمح لمن عاد منهم باسترداد أملاكهم.

٢- أن يؤدي المقيمون بها إلى ملك قشتالة ما كانوا يؤدونه لملوكهم من الضرائب والمكوس،

٣- أن يحتفظ المسلمون إلى الأبد بمسجدهم الجامع، وأن يتمتعوا أحراراً بإقامة شعائرهم، وأن يحتفظوا بقضائهم وشريعتهم.

٤- أن يسلموا إلى ملك قشتالة سائر القلاع والحصون والقصر الملكي، والمنية المسورة التي كان ينزل بها.

أما بالنسبة للقادر فقد تكفل ملك قشتالة بأن يمكّنه من الاستيلاء على بلنسيه، وقيل بل عرض عليه أيضاً أن يحصل له على دانية وشنتمرية الشرق، إذ كان يعرف جيداً أنها إذا خلصت للقادر، فستكون في الواقع ملكاً له ورهن تصرفه، وأن القواعد الشرقية كلها سوف تخضع له عن طريق ملكها الأسميّ الضعيف، يعني القادر[١].

هذا ما أورده عنان من شروط تسليم المدينة، وتظاهر ملك قشتاله بقبولها وتعهد باحترامها وعدم النكث بها، وكان ذلك في اليوم السادس من شهر مايو سنة ١٠٨٥م، ومضى على ذلك زهاء أسبوعين أُخريين، كانت فترة استعداد القادر لمغادرة البلاد والرحيل، وإخلاء المدينة وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من مايو (فاتحة شهر صفر سنة ٤٧٨هـ) دخل

---

[١] عنان: ملوك الطوائف، ص ١١٢.

الفونسو السادس مدينة طليطلة ظافراً، ونزل بالحال بقصرها المشهور، والذي كان قد نزل بـــه عندما لاذ بالفرار من سجن أخيه سانشو بضيافة المأمون بن ذي النون[١].

وعندما ملك ألفونسو السادس مدينة طليطلة واعتلى كرسي عرشها، عتا واستكبر، وتجنَّى وظلم وتجبَّر، وأخلَّ بعهوده مع ملوك الطوائف المبرمة قبل سقوط طليطلة، وبدأ يتطلـــع لأخـــذ بلادهم، بعد أن ذاق طعم النصر بدخوله أمنع المعاقل الإسلامية، وتوسطها من البلاد الأندلـــسية الأخرى، معتزاً بأنه اليوم صاحبُ الأمر، وأَنَّ جميع ملوك الطوائف أصـــبحوا تحـــت رحمـــة صوطهِ. قال ابن بسَّام: **(وعتا الطاغية أذفونش- قـــصمه الله- لحـــين اســـتقراره بطليطلـــة واستكبر، وأخلَّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصّر، وأخذ يتجنّى ويتعتّب، وطفق يتشوّق إلى انتزاع سلطانهم، والفراغ من شأنهم ويتسبّب، ورأى أنّهم قـــد وقفـــوا دون مـــداه، ودخلـــوا بأجمعهم تحت عصاه)** [٢]. أما طليطلة التي باتت تحت جُنح ظلم علوج ألفونـــسو، فقـــد لقيـــت مصيرها، البين كفّنها، والحسرة والأنين شغل أهلها، وقد ولي الوزير شِشنند تدبير أمرها، وكان صاحبُ ذكاء ودهاء، فاستخدم الليّن مع أهلها، والتخفيف عنهم، والتوّدد لهم، حتى استمال قلوب الكثيرين منهم، بل وأقبل بعض العامّة على التّنصر الذي حبَّبه ششنند للأهـــالي علـــى طريقـــة الذكية، وخاصةً المدجّنين. وبالمقابل أزجى النُصح للملك المتكبرّ المتعجرف ألفونسو؛ بأن يكـــن

---

(١) للمزيد عن سقوط طليطلة انظر: (ابن بسام: الذخيرة في خبر طويل ٤/ ١٠٢- ١٠٣، الكامل لابن الأثير ٩/ ١٣٨ أحداث سنة ٤٧٨هـــ، ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، النويري: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٩٨، القلقشندي: صبح الأعـــشى ٥/ ٢٥٢، المقري: نفح الطيب ١/ ٤٤١، ٤/ ٣٥٢، ٣٥٣، وفيه أن العدّو أخذ طليطلة في منتـــصف محـــرم ســـنة ٤٧٨هـــ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١١٨ وفيه أن العدو أخذها مستهل صفر سنة ٤٧٨هـــ بعد حصار شديد، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٠، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ١٤ وفيه أن القادر أسلمها الأذفونش سنة ٤٧٥هــــ وهذا مخالف لما أجمعت عليه المصادر، عنان: ملوك الطوائف، ص١١٢.

(٢) ابن بسَّام: الذخيرة، ٤/ ١٠٣.

ليّناً مع الرعيّة وأن يعتدل في معاملتهم لكسب ودّهم وإخلاصهم، وأوصاه أن لا يُلح بالطلب على ملوك الطوائف، حتى لا ينقلبوا ضدّه، ويجتمعُ شملهم عليه، لكن ملك قشتاله لعنه الله رأى نفسه فرعون ذي الأوتاد، فطغى في البلاد، وبيّت النيّة ليكثر الفساد في البلاد، ونسى أنَّ الله بالمرصاد، فرمى بنصح وزيره عرض الحائط، وقَدِم لعنه الله على تغيير المسجد الجامع وحوله إلى كنيسة، وخان العهود التي قطعها ونقض ما كان عقد وأقسم عليه، وذلك في ربيع أول من سنة ٤٧٨هـ[١].

قال ابن بسَّام بهذا الشأن: (**وعَتَا الطاغية أذفونش- قصمه الله- لحين استقراره بطليطلة واستكبر، وأخلَّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصر، وأخذ يتجنّى ويتعتّب، وطفق يتشوَّف إلى انتزاع سلطانهم والفراغ من شأنهم ويتسبّب، ورأى أنهم قد وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه.**

وولَّى ششنند المذكور تدبير طليطلة، فهوَّن عليهم الرَّزية، وحبَّبَ إليهم إعطاء الدَّنية، بما أراهم من سهولة مرامه، وبسط فيهم من عدل أحكامه، حتى استمال قلوب أعلامها، وحبب التنصّر إلى عامة طغامها، وفجأ المسلمين من اختلاف أهوائهم، وتنصّر سفهائهم، ما ضاقت عنه صدور الأيام، واضطربت له قواعد الإسلام. وقد كان من رأي ششنند الإبقاء على أهل طليطلة، وقال لأذفونش: لست تجد بمن تعمرها، ولا تظفر بعامل أطوع من ابن ذي النون يدبرّها، فأبى أذفونش إلاَّ لجاجاً في سفهه، وانحطاطاً في حبل شرهه. فلما تهيّأ له ملكها، وانتثر في يديه سلكها، قال له ششنند: اخفض جناحك لأهلها، واستجلب جاليتها بما تسدُّ من ظلها، ولا تُلح على ملوك الجزيرة فلست تستغني عنهم، ولا تجد عمالاً أطوع منهم فإنك إن أبيت إلا الإلحاح عليهم، والتَّسرع بالمكروه إليهم، نفرتهم عن ذراك، وأحوجتهم إلى مداخلة

---

[١] ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠٣، النويري: نهاية الأرب ٢٣/٢٥٩، عنان: ملوك الطوائف، ص١١٢.

سواك. فكان من صنع الله أن اتهم أذفونش يومئذ منحاه، وخالفه إلى ركوب هـواه، وشـرع لوقته في تغيير المسجد الجامع بها، خاتمة النوائب، ونكبة الشاهد والغائب. فقال له شـشنند: إنك إن فعلت أوغرت الصدور، وأبطلت التدبير، وسكنَّت من نشط، وقَبضتَ من انْسبط، فشمخ أذفونش- لعنه الله- بأنفه، وثنى من عطفه، وأصغى إلى طَنانةِ جنونِه وسخفهِ، وأمر بتغييـر المسجد الجامع يوم [........][1] لربيع الأول سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة وحدثني من شَهِدَ طواغيتَه تبتدرُه، في يوم أعمى البصائر والأبصار منظره، ولـيس فيـه إلاَّ الـشيخ الأسـتاذ المغامي آخر من صدر عنه، واعتمده في ذلك اليوم ليتزود منه، وقد أطاف به مردةُ عفاريته، وسرعان طواغيته، وبين يديه أحد التلامذة يقرأ، فكلما قالوا له عجّل، أشار هو إلى تلميذه بأن أكمل، ثم قام ما طاش ولا تهيّب، فسجد به واقترب، وبكى عليه مليّـاً وانتحـب، والنّـصارى يعظمون شأنه، ويهابون مكانه، لم تمتدَّ إليه يد، ولا عرض له بمكروه أحد). انتهى كلام ابـن بسَّام[2].

واستخّف الفونسو شيعته، حتى أهابوهُ، وبدأوا يسوّلون له تكبّره وتجبّره، فأشاروا عليـه بعد هذا النصر الظافر، أن يلبس التاج على ما كان عليه أجداده في الأندلس، فأجابهم: سـيكون ذلك بعد أخذ قرطبة حاضرة الخلافة الإسلاميّة، وقد أعدَّ ناقوساً عظيماً ليضعه حسب ما تمنّـى على مأذنة المسجد الجامع بقرطبة، فخيّب الله آماله، وقيّض له يوسف بن تاشفين الـذي هزمـه وجمعه في معركة الزلاقة بعد ما يقرب من عام من أخذ طليطلة[3]. قال ابن بسَّام بهذا الـشأن: **(وقد حدّثتُ أن شيعة أذفونش- لعنه الله وبدَّدها- أشاروا عليه يومئذ بلبس التاج، وزيّنوا له**

---

(1) هكذا من المصدر المحقق.

(2) نصّ ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ١٠٣- ١٠٤.

(3) ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠٤، المقري: نفح الطيب ٤/ ٤٤٨.

زيّ من سلف بالجزيرة قبل فتح المسلمين إيّاها من أعلاج، فقال: لا، حتى أطأ ذروة الملـــك، وآخذ قرطبتهم واسطة السّلك. وكان أعد لمسجدها الجامع- حمى الله ساحته مـــن الخطـــوب الروائع- ناقوساً تأنّق في إبداعه، وتجاوز الحدّ في استنباطه واختراعه، فالحمـــد لله مـــوهن أيده، ومبطل كيده، وجزى الله أمير المسلمين، وناصر الدين، أبا يعقوب يوسف بن تاشـــفين، أفضل جزاء المحسنين، بما بلَّ من رماق، ونفّس من خناق، ووصل هذه الجزيرة من حبـــل، وتجشَّم إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها من حزن وسهل، حتى [ثـــلَّ] عـــروش المـــشركين. وظهر أمر الله وهم كارهون، والحمد لله رب العالمين) [١].

هكذا وفي تلك الظروف البائسة سقطت أمنع المعاقل الإسـلاميّة، وموســطتها (مملكــة طليطلة) وعادت إلى قبضة ملّة الكفر، وعُبّاد الصليب، بعد أن طهّرها المسلمون مــن بــراثن القوط، وعمروها بالدِّين والعلم، وأناروا مساجدها بذكر الله، وحكموها ما يقربُ مــن ثلاثمائــة وثمانين عاماً، ملأوها عدلاً، وَغنَتْ بهم دهوراً وعصوراً، فوأسفاه عليك يا طليطلة.

كان سقوط طليطلة نذير شؤمٍ على كافة العالم الإسلامي، ولولا خيانةُ القــادر وخنــوع ملوك الطوائف لما كان ما كان، أصبح ألفونسو السادس بنظر الملة النصرانية البطل المخلــص الذي استردّ عاصمتهم، وورث أجدادهم، وأصبح الفونسو بمكانٍ مطلّ على معظم شبه الجزيــرة الإيبيرية، وأمنع معاقلها لأنها موسطة، وانقلب ميزان القوى القديم، فبدأت قوى الإســلام تفقــد تفوقها في شبه الجزيرة، بعد أن استطاعت أن تحافظ عليه زهاء أربعة قرون، وأضحى تفــوق القوى النصرانية أمراً لا شك فيه. ومن ذلــك الحــين تــدخل سياســة الاســترداد الإســبانية (لاريكونكستا La Reconquista) في طور جديد قوي، وتتقاطر الجيوش القشتالية لأول مرة،

---

[١] نص ابن بسَّام في الذخيرة ٤/ ١٠٤.

منذ الفتح الإسلامي، عبر نهر التاجه، إلى أراضي الأندلس، تحمل إليها أعلام الدمار والمـوت، وتقتطع أشلاءها تباعاً، في سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب)[1].

ونأتي الآن للحديث عن المحطّة الأخيرة من محطات الملك المنكوب القادر بالله ولـيس بقادر على شيء، يحيى بن إسماعيل حفيد المأمون يحيى بن إسماعيل، بعد أن سـلبه الفونـسو السادس بلاده وملكه وعرشه، حتّى إرادته وشخصيته. وكنا قد أسلفنا أنَّ الفونسو الـسادس قـد شرط عليه أن يخرج له عن طليطلة حالما بلغ أمله من دخولها، وكان القادر قـد طلـب مـن ألفونسو كذلك مظاهرته على دخول بلنسية التي كان قد استولى عليها جدّه سنة ٤٥٧هـ، وبعـد وفاة المأمون ثار بها أبو بكر بن عبد العزيز سنة ٤٦٧هـ، وأعلن أبو بكر نفسه أميراً عليها.

قال ابن خلدون: (... **وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسية**) [2]. وكان القادر بعـد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م قد استقرَّ أياماً في طليطة تحت حماية ألفونسو حالما جمع ماله وأهله[3]، ويصف لنا ابن بسَّام خروج المتوكل من طليطلة قائلاً: (... **وخرج ابن ذي النون خائباً مما تمنّاه، شَرِقاً بعقبي ما جناهُ، والأرض تضح من مُقامـه، وتـستأذن فـي انتقامـه، والسماء تود لو لم تطلع نجماً إلا كدرته عليه حتفاً مبيداً، ولم تنشئ عارضاً إلى مطرته عذاباً فيه شديداً. واستقرَّ بمحلة أذفونش مخفور الذمة، مذال الحرمة، ليس دونـه بـاب، ولا دون حرمه ستر ولا حجاب. حدَّثني من رآه يومئذٍ بتلك الحال وبيده اصطرلاب برصد فيه أي وقت**

---

(١) عنان: دول الطوائف، ص١١٤.

(٢) ابن خلدون: العِبر ٤/ ٢٠٧، وللمزيد المقري: نفح الطيب، ٤٤١/١، ابن بسام: الذخيرة ٣/ ٥٧– ٥٨، القلقـشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٢.

(٣) ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٠، ١٩٢، عنان: دول الطوائف، ص١١٣.

يرحل، وعلى أي شيء يعوّل، وأي سبيل يتمثّل، وقد أطاف به النصارى والمسلمون، أولئك يضحكون من فعله، وهؤلاء يتعجبون من جهله) [1].

ثم خرج القادر من طليطلة وكان بصحبتِه جماعةٌ من الكُبَراء والأشراف، الذين آثروا الخروج معه إلى بلنسية. كافة القلاع التي كانت تحت حكمه صدته، وأغلقت الأبواب في وجهه عدا قلعة قونقة (كونكة)، فقد بقيت على طاعته، ورحّب به صاحبها ابن الفرج وزيره ووزير جدّه المأمون آنفاً، فبعثه إلى صاحب بلنسيه أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن عبد العزيز ليفاوضه على دخول المدينة، وكان فريق من أهل بلنسية آثروا ابن هود ليكن أميراً لبلنسية، وفريق آخر رأى أن يكون القادر، ودبّت الفوضى بين الفريقين. وبعد عودة ابن الفرج سار المقتدر إلى بلنسية وكان الفونسو قد أمدّه كما ودعه بسريةٍ قويةٍ من جنود النصارى وعلى رأسها قائده هانيس، الذي تسمّيه الرواية الإسلامية (ألبرهانس)، ولما وصل القادر إلى بلنسية أرسل من يفاوضهم ويتودد إليهم ويعدهم، وبعد مفاوضاتٍ تم رفض مطالب ابن هود الطامع في ضم بلنسية إلى مملكة سرقسطة، ودخل القادر بلنسية كونه برأيهم صاحب المطلب الشرعي، كونها كانت تحت سيطرته قبل إعلان الثورة عليه من قِبل أبي بكر بن عبد العزيز، ثم خشيةً من هجوم القشتاليين، وتم خلع أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن عبد العزيز، وسلّمت المدينة للقادر، ودخل معه جنود النصارى، فسكن القادر قصرها، وأقام الجنود القشتاليون في ضاحية الرصافة وكان ذلك سنة ٤٧٨هـ (فبراير ١٠٨٦م) [2] وهكذا يستولي القادر على بلنسية ورث جدّه المأمون ليعيدَ

---

(١) نص ابن بسَّام: الذخيرة ٤/ ١٠٣.

(٢) ابن عِذاري: البيان المغرب ٣/ ٣٠٤، ٤/ ١٤٩، ابن خلدون: العِبر، ٤/ ١٩٤، ٤/ ٢٠٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٠، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٤٥، وفيه: (وقُبل عليها ابن ذي النون الذي أخرجه النصارى من طليطلة، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٤، النويري: نهاية الأرب ٢٥٩/٢٣، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٦، ابن الأثير: الكامل ٢٣/ ٢٩٢، عنان: دول الطوائف، ص ٢١٧- ٢١٨، الحجي: التاريخ الأندلسي، ص

أمجاد أجداده بعد أن أقفرت في موسطة الأندلس طليطلة، ومع كل هذا فلا يستبعد بأنّ الفونسو السادس قد مكن القادر من بلنسية لتكن فيما بعد من نصيبه، لأن القادر كان في يد الفونسو كحجر شطرنج يحركه كيفما شاء ومتى شاء، قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**... ولم يزل ملكها يخطب له على منبرها إلى أنّ سلم القادر ابن ذي النون طليطلة للفنش وجاء إلى بلنسية فخاف أهل بلنسية أن يعينه عليها فيعطيها له، فخلعوا هذا الأمير وفتحوها له، وقيل بل كان القادر قد اشترط على الفنش أن يملِّكه بلنسية الفنش بشرطه، وأدخله بلنسية قهراً في هذا التاريخ سنة ثمان وسبعين وأربعمائة)** [١]. وقال في موضعٍ آخر: (**.. وانتقل حفيد بن ذنون إلى بلنسية بمشايعة ملك قشتاله ووجَّه معه جيشاً حتى دخلها)** [٢] وقال ابن خلدون: (**... فلمّا سلّم القادر بن ذي النون طليطلة، زحف إلى بلنسية ومعه الفنش، وخلع أهل بلنسية عثمان بن أبي بكر وأمكنوا منها القادر خوفاً من استيلاء النصراني وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة)** [٣].

وقال ابن بسَّام بهذا الشأن: (**.... وأن يحيى بن، ذي النون، المتلقب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله، كان الذي هيج أولاً نارها، وأجج[٤] أوارها[٥]، وكان عندما خلَّى [بين]**

٣٦٧- ٣٦٨، ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص ١٨٦، الطاهر مكي، ملحكمة السيد، ص ١١٠، حسين، كريم عجيل حسين: الحياة العلمية في بلنسية، ص١٢٩ - ١٣٠. أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، ص١٢٦-١٣٠ مؤنس السيد القميطور وعلاقاته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، العدد١، مايو ١٩٥٠، المجلد/٣، ص٥٥.

Menendez Pidal (Ramon): La Espana del Cid Cuarta edicion, Vol,I, p.313-314

(١) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٣/ ٣٠٤.

(٢) ابن عِذاري: البيان المُغرب ٤/ ١٤٩.

(٣) ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٩٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٢٥٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٠.

(٤) أججَّ: ألهب.

(٥) أوارها: الحر – الدخان.

أذفونش وطليطلة- جدد الله رسمها، وأعاد إلى ديوان المسلمين اسمها- قد عاهده علـــى أن يعيد له صعب بلنسية ذلولا، وأن يمتعه بنضرتها وتملك حضرتها ولو قليلاً، علماً منه أنه أسيرٌ لديه، وعيال عليه، فصار تهرّهُ[1] المعاقل، وتبرأ منه المراحل [بعد المراحل]، حتـــى اســـتقر بقصبة قونكة، عند أشياعه بني الفرج-............. - وهم كانوا ولاء أمره، وواعية عرفـــه ونكره، بهم أولاً صدع، وإليهم آخراً نزع وطفق يداخل ابن عبـــد العزيـــز بمعـــاذير يلفقهـــا، وأساطير ينفقها، وأعجاز من الباطل وصدور يجمعها ويفرقها، وابن عبد العزيز يومئذ يضحك قليلاً ويبكي كثيراً، ويظهر أمراً ويخفي أموراً والفلك يدور، وأمر الله ينجد[2] ويغور[3]. وورد الخبر بموت ابن عبد العزيز أثناء ذلك، واختلاف ابنيه بعده هنالك، فانسل ابن ذي النون إلـــى بلنسية انسلال القطا[4] على الماء، وطلع عليها طلوع الرقيب على خلوات الأحبَّاء)[5].

وبعد أن تسلم القادر زمام الأمور ساءت أحوال العامّة، وبقي القادر على عادته في تلبية رغبات ألبرهانس وإرهاق الأهالي بالضرائب والمغارم، حتى قامت الثورة ضدّه، ولما دخلـــت القوات المرابطية الأندلس وحققت الانتصارات؛ بعث القائد المرابطي ابن عائشة ســـريةً إلـــى بلنسية لتعين القاضي ابن جّحاف على الثورة ضد السيد القميطور والقادر بن ذي النون، وتمكنت من فرض السيطرة على بلنسية وتم القبض على القادر، وكان قد اختفى ببعض حمّامات القصر، ومعه صندوق من الجواهر والحلي، وحزّ رأسه وحمل على رمح وطيف برأسه في الـــشوارع،

---

(1) تهرُّه: تكرهُ منظره ومعاملته.

(2) ينجد: خرج إلى النجد إلى الطريق المرتفعة.

(3) يغور: يأتي على الغور والغور ما انحدر من الأرض واطمأن.

(4) القطا: مفردها قطاة: طائر يحجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء فيقال "أهـــدى مـــن قطـــاة" (ابـــن هـــلال العسكري: جمهرة الأمثال ١/ ١٦٧، الميداني: مجمع الأمثال ٢/ ٤٠٩).

(5) ابن بسام: الذخيرة ٣/ ٥٧- ٥٨.

وكان ذلك يوم ٢٣ من رمضان سنة ٤٨٥هـ/ (٢٨ اكتوبر ١٠٩٢م) [١] وبذلك ينتهي عهد بنو ذي النون في بلنسية.

وللحديث عن نهاية القادر بن ذي النون يحدثنا ابن بسام: (...، **وذلك أن الفقيه أبا أحمد بن جحّاف متولي القضاء بها يومئذ لما رأى عساكر المرابطين- [أيدها الله]- تترى**[٢]**، وأحس بهذا الطاغية- لعنه الله- من جهة أخرى، امتطى صهوة العقوق**[٣]**، وتمثَّلَ: "من فرص اللص ضجة السوق"، وجمع في الرياسة بخدع الفريقين، وذُهل عن قصة الثعلب بين الوعلين فاستجاش**[٤] **لأول تلك الوهلة لمّة**[٥] **يسيرة من دعاة أمير المسلمين فهجم بهم على ساحة ابن ذي النون الجاءَ على حين غفلته، وانفضاض من جملته، واستشراء من علته، حيث لم يكن له ناصر إلاّ الشكوى، ولا هاد إلا صدر العصا، فقتله- زعموا - بيد رجل من بني الحديد طلباً بذحل**[٦] **عما كان هو قد قتل من سلفه، وهدم من بيوت شرفه)**، وفي قتله ابن ذي النون القادر، يقول أبو عبد الرحمن بن طاهر[٧]. [مجزوء الرمل] [٨].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٣/ ٥٧-٠ ٥٩، ابن عِذاري: البيان المغرب ٣/ ٣٠٥- ٣٠٦، ٤/ ١٤٩، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٨٤، ١٠٣، ابن خلدون: العِبر ٤/ ١٩٤، ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨، ابن الأثير: الكامل ٧/ ٢٩٢، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/ ١٨٠، ١٩٣، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٥٤، عنان: دول الطوائف، ص٢١٣، الحجّي: التاريخ الأندلسي ٣٧٢، أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، ص ١٢٩، ١٤٤-١٤٦، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية ١/ ٣٠٧، حسين، كريم عجيل حسين: الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ص ١٢٩- ١٣٠.

(٢) تترى: تتتابع.

(٣) العقوق: الفرس الحامل.

(٤) استجاش: جمع.

(٥) لمة: الشيء المجتمع.

(٦) ذحل: الثأر، العداوة والحقد، إشارة إلى أبي بكر الحديدي الذي قُتل في طليطلة بتدبير من القادر.

(٧) هو: أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر، الوزير الأجلّ ذو الوزارتين، صاحب المظالم، آل إليه أمر مرسية مدة ملوك الطوائف، ثم تآمر عليه أهل بلده وثاروا عليه، وداخلوا المعتمد بن عبّاد، فأرسل إليه وزيره الشاعر ابن عمار فحازها وملكها، وانحاز ابن طاهر إلى بلنسية أيام صاحبها المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر، وبقي في بلنسية حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ، وقد نيف على التسعين عاماً، وكان رحمه الله، فصيح القلم، ظريف التوقيع، عذب النادرة والفكاهة، وقد حدّث عنه وعن نوادرهِ وشعرهِ ونثرهِ صاحب القلائد، وصاحب الذخيرة. (للمزيد: ابن خاقان: قلائد العقيان ١/ ١٧٠-٢٠٦، ابن بسّام: الذخيرة ٣/١٣-٢٣، ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٤٤٦ الترجمة رقم ١٢٥٩، ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢٠٣، العماد الأصفهاني: الخريدة، ٢/٩٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢/١٩١-١٩٢، المقري: نفح الطيب ١/ ٦٤١، ٦٥٧، ٦٧٠، ٣/٤٠٩، ٧/٣٠).

(٨) ابن بسَّام: الذخيرة ٣/ ٥٩، والأبيات موجودة عند ابن الأثير في الكامل ٧/ ٢٩٢.

أيهـــــا الأخيـــــف[1] مهـــــلاً فلقــــــد جئـــــت عويـــــصا

إذا قتلـــــت الملـــــك يحيـــــى وتقمـــــــصت القميـــــــصا

رب يـــــوم فيـــــه تجـــــزى لـــــم تجـــــد عنـــــه محيـــــصا

ما بعد سقوط طليطلة

لم تغبْ طليطلة عن أنظار المسلمين حتّى بعد سقوطها، وكـانَ الأمـلُ يـراودهم فـي استرجاعها، وإعادتها إلى البلاد الإسلامية، وتطهيرها من رجسِ وبراثن النصارى، لكنَّ منعـةَ طليطلة وحصانة أسوارها وعلوّها، ومتانة قنطرتها، كانت دائمـاً تحـول دون تحقيـق الأمـل المنشود، فقد حاصرها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين عندما جـاز إلـى الأنـدلس سـنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وهو الجواز الثالث، وهتكها وقطع ثمارها، وانتـسف زروعهـا، وخـرَّب أحوازها وقتل وسبا، ولم يأته وقتها أحدٌ من ملوك الطوائف الذين وضعوا أيديهم بيد ملك قشتالة ألفونسو السادس، وبيّتوا النيّة لرد المرابطين عن بلادهم، فغاض ذلك يوسف بن تاشفين[2].

وبعد موت يوسف بن تاشفين بثلاثِ سنوات عبر ولده علي إلى الأندلس برسم الجهـاد، وغزا طليطلة وفتح من أحوازها سبعاً وعشرين حصناً، وفتح مجريط ووادي الحجارة ووصـل إلى طُليطلة فحاصرها شهراً وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكايةِ كثيراً، ثم قفل عنها إلى قرطبـة

---

(١) الأخيف: من كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرّب، ص١٥٣، الناصري الاستقصا ١/٢/ ٥٢-٥٣، عنان: دول الطوائف، ص٣٢٨-٣٢٩، محمود، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٢٦٣، أشباخ، يوسف أشباخ: تاريخ الأنلـس ١/١٠٠، طبعة القاهرة- مصر، ١٩٤٠م.

ظافراً بعد أنْ دوّخها[1]، وفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين غزى طليطلة أمير قرطبة مزدلي، فدوخها، وفتح حصن آرهينة عنوة، وقتل كل من كانَ بهِ من الرجال وسبى النساء والذريّة، ولمّا علم البرهانس وهو من قادة ألفونسو السادس، أقبل بجيشه لنصرة النصارى، فقصده مزدلي لمّا علم بأمرهِ، ففرّ أمام مزدلي ليلاً، فعاد مزدلي إلى قرطبة ظافراً غانماً[2]. ثم جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م وغزا طليطلة، فدخل أحد حصونها بالسيفِ، وهتك أحوازها[3]. ولم تنقطع غارات المسلمين في عهد الموحدين عن طليطلة كذلك؛ إذ كانت نصب أعينهم لا تفارقهم، ففي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م وفي عهد السلطان الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، جاز عمر أخو السلطان يوسف إلى الأندلس بنيّة الجهاد، وغزا طليطلة[4]، ثم جاز الأمير يوسف بنفسه إلى الأندلس ليتفقدّ أحوالها، وغزا مدينة طُليطلة، وفتح حصوناً كثيرةً من أحوازها وقتل خلقاً كثيراً من الروم وغنم وسبى، ثم عاد إلى إشبيلية ظافراً[5]، وفي سنة ٧٨٢هـ/ ١١٨٦م غزاها السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وقَصَد أحوازها[6].

بلغ عدد سكان طُليطلة أيام السلمين نحو مائتي ألف نسمة، وبعد سقوطها بيد النصارى هجرها معظم السكان المسلمين، وتضاءل سكانها ونشاطها الصناعي في ظل الحكم الإسباني، بالرّغم من أنّها كانت في وقتٍ من الأوقات عاصمة إسبانيا النصرانيّة، وكانت مقراً لبلاط فرديناندو وإسابيلا، وأحياناً لبلاط الامبراطور شارلكان. واستمر تدهور طليطلة حتى عفت معظم

---

(١) ابن خلدون:العبر ٢٢٣/٦، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦١، الناصري: الاستقصا، ٦٥/٢/١.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦٢، الناصري: الاستقصا ٦٦/٢/١.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦٤، الناصري: الاستقصا ٦٨/٢/١.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢١١.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢١١.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٠٦.

صناعاتها التي كانت قد اشتهرت بها فمن الصناعات الصلبية والحديدية والأسلحة الفاخرة، واليوم أصبح سكانها تقريباً لا يعدون ثلاثين ألف نسمة. واليوم هي مدينة متواضعة، حيث تحتفظ بخططها القديمة، بدروبها الضيّقة المنحدرة، ومنازلها الصخرية القديمة وما زال بها بعض الآثار القديمة مثل: الأسوار، الأبراج، القناطر، والمساجد التي حوّلت إلى كنائس[١].

رثاء طليطلة

كان سقوط طُليطلة بيد النَّصارى بالنسبة للمسلمين أول الفجائع في عهد ملوك الطوائف، وصفعةً من العدو الحاقد، ومصيبة عظيمة وقعت عليهم، غيرَّت مجرى حياتهم، وبغتتهم، فما عادوا يصدّقون ما أصابهم فالشاعر والفقيه أبو القاسم وكما أسلفنا من خلال الحديث عن علماء طليطلة؛ عندما أخذ العدو طُليطلة، حلق نصف رأسه وشدّ الزّنار، فقال له أحد أصحابه في ذلك وقال له أين عقلك؟! فقال ما فعلت هذا إلاّ بعد ما كمل عقلي[٢] أما الفقيه الزاهد ابن العسّال، فقد رثا طليطلة بشعر اتهم به أنّهُ انهزامي يدعو به إلى الرحيل عن طُليطلة، وتركها للعدو، لكن الواقع غير ذلك فهو أسلوب استخدمه الشاعر ساخراً ومستهزءاً، بل فيه التحدّي للصمود في وجه العدّو.

يقول ابن العسّال[٣] رحمه الله [البسيط][٤].

---

(١) عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص٨٢.

(٢) ابن سعيد: المُغرب ٢/ ٢١.

(٣) أوردت له ترجمةً مفصلّةً من خلال الحديث عن شعراء وعلماء وفقهاء طُليطلة.

(٤) الأبيات عند المقري في النفح ٤/ ٣٥٢ وقد أوردها المقري كذلك برواية أخرى.

حُثّوا رواحكم يا أهل أندلس	**فما المقام بها إلا من الغلطِ**
السلك ينثر من أطرافه وأرى	**سلك الجزيرة منثوراً من الوسط**
من جاور الشرّ لا يأمن عواقبه	**كيف الحياةُ مع الحياتِ في سفطِ**

يـــا أهـــل أنــــدلسٍ حُثّـــوا مطـــيّكمُ فمـــا المقـــامُ بهـــا إلاّ مـــن الغَلَـــطِ

الثوبُ ينـــسلُ مـــن أ طرافِـــه وأرى ثوبَ الجزيرة منسولاً مـــن الوســـطِ

ونحـــــنُ بـــــين عـــــدّوٍ لا يفارقنـــــا كيف الحياةُ مع الحيّاتِ في ســـفط[1]

لقد كان ابن العسَّال مشهوراً بالكرامات وإجابة الدعوات، زاهد طُليطلة المـــشهور، فـــلا أظن أنه يدعو للاستسلام والخروج من طُليطلة، بقدر ما يدعو أهلها للصمود في وجـــه العـــدو قائلاً: إمَّا أن تصمدوا في وجه عدّوكم فهو لن يفارقم، وإما فخروجكم منها أفضل، لأن الحيـــاة معهم مستحيلة في بلدٍ واحدة، فكيف يعيش الإنسان مع عدّوه الأفعى في مكان وآنٍ واحد. وهـــي دعوة للجهاد لا للاستسلام. وما أعجب أن ينسل الثوب من وسطه، والمعتاد نسوله من أطرافه، فهذا فاتحة الشر، ونذير الشؤم. ونعود للشاعر الذي حلق وسط رأسه ابـــن الخيـــاط فاســـتغرب أصحابه ما فعل بنفسه، وقال لهم الآن بعد هذا التصرّف كمل عقلي، لأن سقوط طليطلة وهـــي موسطة الأندلس وأمنع ممالكها هو أمرٌ يدعو للحيرة والاستغرب، ويبشر بالشر القـــادم، وهـــو تصرف لجلب الأنظار بطريقة السخرية والاستهتار، فطالما استهتر ملوك الطوائف حتى جاءهم الخطر المحدق. وكأنه يقول لهم: انظروا إلى بشاعة منظر راسي بعد أن حُلـــق منتـــصفه، وإن الأندلس أكثر بشاعة بعد أن أُخذ موسطتها، طليطلة.

وأورد منها ابن سعيد في المغرب (٢/ ١٩) البيت الأول والثاني وعلى رواية المقري الأول، وأورد كذلك ابن بسام فـــي الذخيرة (٢/ ١٥٤).

حُثّـــوا مطايـــاكم يـــا أهـــل أنـــدلس فمـــا المقـــامُ بهـــا إلاّ مـــن الغلـــط

فـــالثوبُ ينـــسلُ مـــن أطرافِـــهِ وأرى ثـــوب الجزيـــرة منـــسولاً مـــن الوســـط

(١) السَّفَط: جمع أسفاط، قال ابن سيدة في لسان العرب: كالجواليق: جمع جوالق وهو وعاء مـــن الأوعيـــة معـــروف معرب. (لسان العرب: سفط، جَلَقَ).

وقال شاعرٌ آخر أيضاً في رثاء طليطلة [البسيط][(١)].

يا أهل أنــدلس رُدُّوا المُعــارَ فمــا فـــي العُــرْف عاريّــةٌ إلا مـــردّاتُ

ألم تروا بيــدق[(٢)] الكفــار فرزنــه وشــاهنا آخــر الأبيــات شـــهماتُ

ونرى هنا بيتين فقط قيلت في رثاء طليطلة، وقبلها ثلاثة أبيات، أو حلق منتصف الرأس، فهل هذه الأبيات القليلة كانت بحجم المأساة، أم أنها بضعة أبيات من قصائد طويلة، ولم يَبْقَ منها إلاّ ما هو بين أيدينا، أم أنَّ الشعراء اكتفوا بهذا، لأن الدمع لا يرد البلاد هنالك تساؤلات كثيرة. ولماذا هذه الأبيات، والقصيدة التي ستأتي لاحقاً في رثاء طليطلة نـسبت لمجهـول؟ أحقـاً أن شاعرها مجهول؟ أم الخوف من عقاب ملوك الطوائف جعلته يختبئ وينكـر نفـسه فقـد كـان الشعراء يفصحون بقصائد الرثاء عن العلة وهي: **(ركون ملوك الطوائف إلى الـدنيا، ووضـع يدهم بيد النصارى ضد بعضهم، وإرهاق رعيتهم بالضرائب والإتاوات والمغارم، وتعطيل سنة الجهاد).**

كذلك احتفظ لنا كتاب نفح الطيب بهذه القصيدة التي بلغت اثنين وسبعين بيتاً، وقد نُسبتْ لمجهول، قال المقري:**ومن ذلك قول بعضهم يندبُ طليطلة أعادها الله تعالى للإسلام[الوافر]** [(٣)]:

لِثَكْلُــكِ كيــفَ تبتــسمُ الثغــورُ ســروراً بعــد مــا سُــبيتْ ثُغــورُ

---

(١) المقري: نفح الطيب ٤/ ٣٥٢.

(٢) البَيْدَق: الدليل في السفر، والجندي الراجل.

(٣) المقري: نفح الطيب، ٤/ ٤٨٣- ٤٨٦.

أمـــا وأبـــي مـــصابٌ هُـــدَّ منـــهُ	ثبيـــرُ الـــدين فاتّـــصلَ الثُّبـــورُ
لقد قُـصمتْ ظهـورٌ حـين قـالوا	أميـــرُ الكـــافرينَ لـــه ظهـــورُ
ألـيس بهـا أبـيٌّ الـنفس شـهمٌ	يـــديرُ علـــى الـــدوائرِ إذ تـــدورُ
لقـد خـضعت رقـابٌ كـنَّ غُلبـاً	وزالَ عتوُّهـــا ومـــضى النفـــورُ
وهـــانَ علـــى عزيـــزِ القـــومِ ذلٌّ	وسامحَ فـي الحـريمِ فتـىً غيـورُ
طليطلـــةٌ أبـــاحَ الكفـــرُ منهـــا	حِماهـــا. إن ذا نبـــأٌ كبيـــرُ
فلـــيسَ مثالهـــا إيـــوانُ كِـــسْرى	ولا منهـــا الخَوَرْنَـــقُ والـــسديرُ
محـــصَّنَةٌ مُحـــسَّنَةٌ بعيـــدٌ	تَناولهـــا ومطلبهـــا عـــسيرُ
ألـــمْ تـــكُ معقـــلاً للـــدِّينِ صـــعباً	فـــذلَّلهُ كمـــا شـــاءَ القـــديرُ
وأخـــرج أهلهـــا منهـــا جميعـــاً	فصاروا حيثُ شـاءَ بهـم مـصيرُ
وكانـــت دارَ إيمـــانٍ وعلـــمٍ	معالِمُهـــا التـــي طُمِـــسَتْ تنيـــرُ
فَعـــادت دارَ كفـــرٍ مـــصطفاةٍ	قـــد اضـــطربت بأهلِيهـــا الأمـــورُ
مـــساجدها كنـــائسُ، أيُّ قلـــبٍ	علـــى هـــذا يقـــرُّ ولا يطيـــرُ؟[١]
فيـــا أســـفاهُ يـــا أســـفاهُ حزنـــاً	يُكَـــرَّرُ مـــا تكـــررتِ الـــدهورُ

---

[١] إشارة إلى المساجد التي حولت إلى كنائس، بعد أن وعد الفونسو السادس أهل طليطلة بالإبقاء على المساجد وعدم التدخل بالشعائر الدينية، وكان هذا فيما بعد دأب عبّاد الصليب في كل مكان يدخلونه من بلاد المسلمين في الأندلس حتى سقوط غرناطة، وعود كالسراب للظامئ، وعهودٌ أوهن من بيوت العنكبوت، وكلام الليل يمحوه النهار، حيث تتجلي حقيقة الذئاب والكلاب الضآلّة.

وينشر كل حسنٍ ليس يُطوى … إلى يومٍ يكون به النُشُورُ

أُديلت قاصراتُ الطرفِ كانتْ … مصوناتٍ مساكنها القصورُ

وأدركها فتورٌ في انتظارٍ … لسربٍ في لواحظه فتورُ

وكان بنا وبالقينات أولى … لو انْضمَّت على الكلِّ القبورُ

لقد سَخِنَتْ بحالتهن عَيْنٌ … وكيفَ يصحُّ مغلوبٌ قريرُ

لئن غبنا عن الإخوان إنّا … بأحزانٍ وأشجانٍ حُضورُ

نُذورٌ كان للأيام فيهم … بمهلكهمْ فقد وفت النُّذُورُ

فإن قلنا العقوبةَ أدركتهم … وجاءهُمُ من الله النكيرُ

فإنا مثلهم وأشدُّ منهم … نجورُ وكيف يَسْلَمُ من يَجورُ

أنأمنُ أن يحلَّ بنا انتقامٌ … وفينا الفسقُ أجمعُ والفجورُ

وأكلٌ للحرامِ ولا اضطرارٌ … إليه فيسهلُ الأمرُ العسيرُ

ولكن جرأة في عقرِ دارٍ … كذلك يفعلُ الكلبُ العقورُ

يزولُ السيرُ عن قومٍ إذا ما … على العصيان أُرخيَتش الستورُ

يطولُ عليَّ ليلي، رُبَّ خطبٍ … يطولُ لهوله الليلُ القصيرُ

خذوا ثأر الديانةِ وانْصروها … فقد حامتْ على القتلى النسورُ

ولا تَهِنُوا وسُلوا كل عضبٍ … تهابُ مضارباً منه النُّحورُ

وموتوا كلكم فالموت أولى … بكمْ من أن تُجاروا أو تَجُوروا

أصـــبراً بعـــد ســـبيٍ وامتحـــانٍ … يـــلام عليهمـــا القلـــبُ الـــصبورُ

فـــأُمُّ الثكـــلِ مِـــذكارٌ ولـــودٌ … وأُمُّ الـــصقرِ مِقـــلاتٌ نَـــزورُ

نخـــور إذا دُهينـــا بالرزايـــا … ولـــيس بمعجـــبٍ بَقَـــرٌ يخـــورُ

ونجبن لـيس نـزأر، لـو شـجعنا … ولـم نجـبن لكـان لنـا زئيـرُ

لقـد سـاءت بنـا الأخبـارُ حتـى … أمـات المخبـرين بهـا الخبيـرُ

أتتنـا الكُتْـبُ فيهـا كـلُّ شـرّ … وبـشّرنا بأنْحـسنا البَـشيرُ

وقيـلَ، تجمّعُـوا لفـراقِ شَـمْلٍ … طُليطلـةٌ تملَّكهـا الكفُـورُ

فقُـل فـي خطّـة فيهـا صـغارٌ … يـشيبُ لكربهـا الطفـلُ الـصغيرُ

لقـد صـمَّ الـسميعُ فلـم يعـوّل … علـى نبـإٍ كمـا عمـيَ البـصيرُ

تجاذبنـا الأعـادي باصـطناعٍ … فينجـذبُ المخـوّلُ والفقيـرُ

فبـاقٍ فـي الديانـةِ تحـت خـزيٍّ … تثبِّطـهُ الـشّويَهَةُ والبعيـرُ

وآخـرُ مـارقٌ هانـت عليـه … مـصائبُ دينـه فلـهُ الـسعيرُ

كفـى حزنـاً بـأنَّ النـاس قـالوا … إلـى أيـن التحـوّلُ والمـسيرُ

أنتـركُ دورنـا ونفـرّ عنهـا … ولـيس لنـا وراء البحـر دورُ

ولا ثَـمَّ الـضيّاعُ تـروقُ حـسناً … نباكرهـا فيعجبنـا البكـورُ

وظـلٌّ وارفٌ وخريـرُ مـاءٍ … فـلا قـرٌّ هنـاك ولا حَـرورُ

ويؤكـلُ مـن فواكههـا طَـرِيٌّ … ويُـشربُ مـن جـداولها نميـرُ

يـــؤدَّى مَغـــرمٌ فـــي كـــلِّ شـــهرٍ   ويؤخـــذُ كـــلَّ صـــائفةٍ عُـــشُورُ

فَهُـــمْ أحمـــى لحوزتنـــا وأولـــى   بنـــا وهُـــمُ المـــوالي والعـــشيرُ

لقـــد ذهـــب اليقـــينُ فـــلا يقـــينٌ   وغَـــرَّ القـــومَ بـــالله الغَـــرورُ

فَـــلا ديـــنٌ ولا دُنيـــا ولكـــن   غـــرورٌ بالمعيـــشةِ مـــا غـــرورُ[١]

رَضُـــوا بـــالرقِّ يـــا لله مـــاذا   رآهُ ومـــا أشـــار بـــه مُثيـــرُ

مضى الإســـلام فأبْـــكِ دمـــاً عليـــه   فما ينفي الجَـوى الـدمعُ الغزيـرُ

ونُـــحْ وانـــدبْ رفاقـــاً فـــي فـــلاةٍ   حيـــارى لا تحـــطُّ ولا تـــسيرُ

ولا تَجْـــنَحْ إلـــى ســـلمٍ وحـــاربْ   علـــى أن يُجْبَـــرَ العظـــمُ الكَـــسيرُ

أنعـــم عـــن مراشـــدنا جميعـــاً   ومـــا إن مـــنهمُ إلا بـــصيرُ

ونلقـــى واحـــداً ويفـــرُّ جَمْـــعٌ   كمـــا عـــن قـــانصٍ فـــرَّت حميـــرُ

ولـــو أنّـــا ثبتنـــا كـــانَ خيـــراً   ولكـــنْ مـــا لَنـــا كـــرمٌ وخيـــرُ

إذا مـــا لـــم يكـــن صـــبرٌ جميـــلٌ   فلـــيس بنـــافعٍ عـــددٌ كثيـــرُ

ألا رجـــلٌ لـــهُ رأيٌ أصـــيلٌ   بـــه ممّـــا نحـــاذرُ نـــستجيرُ

يكـــرُّ إذا الـــسيوف تناولَتْـــهُ   وأيـــنَ بنـــا إذا ولَّـــت كـــرورُ

ويطعـــنُ بالقنـــا الخَطّـــار حتـــى   يقـــول الـــرمح مـــا هـــذا الخطيـــرُ

---

(١) إشارةً إلى أسباب كسر المسلمين في مواجهتهم للنصارى، بعدم ثقتهم بالله وغرورهم بالدنيا وركونهم إليها، بما فيها من الملذات والشهوات، ودعوة من الشاعر للجهاد وعدم القعود عنه.

عظـــيمٌ أن يكـــونَ النـــاسُ طُـــراً بأنـــــدلسٍ قتيـــــلٌ أو أســـــيرُ

أذكّـــر بـــالقراع الليـــث حرصـــاً علـــى أن يقـــرع البَـــيْضَ الـــذكورُ

يبـــادرُ خَرْقَهـــا قبـــلَ اتّـــساعٍ لخطـــبٍ منـــهُ تنخـــسفُ البـــدورُ

يوسّـــع للـــذي يلقـــاهُ صـــدراً فقَـــدْ ضـــاقَتْ بمـــا تلقـــى صـــدورُ

تنغّـــصتِ الحيـــاةُ فـــلا حيـــاةٌ وودَّعَ جيـــــرةً إذْ لا مجيـــــرُ

فليـــلٌ فيـــه هـــمٌّ مـــستكنٌّ ويـــومٌ فيـــه شـــرٌّ مـــستطيرُ

ونرجـــو أن يُتِـــيحَ الله نـــصراً علـــيهم، إنّـــهُ نعـــمَ النـــصيرُ

المَلاحِــــــــق

- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب رواية ابن الأثير الإسلامية.
- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب الرواية اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها.
- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب الروايات الإسلاميّة والروايات اللاتينيــة والأجنبيــة/ المترجمة والمنقول عنها.
- ملحق عهد الولاة في بلاد الأندلس (٩٥- ١٣٨هــ) (٧١٤- ٧٥٥م).
- ملحق عهد الأمراء من بني أمية في بلاد الأندلس. (١٣٨- ٣٠٠هــ) (٧٥٥-٩١٢م).
- ملحق عهد الخلفاء من بني أمية في بلاد الأندلس (٣٠٠- ٤٢٨هــ) (٩١٢-١٠٣٦م).
- ملحق ملوك الطوائف في طُلَيْطُلة (Toledo) (٤٠٠- ٤٧٨هــ (١٠٠٩- ١٠٨٥م).

الخـــــــرائط

- خريطة رقم (١) هجرات الشعوب الجرمانية وطريقهم، مأخوذة عن نورمــان كــانتور: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة قاسم عبده قاسم، ص ١٦٩.
- المناطق التي استقرّ بها القوط الشرقيون (Ostrogoths) سهول روسيا الجنوبية، والقوط الغربيين (Visigoths) بلاد الغال وإسبانيا، مأخوذة عن محمد سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣٣٨.
- دول الطوائف والممالك الإسبانية النصرانيّة بعد انهيار الخلافة الأموية سنة ٤٠٠هــــ/ ١٠٠٩م، مأخوذة عن عنان: دول الطوائف، ص٢٧.

- دول الطوائف والممالك الإسبانية النصرانية عقب سقوط طُلَيْطُلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، مأخوذة عن عنان: دول الطوائف، ص١١٥.

الصـــــــــوّر

١. ملوك القوط الغربيين Visigoths في إسبانيا (٤١٤م- ٧١١م) مـأخوذة عـن شـكيب أرسلان: الحلل السندسية ١/ ١٧٧.

٢. المكان الذي شاهد به لُذريق الأميرة فلوريندة ابنة يليان عامل سبة وهي تسبح في النهـر والتي اغتصبها فيما بعد.

٣. الملك القوطي لُذريق Rodrigo مع الأميرة فلوريندة ابنة يليان صاحب سبته، مـأخوذة عن شكيب أرسلان: الحلل السندسية ١/ ٤٣٣.

٤. ملاقاة موسى بن نُصير مع طارق بن زياد بالقرب من طليطلة، مأخوذة عـن شـكيب أرسلان: الحلل السندسية ١/ ٤٥٥.

٥. تسليم طليطلة للأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة ٨٣٨م، مأخوذة عن شكيب أرسـلان: الحلل السندسية ١/ ٤٦١.

٦. طليطلة يحيط بها نهر التاجة Tajo من ثلاث جهات.

٧. طُلَيْطُلة منظر عام.

٨. قنطرة طُلَيْطُلة، ومشارف القصر العربي الذي بني في عهد الأميـر الحكـم الربـضي (١٨٠- ٢٦٠هـ).

ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين (Visigoth) في إسبانيا (الأندلس) حسب الروايات الإسلامية. رواية ابن الأثير وهي الرواية الأكثر توافقاً مع الرواية اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[١].

اسم الملك القوطيّ		مدة حكمه بالسنوات
٣٦.	لذريق	ثلاثة عشرة سنة
٣٧.	أقريط	
٣٨.	أماريق	
٣٩.	وغيش	
٤٠.	ألريق[٢]	
٤١.	أطلوف[٣]	ست سنين
٤٢.	واليا[٤]	ثلاث سنين
٤٣.	بوردزاريش[٥]	ثلاث وثلاثين سنة
٤٤.	طرشمند	
٤٥.	لذريق[٦]	ثلاث عشرة سنة
٤٦.	أوريق[٧]	سبع عشرة سنة

---

(١) هذه رواية ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠- ١٢١، وهي تتوافق مع الروايات اللاتينية والأجنبية، المترجمة والمنقول عنها في بعض الأسماء، وفتراتهم الزمنية لحكم القوط في الأندلس.

(٢) ألريق: وهو: (ألاريك، ألارك، ألرك Alaric)، وهنا توافق مع الرواية اللاتينية، الأجنبية وهو الذي قاد القوط وحاصر روما ودخلها سنة ٤١٠هـ، ثم توفي آخر العام. (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٦٩، فرج: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٩، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٩٣؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس ٢٨/١/١ Vasiliev: the Byzantine Empire, tomI, p.11

(٣) أطلوف: وهو أتولف، وهنا توافق كذلك حيث حكم ست سنين، وعلى الرواية الأجنبية كذلك (٤١٠- ٤١٥م).

(٤) واليا: وهنا توافق تام بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (٤١٥- ٤١٨م).

(٥) بورذاريش: وهو ثيودريك الأول: وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وثلاثين سنة، (٤١٩- ٤٥١م).

(٦) لذريق: وهو ثيودريك الثاني، وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث عشرة سنة (٤٥١- ٤٦٥م).

(٧) أوريق: وهو أيورك وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم سبع عشرة سنة (٤٦٦- ٤٨٣م).

	اسم الملك القوطيّ	مدة حكمه بالسنوات
٤٧.	الريق بطلوشة[١]	ثلاث وعشرين سنة
٤٨.	عشليق	
٤٩.	أمليق	سنتين
٥٠.	توذيوش	سبع عشر سنة وستة أشهر
٥١.	طودتقليس	سنة وثلاثة أشهر
٥٢.	أثلة	خمس سنين
٥٣.	أطلنجة	خمس عشرة سنة
٥٤.	ليوبا[٢]	ثلاث سنين
٥٥.	لويلد	
٥٦.	ركرد	
٥٧.	ليوبا	
٥٨.	بتريق	
٥٩.	غندمار	سنتين
٦٠.	سيسيموط[٣]	تسع سنين
٦١.	ركريد[٤]	
٦٢.	شنتله[٥]	
٦٣.	شنند[٦]	خمس سنين
٦٤.	خنتله[٧]	ست سنين

(١) الريق: وهو الرك الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وعشرين سنة (٤٨٣- ٥٠٦م).

(٢) ليوبا: وهو ليوفا الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (٦٠١-٦٠٣م).

(٣) سيسموط: وهو سيسبوت وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم تسع سنين (٦١٢- ٦٢٠م).

(٤) ركريد: وهو ركاد الثاني، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه، وقد حكم (٦٢٠-٦٢١م).

(٥) شنتله: وهو سونثيلا، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه وقد حكم (٦٢٠-٦٣١م).

(٦) شنند: وهو سيساند، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم خمس سنين (٦٣١- ٦٣٦م).

(٧) خنتله: وهو خنزيلا وهنا توافق بالأسم والفترة الزمنية تقريباً، إلاّ أن ابن الأثير ذكر أنه حكم ست سنين، وفي الروايات اللاتينية الأجنبية (٦٣٦- ٦٤٠م).

اسم الملك القوطيّ		مدة حكمه بالسنوات
٦٥.	خندس	أربع سنين
٦٦.	بنبان[١]	ثمان سنين
٦٧.	أروى[٢]	سبع سنين
٦٨.	أبقه[٣]	خمس عشرة سنة
٦٩.	غيطشة[٤]	كانت ولايته سنة ٢٧٧هـ
٧٠.	رذريق[٥]	



[١] بنبان: وهو وامبا، وهنا توافق بالاسم والفترة تقريباً حيث حكم ثمان سنين (٦٧٢- ٦٨٠م).

[٢] أروى: وهو أريوج، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية، حيث حكم سبع سنين (٦٨٠- ٦٨٧م).

[٣] ابقه: وهو إجيكا وقد اختلف الاسم وتوافق الزمن، حكم خمس عشرة سنة (٦٨٧-٧٠١م).

[٤] غيطشة: وهو وترا (Wetza)، وقد حكم تسع سنين (٧٠١-٧١٠م).

[٥] رذريق: وهو رودريك (Rodrigo) وهو آخر ملوك القوط الذي دخل المسلمون عليه.

اسماء ملوك القوط الغربيّين Visigoths في إسبانيا[1] حسب الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها.

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أتولف Ataùlfo	٤١٠م	٤١٥م
واليا، وسِجريكو (٤١٦م) Walia	٤١٥م	٤١٩م
ثيودريك الأول (تيودوريدو Teodoredo)	٤١٩م	٤٥١م
توريسموندو(Turismundo)	٤٥١م	٤٥٤م
ثيودريك الثاني (تيودوريك Teodoreco)	٤٥٤م	٤٦٥م
أيورك (يوريك Eurico)	٤٦٥م	٤٨٣م
ألرك الثاني (ألريكو AlaricoII)	٤٨٣م	٥٠٦م
خيساليكو (Gesaleico)	٥٠٦م	٥٠٩م
أمالاريكو وثيودريك (Amalarico , Teodreco)	٥٠٩م	٥٢٢م
أمالاريكو بمفرده (Amalarico)	٥٢٢م	٥٣١م
تيوديس (تيوديسيلو Teudis)	٥٣١م	٥٤٨م
ثيوديجزل (تيوديسيليو Teudiselo)	٥٤٨م	٥٤٩

---

(١) هذا ثبت بأسماء ملوك القوط في إسبانيا، من تاريخ خروجهم من روما سنة ٤١٠م بعد أن دخلوها واستباحوها، وحتى نهاية دولتهم على أيدي الفاتحين من أبطال المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م، وكانت طليطلة حتى عهد رودريك هي عاصمتهم ودار ملكهم. للمزيد: (حتاملة: أيبيريا ص ٢٠٢ –٢٥٥، طرخان: دولة القوط الغربيين ص ١٣٦–١٣٩،عاشور: تاريخ العصور الوسطى ص٧٠، ٧١، ٦٦٨، الشيخ: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٩٣– ٩٧، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص٢٨– ٢٩، العدوي: المسلمون والجرمان، ص١٩– ٢٣، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٨٥– ٨٩، عمران، محمد سعيد عمران: معالم تاريخ العصور الوسطى، ص٣٢٦، أرسلان، شكيب أرسلان: الحلل السندسية ١/ ١٧٧، لانجر: موسوعة تاريخ العالم ٢/ ٣٩٢– ٣٩٦.

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83-114
. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 338-355

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أجيلا (أخيلا Agila)	٥٤٩م	٥٥٤م
أثانا جلدا (أتانا خيلدو Atanagildo)	٥٥٤م	٥٦٧م
ليوفا الأول (لوفا Liuva)	٥٦٧م	٥٧٢م
ليونيجلدو (ليوفيخيلدو Leovigildo)	٥٧٢	٥٨٦م
ركارد الأول (ريكاريدو Recarad)	٥٨٦م	٦٠١م
ليوفا الثاني (Liuva II)	٦٠١م	٦٠٣م
وتريخ (فيتيريكو Viterico)	٦٠٣م	٦١٠م
جوندمار (غونديمارو Gundemaro)	٦١٠م	٦١٢م
سيسيبوتو (Sisebuto)	٦١٢م	٦٢٠م
ركادوالثاني (ريكاريدو الثانيRecaradoII)	٦٢٠م	٦٢١م
سونتيلا (Suintiala)	٦٢١م	٦٣١م
سيسناندو(Sisenado)	٦٣١م	٦٣٦م
خنزيلا (كنتيلا Khintila)	٦٣٦م	٦٤٠م
تولجا (Tulga)	٦٤٠م	٦٤١م
خندا شفنتو(Khindasvinto)	٦٤١م	٦٥٢م
ريثيسفنتو(Rececvinto)	٦٥٢م	٦٧٢م
وامبا (Vamba)	٦٧٢م	٦٨٠م
ارفيخيو(Ervigio)	٦٨٠م	٦٨٧م
إجيكا (أخيكا Egica)	٦٨٧م	٧٠١م
وتزا (غيطشة Witiza)	٧٠١م	٧٠٩م
رودريك (لذريق Lodrigo)	٧٠٩م	٧١١م

ثبت بأسماء ملوك الغربييّن Visigoth حسب ما ورد في الروايات الإسلامية مقارنةً بالروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[1].

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
لذريق	١٣	أطفانش		أطفالش		أتولف	٤١٠م	٤١٥م
أقريط		طشريك		طشريك		واليا، وسجرريكو (٤١٦م)	٤١٥م	٤١٨م
أماريق		ماسته	٣	تالبه	٣	ثيودريك الأول	٤١٩م	٤٥١م
وغيش		لذريق	١٣	لُذريق	١٣	ثيودريك الثاني	٤٥١م	٤٦٥م
ألريق		طورديق		ورقيش	١٧	أيورك	٤٦٦م	٤٨٣م
أطلوف	٦	أدلوف	١٧	الريك	٢٣	ألرك الثاني	٤٨٣م	٥٠٦م
واليا	٣	الديك	٢٣	اشتريك بن طودريك	٥	أمالرك وثيودريك	٥٠٦م	٥٢٢م
بورزادريش	٣٣	طورديك		بشليقش	٤	أمالرك بمفرده	٥٢٢م	٥٣١م
طرشمند		أشتريك	٥	طودريق	١٦	ثيوديس	٥٣١م	٥٤٨م
لذريق	١٣	بشليقش	٤	أملريق	٥	ثيوديجزل	٥٤٨م	٥٤٩م
أوريق	١٧	طودريق	١٣	طودش	١٣	أجيلا	٥٤٩م	٥٥٤م
الريق ببطلوشه	٢٣	طودشكل	٢	طود شكل	٢	أنانا جلدا	٥٥٤م	٥٦٧م
عشليق		أيله	٥	أيله	٥	ليوفا الأول	٥٦٧م	٥٧٢م
أمليق	٢	طنجاد	١٥	طنجاد	١٥	ليونيجلدا	٥٧٠م	٥٨٦م
توديوش	١٧ وستة أشهر	لُيولَه	١	ليوبة	١	ركارد الأول	٥٨٦م	٦٠١م

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٠- ١٢١، وروايته أقرب الروايات الإسلامية إلى الروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها في المراجع العربيّة، ابن خلدون: العبر ٢/ ٢٨٠- ٢٨٣، طبعة دار الفكر، ١٩٨١م، وفيها كثير من الخلط، ١٨٠/٤ نقلاً عن ابن حيان حيث ذكر أنّ أولهم شنتيلة وقد ذكر منهم ثمانية ملوك فقط، القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٢٣٨- ٢٤١، وربّما كان ينقل عن ابن خلدون للتوافق الكبير، ابن حيّان: المقتبس ٥/ ٢٧٤- ٢٧٦.

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
طودتقلس	سنة وثلاثة أشهر	لوبليذة	١٨	لوبيلذة	١٨	ليوفا الثاني	٦٠١م	٦٠٣م
أثله	٥	زدريق	١٦	رُذريق	١٦	وتريخ	٦٠٣م	٦١٠م
أطلنجه	١٥	لُيبوبة	٢	ليوبه	٢	جوندمار	٦١٠م	٦١٢م
ليوبا	٣	تبديقا عندمار	٢	بتريق	٧	سيسيبوت	٦١٢م	٦٢٠م
لويلد		شيشوط	٨	عندمار	٢	ركاد الثاني	٦٢٠م	٦٢١م
ركرد		زدريق	٣ أشهر	شيشوط	٨	سونثيلا	٦٢١م	٦٣١م
ليوبا		شتله	٣	رذريق	ثلاثة أشهر	سيسيناند	٦٣١م	٦٣٦م
بتريق		سنشادش	٥	شنتله	٣	خنزيلا	٦٣٦م	٦٤٠م
عندمار	٢	خنشوند	٧	ششنادش	٥	تولجا	٦٤٠م	٦٤١م
سيسموط	٩	جنشوند	٢٣	خَنشوند	٧	خندا رونت	٦٤١م	٦٥٢م
ركريد		مانيه	٨	جنشوند	٢٣	ركونث	٦٥٢م	٦٧٢م
شنتله		لوري	٨	بانيه	٨	واميا	٦٧٢م	٦٨٠م
شنند	٥	أيقه	١٦	لورى	٨	إرويج	٦٨٠م	٦٨٧م
خنتله	٦	عطسة	١٤	أيقه	١٦	إجيكا	٦٨٧م	٧٠١م
حندس	٤	زدريق	٢	غطسه	١٤	وترا	٧٠١م	٧١٠م
بنبان	٨			لذريق	٢	رودريك	٧١٠م	٧١١م
أروى	٧							
أبقه	١٥							
غيطشه	١٥							
رذريق								

عهد الولاة في بلاد الأندلس

(٩٥- ١٣٨هـ) (٧١٤- ٧٥٥م)

	اسم الوالي	من		إلى	
		الشهر	السنة	الشهر	السنة
١.	عبد العزيز بن موسى بن نُصير	ذي الحجة آب	٩٥هـ ٧١٤م	رجب شباط	٩٧هـ ٧١٦م
٢.	أيوب بن حبيب اللُّخمي	رجب آذار	٩٧ هـ ٧١٦م	ذي الحجة آب	٩٧هـ ٧١٦م
٣.	الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي	ذي الحجة آب	٩٧هـ ٧١٦م	رمضان آذار	١٠٠هـ ٧١٩م
٤.	السمَّح بن مالك الخولاني	رمضان آذار	١٠٠هـ ٧١٩م	ذي الحجة حزيران	١٠٢هـ ٧٢١م
٥.	عبد الرحمن بن عبد الله (المدّة الأولى)	ذي الحجة حزيران	١٠٢هـ ٧٢١م	صفر آب	١٠٣هـ ٧٢١م
٦.	عَنبسة بن سحيم الكلبي	صفر آب	١٠٣هـ ٧٢١م	شعبان كانون/٢	١٠٧هـ ٧٢٦م
٧.	عُذره بن عبد الله الفهري	شعبان كانون/٢	١٠٧هـ ٧٢٦م	شوال شباط	١٠٧هـ ٧٢٦م
٨.	يحيى بن سلامة الكلبي	شوال شباط	١٠٧هـ ٧٢٦م	ربيع/١ حزيران	١١٠هـ ٧٢٨م
٩.	حُذيفة بن الأحوص القيسي	ربيع/١ حزيران	١١٠هـ ٧٢٨م	شعبان كانون/١	١١٠هـ ٧٢٨م
١٠.	عثمان بن أبي نعسه الخثعمي	شعبان كانون/١	١١٠هـ ٧٢٨م	محرم نيسان	١١١هـ ٧٢٩م
١١.	الهيثم بن عُبيد الكلابي	محرم نيسان	١١١هـ ٧٢٩م	ذي القعدة كانون/٢	١١١هـ ٧٣٠م
١٢.	محمد بن عبد الله الأشجعي	ذي القعدة كانون/٢	١١١هـ ٧٣٠م	صفر آذار	١١٢هـ ٧٣٠م

	اسم الوالي	من		إلى	
		الشهر	السنة	الشهر	السنة
١٣.	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (المدّة الثانية)	صفر آذار	١١٢هـ ٧٣٠م	رمضان تشرين/١	١١٤هـ ٧٣٢م
١٤.	عبدالملك بن قطن الفهري (المدة الأولى)	رمضان تشرين/١	١١٤هـ ٧٣٢م	شوال تشرين/٢	١١٦هـ ٧٣٤م
١٥.	عقبة بن الحجاج السلولي	شوال تشرين/٢	١١١هـ ٧٣٤م	صفر كانون/٢	١٢٣هـ ٧٤١م
١٦.	عبدالملك بن قطن الفهري (المدّة الثانية)	صفر كانون/٢	١٢٣هـ ٧٤١م	ذي القعدة أيلول	١٢٣هـ ٧٤١م
١٧.	بلج بن بشر القشيري	ذي القعدة أيلول	١٢٣هـ ٧٤١م	شوال آب	١٢٤هـ ٧٤٢م
١٨.	ثعلبة بن سلامة العاملي	شوال آب	١٢٤هـ ٧٤٣م	محرم أيلول	١٢٥هـ ٧٤٣م
١٩.	أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي	محرم أيلول	١٢٥هـ ٧٤٣م	رجب نيسان	١٢٧هـ ٧٤٥م
٢٠.	ثوابه بن سلامة الجذامي	رجب نيسان	١٢٧هـ ٧٤٥م	محرم أيلول	١٢٩هـ ٧٤٦م
٢١.	عبد الرحمن بن كُثير اللّخمي (دون ولاية) وقد نصّبه أهل الأندلس للأحكام الخاصة	محرم أيلول	١٢٩هـ ٧٤٦م	ربيع/٢ كانون/٢	١٢٩هـ ٧٤٧م
٢٢.	يوسف بن عبد الرحمن الفهري شاركه في هذه الولاية الصُميل بن حاتم	ربيع/٢ كانون/٢	١٢٩هـ ٧٤٧م	ذي الحجة ١٤ أيار	١٣٨هـ ٧٥٦م

عهد الأُمراء من بني أُميّة في بلاد الأندلس

(١٣٨هـ- ٣٠٠هـ) (٧٥٥- ٩١٢م)

إسمُ الأميرِ ولقبُهُ	تاريخ تولية الإمارة	تاريخ وفاته
الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الدّاخل) (صقر قريش)	١٣٨هـ/ ٧٥٥م	١٧٢هـ/ ٧٨٨م
الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الرَّضي)	١٧٢هـ/ ٧٨٨م	١٨٠هـ/ ٧٩٦م
الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الحكم الرَّبَضي)	١٨٠هـ/ ٧٩٦م	٢٠٦هـ/ ٨٢٢م
الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (الثاني أو الأوسط)	٢٠٦هـ/ ٨٢٢م	٢٣٨هـ / ٨٥٢م
الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (الأول)	٢٣٨هـ/ ٨٥٢م	٢٧٣هـ/ ٨٨٦م
الأمير المَنْذِر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام	٢٧٣هـ/ ٨٨٦م	٢٧٥هـ/ ٨٨٨م
الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام	٢٧٥هـ/ ٨٨٨م	٣٠٠هـ/ ٩١٢م

عهد الخلفاء من بني أمية في بلاد الأندلس

(٣٠٠- ٤٢٨ هـ) (٩١٢- ١٠٣٦م)

اسم الخليفة ولقبه	تاريخ تولّية الخلافة	تاريخ وفاته
الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر لدين الله)	٣٠٠هـ/ ٩١٢م	٣٥٠هـ/٩٦١م
الخليفة الحكم بن عبد الرحمن بن محمد (المستنتصر بالله)	٣٥٠هـ/ ٩٦١م	٣٦٦هـ/٩٧٦م
الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن (المؤيد بالله)	٣٦٦هـ/ ٩٧٦	٤٠٣هـ/ ١٠١٣م
حُجّاب الخليفة هشام الذين حجروا عليه ولم يبقَ له من الخلافة إلاّ اسمها:	٣٦٦هـ/ ٩٧٦م	٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م
الحاجب محمد بن أبي عامر (المنصور)	٣٦٦هـ/ ٩٧٦م	٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م
الحاجب عبدالملك بن محمد بن أبي عامر (المظفر)	٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م	٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م
الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر (الناصر شنجول)	٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م	٣٩٩هـ/١٠٠٩م
الخليفة محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن (المهدي)	٣٩٩هـ / ١٠٠٩م	٤٠٠هـ/ ١٠١٠م
الخليفة سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن (المستعين)	٤٠٣هـ/ ١٠١٣م	٤٠٧هـ/ ١٠١٦م
الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن (المرتضى)	٤٠٧هـ/ ١٠١٨م	٤٠٨هـ/ ١٠١٨م
الخليفة عبد الرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن (المستظهر)	٤١٤هـ/ ١٠٢٣م	٤١٤هـ/ ١٠٢٤م
الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن (المستكفي)	٤١٤هـ/ ١٠٢٤م	٤١٦هـ/ ١٠٢٥م
الخليفةهشام بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن (المعتد)	٤٢٠هـ / ١٠٢٩م	٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م

حكّام طُلَيْطُلَة (Toledo) مدة ملوك الطوائف

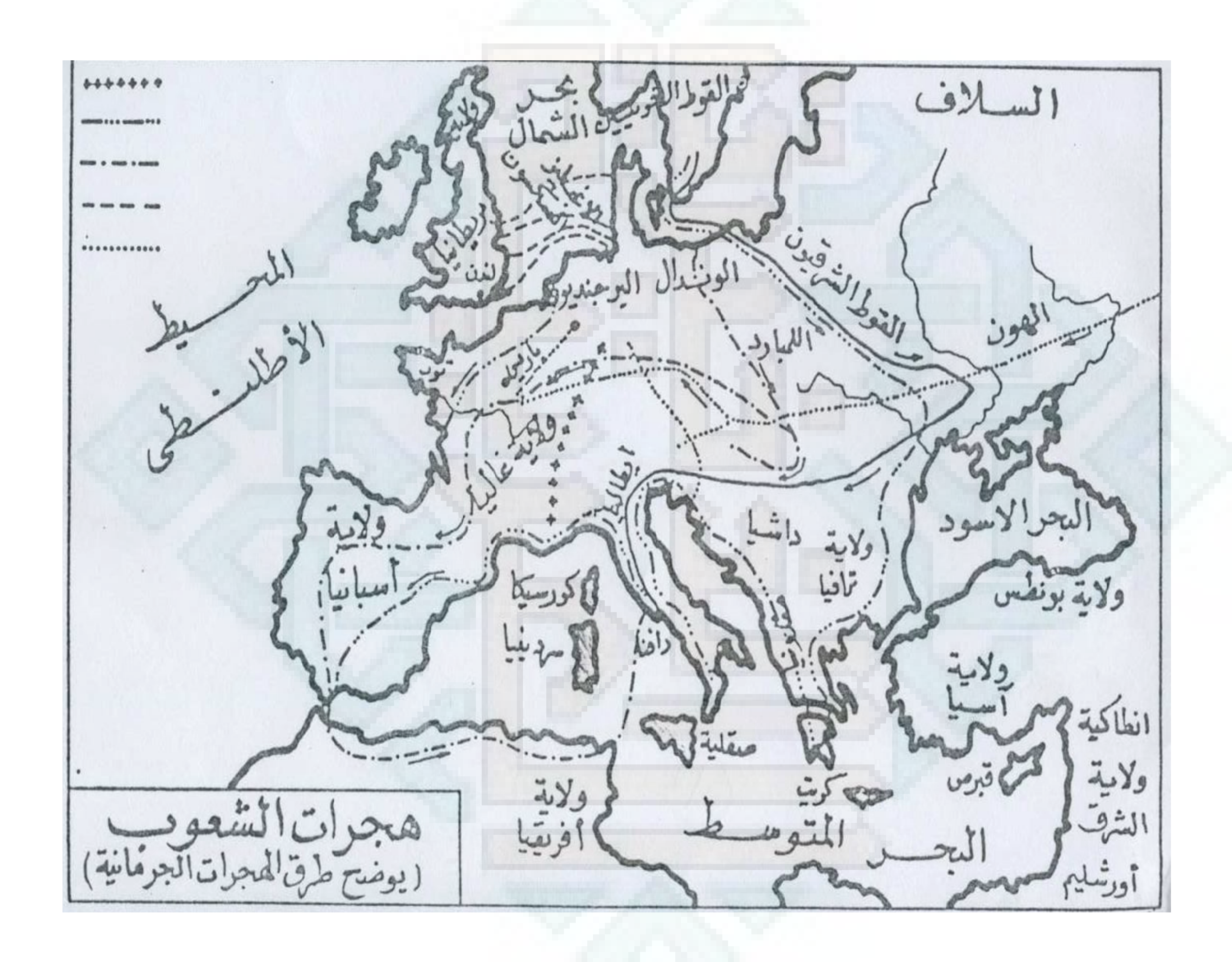
(٤٠٠- ٤٧٨هـ) (١٠٠٩- ١٠٨٥م)

- يعيش بن محمد بن يعيش (٤٠٠هـ/١٠٠٩- ٤٢٧هـ/١٠٣٥م)
- إسماعيل بن ذي النون (الظافر) ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م- ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م.
- يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م- ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م.
- يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر) ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. حيث سقطت طليطلة بيد ألفونسو السادس، ملك قشتالة.

الخرائط

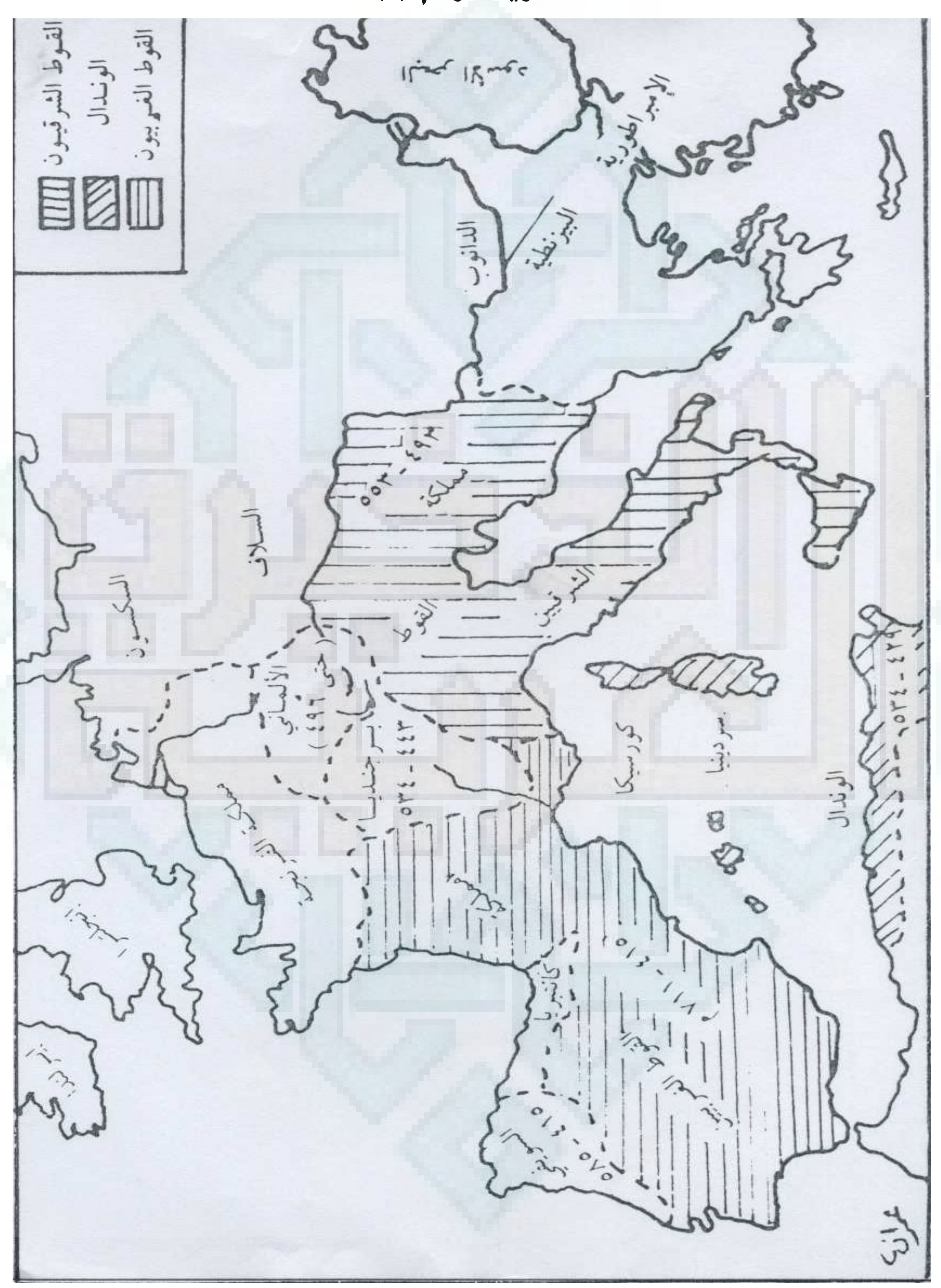
خريطة رقم (١)



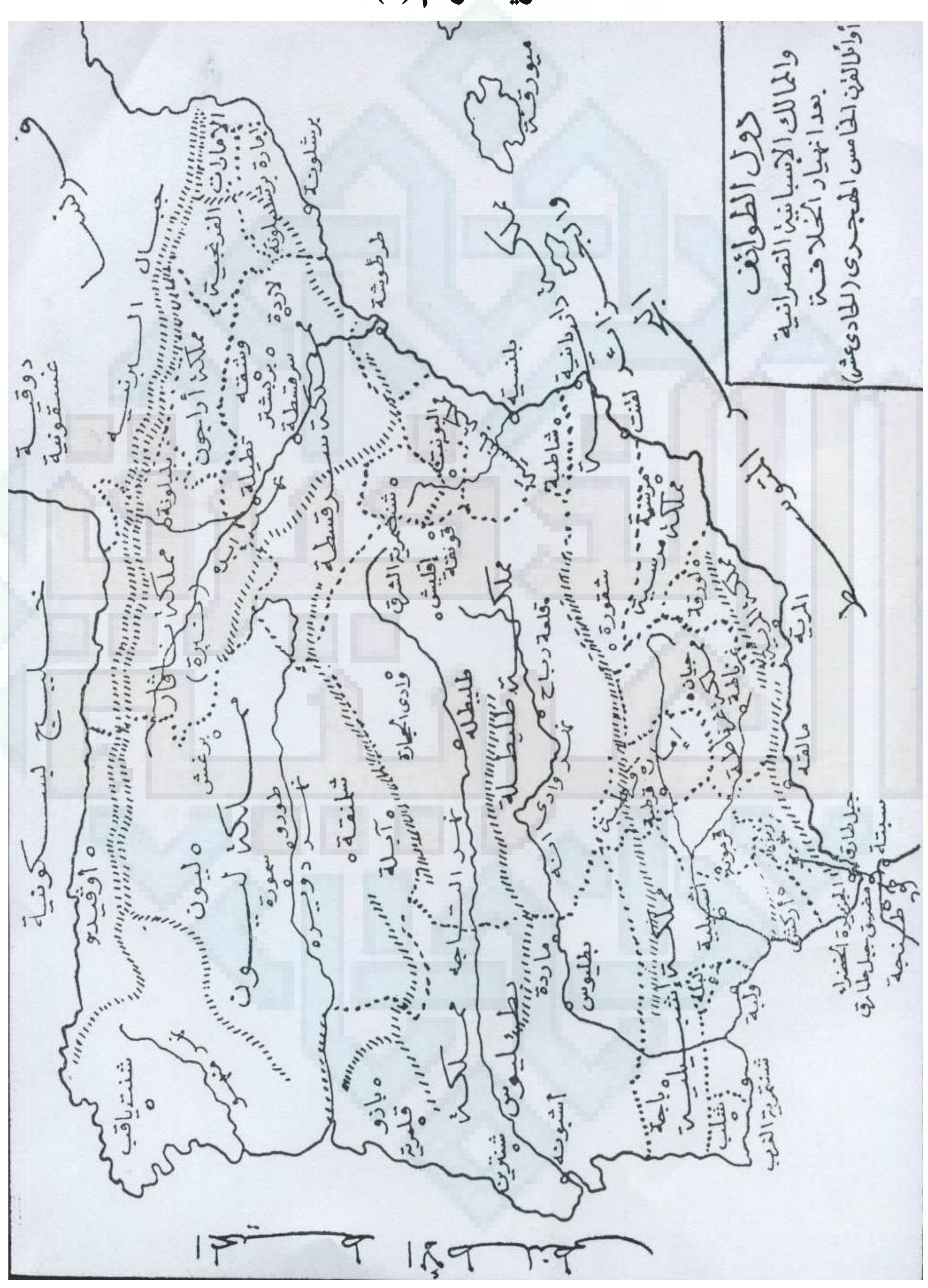


هجرات الشعوب
(يوضح طرق الهجرات الجرمانية)
السلاف
بحر الشمال
القوط الشرقيون
الوندال
البرجنديون
اللمبارد
الهون
المحيط الأطلنطى
لندن
ولاية أسبانيا
كورسيكا
سردينيا
رافنا
صقلية
ولاية داشيا
تراقيا
البحر الاسود
ولاية بونطس
ولاية آسيا
انطاكية
ولاية الشرق
أورشليم
قبرص
كريت
البحر المتوسط
ولاية أفريقيا

خريطة رقم (٢)

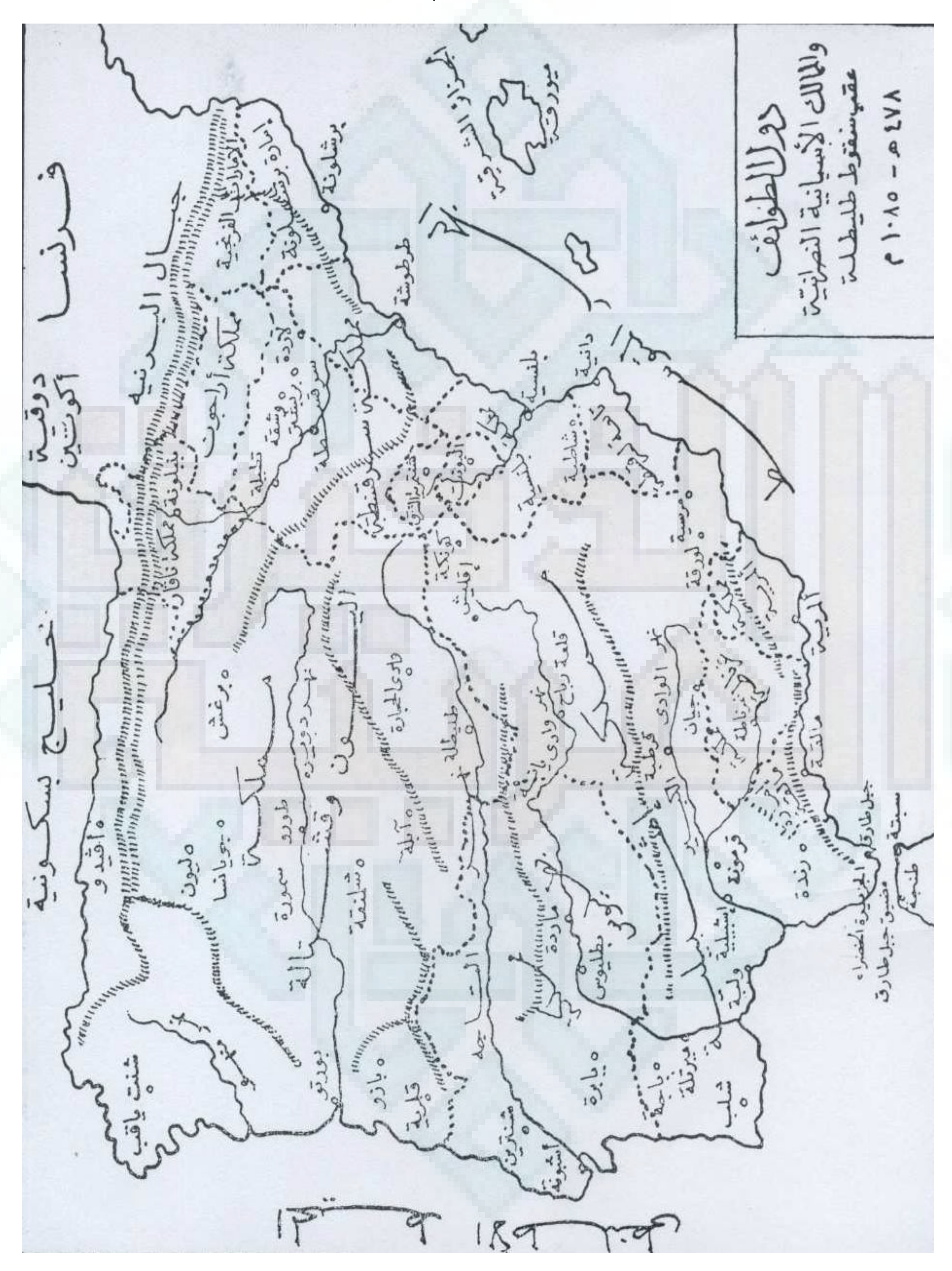

القوط الشرقيون
الوندال
القوط الغربيون
الدانوب
السلاف
كورسيكا
سردينيا
الوندال

خريطة رقم (٣)



دول الطوائف
والممالك الإسبانية النصرانية
بعد انهيار الخلافة
أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر)
خليج بسكونية
دوقية غسقونية
فرنسا
جبال البرنيه
أوفيدو
شنت ياقب
ليون
مملكة ليون
مملكة نبارة
(نبرة)
بنبلونة
برغش
مملكة أراجون
الإمارات الفرنجية
إمارة برشلونة
برشلونة
وشقة
تطيلة
بربشتر
لاردة
سرقسطة
مملكة سرقسطة
طرطوشة
سمورة
طورو
نهر دويره
شلمنقة
آبلة
وادي الحجارة
شنتمرية الشرق
إقليش
قونقة
البونت
بلنسية
مملكة بلنسية
ميورقة
طليطلة
مملكة طليطلة
نهر التاجه
مملكة بطليوس
شنترين
أشبونه
ماردة
بطليوس
باجة
قلمرية
بازو
قلعة رباح
نهر وادي انه
شاطبة
دانية
شقورة
مرسية
مملكة مرسية
لقنت
قرطبة
جيان
مملكة غرناطة
غرناطة
أوريولة
مملكة المرية
المرية
مملكة إشبيلية
إشبيلية
لبلة
شلب
ولبة
شنتمرية الغرب
قرمونة
أركش
مالقة
الجزيرة الخضراء
جبل طارق
مضيق جبل طارق
سبتة
طنجة
البحر المتوسط
جزائر
المحيط الأطلسي

خريطة رقم (٤)

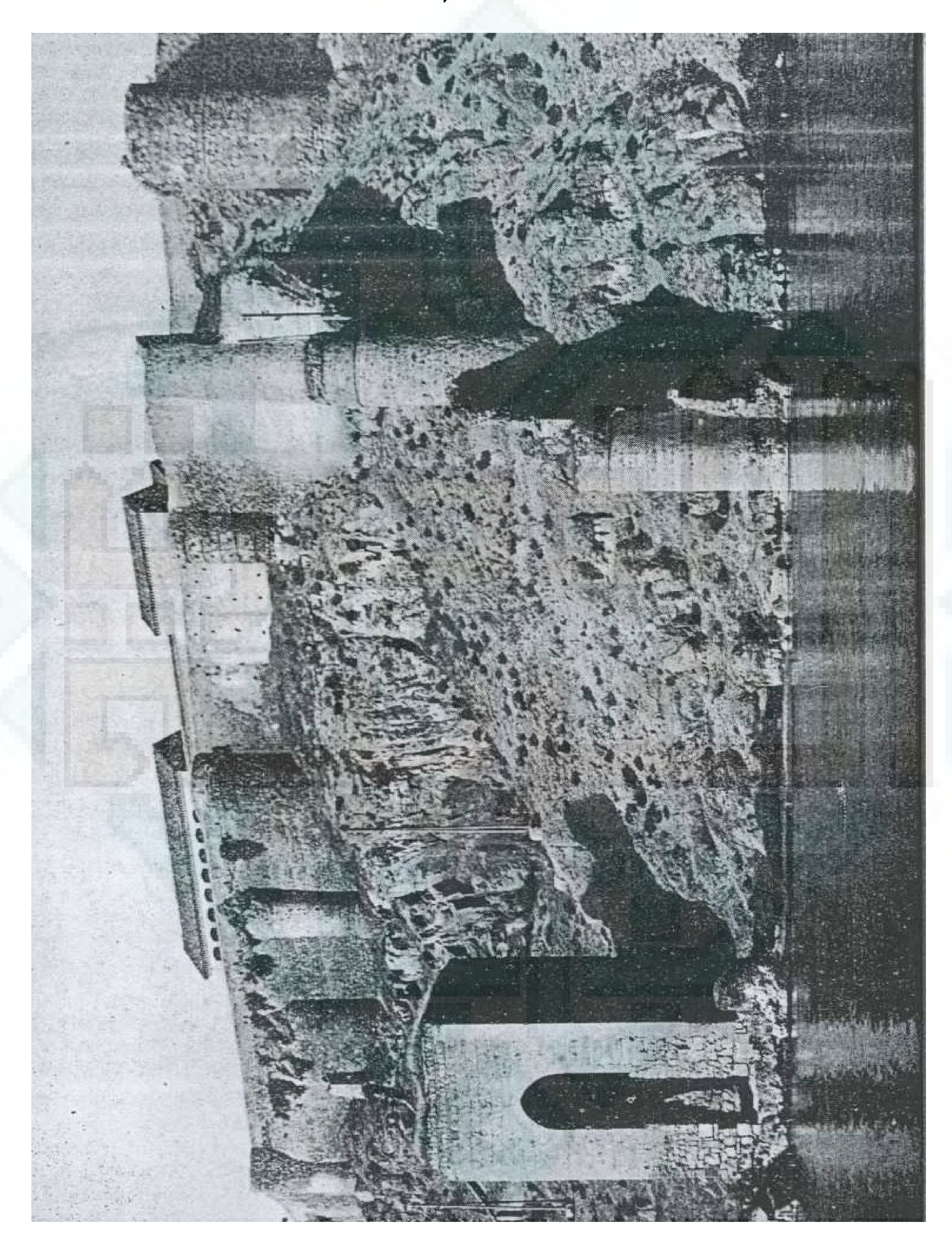

دول الطوائف
والممالك الأسبانية النصرانية
عقب سقوط طليطلة
٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م
فرنسا
خليج بسكونية

الصور

صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



صورة رقم (٤)



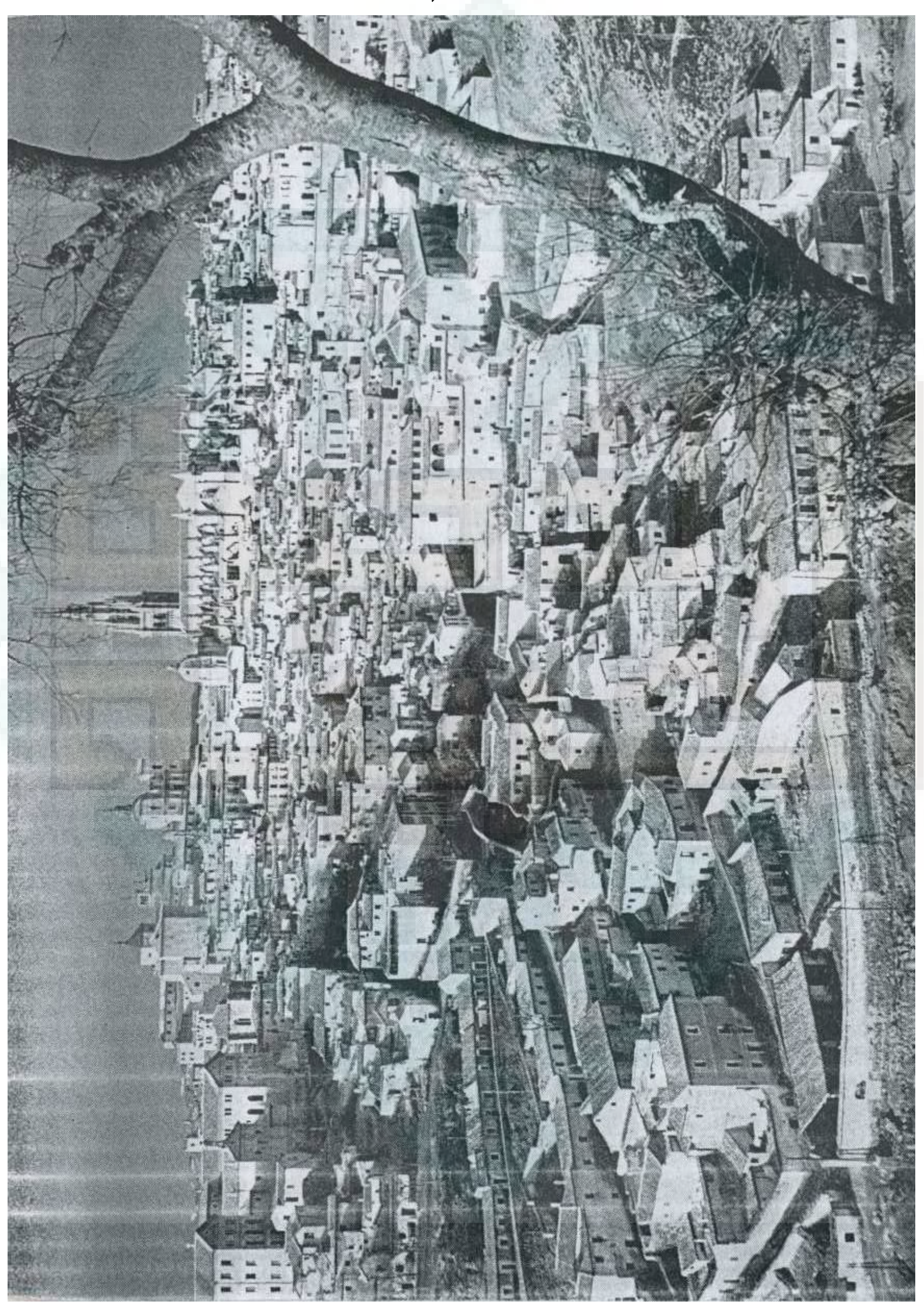
صورة رقم (٥)



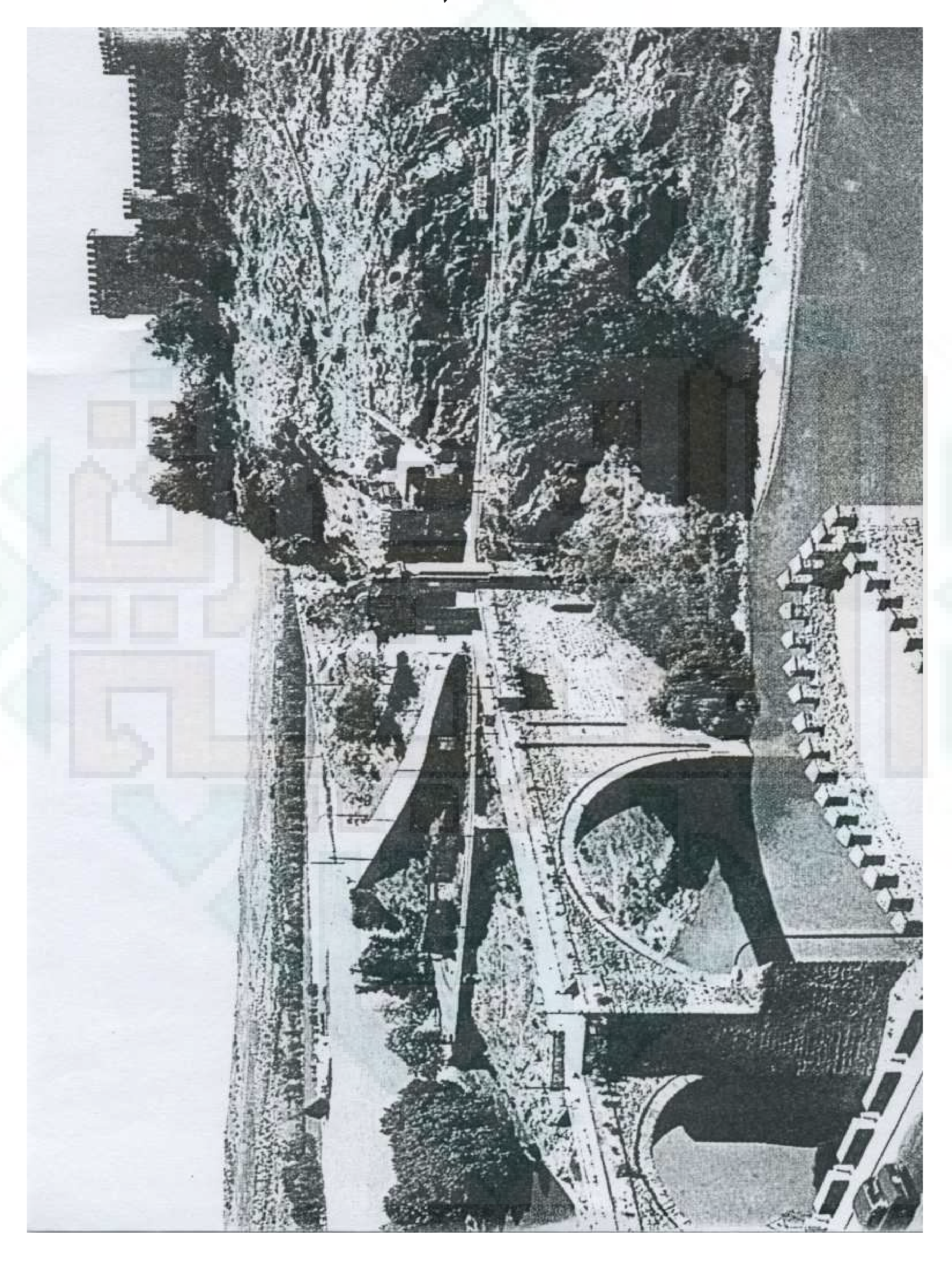
صورة رقم (٦)



صورة رقم (٧)



صورة رقم (٨)



قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية

- القرآن الكريم

١. **(ابن الآبار) محمد بن عبد الله القضاعي المتوفي سنة ٦٥٨هـ:**

- إعتاب الكتاب، حققه حسين الأشتر، دمشق- سورية، ١٩٦١م.
- التكملة لكتاب الصلة، القاهرة- مصر، ١٩٥٢.
- الحلة السيراء، حققه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة- مصر، طبعة/ ١، ١٩٦٣م.

٢. **(ابن الأثير) عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المتوفيّ سنة ٦٣٠هـ.**

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٦٥م.
- الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبةٌ من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط/٤، ١٩٧٣م.

٣. **(ابن إدريس) صفوان بن إدريس التجيبيّ المرسي المتوفي سنة ٥٩٨هـ.**

- زاد المسافر وعزّة محيّا الأدب السافر، أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٩٧٠م.

٤. **(ابن بسّام): أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢هـ.**

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠٠٠م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٨م.

٥. (ابن بَشْكُوال) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨هـ.

- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ذيل كتاب ابن الفرضي، قدَّم له وضبطه ووضع فهارسه وحواشيه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م.

٦. (ابن تغري بردي الأتابكي) أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي المتوفي سنة ٨٧٤هـ.

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٢م.

٧. (ابن حوقل) أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي المتوفى نحو سنة ٣٦٧هـ.

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م.

٨. (ابن حيّان) أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان المتوفى سنة ٤٦٩هـ:

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٧٣م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه د. عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٥م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر ملشوار م. انطوانية، باريس، ١٩٣٧م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر شالميتا بالتعاون مع كونيطي و م. صبح وغيرها لضبطه وتحقيقه، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

٩. **(ابن خاقان) الفتح بن محمد بن عُبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٢٩هـ.**

- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه د. حسين خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط١، ١٩٨٩م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في مَلِحْ أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي الشوابكة، دار عمَّار، عمان- الأردن، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٠. **(ابن الخطيب) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ.**

- الإحاطة في أخبار غَرناطة، شرحه وضبطه وقدّم له د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، حققه سيّد حسن كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٩٧٨م.

١١. **(أبن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفى سنة ٨٠٨هـ.**

- العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/٢، ٢٠٠٣م.
- العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكاز، دارالفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

١٢. **(ابن خلّكان) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة ٦٨١هـ:**

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م.

١٣. (ابن دحية) مجد الدين عمر بن الحسن بن علي أبو خطاب المتوفى سنة ٦٣٣هـ.

- المطرّب من أشعار أهل المغرب، حققه د. إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، بيروت- لبنان.

١٤. (ابن أبي زرع) علي بن أبي زرع الفاسي المتوفى سنة ٧٤١هـ:

- الأنيس المطرب، دار المنصور للطباعة، الرباط- المغرب، ١٩٧٢م.

١٥. (ابن سعيد) علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة ٦٨٥هـ:

- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، حققه إبراهيم الأبياري وقرئ على الدكتور طه حسين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية، القاهرة- مصر، ١٩٥٩م.
- رايات المبرّزين وغايات المميّزين، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ط/١، ١٩٨٧م.
- المرقصات والمطربات، دار حمدو محيو، القاهرة- مصر، ١٩٧٣م.
- المُغْرب في حُلى المَغْرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٧م.

١٦. (ابن ظافر الأزدي) جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦١٣هـ:

- بدائع البدائة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٧٠م.

١٧. (ابن عبد الحكم) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى سنة ٢٥٧هـ.

- فتوح مصر وأخبارها، بريل- ليدن، ١٩٢٠م.

١٨. (ابن عبد ربه) أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ.

- العقد الفريد، شرحه وضبطه وصحَّحه وعنوان موضوعاته، أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م.

١٩. (ابن عبد الملك المراكشي) محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي الأنصاري المتوفى سنة ٧٠٣هـ.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٧٣م (الأسفار من ١-٦).
- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، حققه محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (السفر الأول).

٢٠. (ابن عذاري المراكشي) محمد المراكشي المتوفى سنة ٦٩٥هـ.

- البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب، حققه ج.س. كولان و. إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (١-٤).
- البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب، نشر بعناية معهد مولاي الحسن، تطوان- المغرب، ١٩٦٠- ١٩٦٤م (القسم/ ٣).

٢١. (ابن العماد الحنبلي) شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٨٩م.

- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذَهَب، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٨م.

٢٢. **(ابن غالب) محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي المتوفى سنة ٥٦٥هـ:**

- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تعليق منتقى، قطعة حقّقها لطفي عبد البديع تحت عنوان: نصّ أندلسي جديد، مطبعة شركة مساهمة، مصر، ١٩٥٦م.

٢٣. **(ابن الفرضي) عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المتوفى سنة ٤٠٣هـ.**

- تاريخ علماء الأندلس، حققه د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٧م.

٢٤. **(ابن فضل الله العمري) شهاب الدين أحمد العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ:**

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدّة، ط/١، ٢٠٠٣م.

٢٥. **(ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ:**

- الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٦. **(ابن القوطية) أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، المتوفى سنة ٣٦٧هـ:**

- تاريخ افتتاح الأندلس، حققه أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت- لبنان، ١٩٥٧م.
- تاريخ افتتاح الأندلس، حققه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.

٢٧. **(ابن الكردبوس) أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس المتوفى سنة ٥٧٣هـ:**

- تاريخ الأندلس، حققه، محمد مختار العبّادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

٢٨. **(ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري أبو الفضل المتوفى سنة ٧١١هـ:**

- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٩٩٩م.

٢٩. **(ابن هلال العكسري) الحسن بن عبد الله بن سهل بن هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ. م.**

- جمهرة الأمثال، حققه إبراهيم أبو الفضل وعبد المجيد قطامس، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/٤، ١٩٨٨م.

٣٠. **(أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن نور الدين بن علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمران ابن شاهنشهاة المتوفى سنة ٧٣٣هـ:**

- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه، رينودو والبارون مالك كوكين، الدار السلطانية، باريس- فرنسا، ١٨٤٠م.
- المختصر في أخبار البشر، علّق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

٣١. **(الإدريسي) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ:**

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣٢. **(البكري) أبو عُبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ:**

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، حققه د. عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م.

- المسالك والممالك، حققه أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، تونس، ط/١، ١٩٩٢م.

٣٣. (الحُميدي) محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨هـ:

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٧م.

٣٤. (الحِمْيَري أبو الوليد) إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب المتوفى سنة ٤٤٠هـ.

- البديع في وصف الربيع، حققه وكتب الدراسة وعلّق عليه د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدّة، السعودية، ط/١، ١٩٨٧م.

٣٥. (الحِمْيَري أبو عبد الله) محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري المتوفى سنة ٨٦٦هـ:

- الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، دار القلم للطباعة، ١٩٧٥م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٩٨٨م.

٣٦. (الخُشَني) أبو عبد الله محمد بن الحارث الخُشني القيرواني القرطبي المتوفى نحو سنة ٣٦١هـ:

- قضاة قرطبة، الدار المصرية للترجمة والتأليف، مصر، ١٩٦٦م.
- قضاة قرطبة، حققه ياسر أبو طعمه، دار الصميعي، الرياض- السعودية، ٢٠٠٨م.

٣٧. (الذهبي) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ:

- تذكرة الحفاظ، عن النسخة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار إحياء التراث.
- سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٣، ١٩٨٥م.
- العِبر في تاريخ مَنْ عَبَر، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٨٥م.

٣٨. **(الزهري) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المتوفى سنة ٥٥٦هـ:**

- الجغرافية، حققه محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٨م.

٣٩. **(السلفي) أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة المتوفى سنة ٥٥٦هـ:**

- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أعدّها وحققها، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٥م.

٤٠. **(السيوطي) جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ:**

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة- مصر، ١٩٦٤م.

٤١. **(الضبيّ) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩هـ.**

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، حققه د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩٧م.

٤٢. (العُذْري) أحمد بن عمر بن أنس العذري المتوفى سنة ٤٧٨هـ:

- نصوص عن الأندلس عن كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، وبستان غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، حققه عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد- إسبانيا، ١٩٦٥م.

٤٣. (العماد الأصفهاني) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي الأنصاري المتوفى سنة ٥٩٧هـ:

- خريدة القصر وجريدة العصر، حققه محمد المرزوقي، محمد العروسي، الجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٦م، القسم الأول، والقسم/٢ من تحقيق عمر الدسوقي وعلي بن عبدالعظيم، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، القسم/٢، ٣، حققه أدرناش آذرنوش، نقّحه وزاد عليه محمد المرزوقي، ومحمد العروسي والجيلاني بن الحاج، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.

٤٤. (القاضي عياض) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

- ترتيب المدارك، حققه أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

٤٥. (القزويني) زكريا بن محمد بن محمود المتوفى سنة ٦٨٢هـ.

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت- لبنان.

٤٦. (القلقشندي) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ:

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصوّرة عن الطبعة الأميرية ومذيّلة، وزارة الثقافة المصرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٤٧. **(مجهول):**

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس، نشره دون لافونتي، القنطـرة الأكاديميـة التاريخيـة الملكية، مدريد- إسبانيا، ١٨٦٧م (ج٤).

٤٨. **(المراكشي) عبد الواحد محيي الدين بن علي التميمي أبو محمـد المتـوفى سـنة ٦٤٧هـ:**

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة- مصر، ١٩٦٣م.

٤٩. **(المقري) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١هـ:**

- أزهار الرياض في أخبار عياض، حققه مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفـيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الإمارات العربية المتحدة.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيـروت- لبنان، ط٢ جديدة، ١٩٩٧م، ط/١، ١٩٦٨م.

٥٠. **(الميداني) أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ:**

- مجمع الأمثال، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفـة، بيـروت- لبنـان، ١٩٥٥م.

٥١. **(الناصري) أحمد بن خالد الناصري:**

- الاستقصا، حققه جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٧م.

٥٢. **(النّباهي) أبو الحسن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المتوفى سن ٧٩٢هـ:**

- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.

٥٣. **(النويري) شهاب الدين بن أحمد النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ:**

- نهاية الأرب في فنون الأدب، حققه عبد المجيد ترجيلي، دار الكتب العلميـة، بيـروت- لبنان،٢٠٠٤م، (الأجزاء ٢٣- ٢٥).

٥٤. **(اليافعي) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨هـ:**

- مرآة الجنان وعبرة اليقضان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٥٥. **(ياقوت الحموي) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي المتوفى سنة ٦٢٦هـ:**

- معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٩١م.
- معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

ب. المراجع العربية:

١. **(بالنثيا) آنخل بالنثيا:** تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية عن الإسبانية، د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط/١، ١٩٩٥م.

٢. **(بروكلمان) كارل بروكلمان:** تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، بيروت- لبنان، ط/٤، ١٩٩٧م.

٣. **(بروفنسال) إليفي بروفنسال:** الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، ١٩٩٠م.

٤. **(حتاملة) محمد عبده حتاملة:** موسوعة الديار الأندلسية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان- الأردني،ط/١، ١٩٩٩م.

٥. **(الحجّي)، عبد الرحمن علي الحجي:** التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق- سورية، بيروت- لبنان، الكويت، الرياض، ١٩٧٦م.

* العلاقات الدبلماسية الأندلسية مع أوروبا خلال المدة الأموية، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م.

٦. **(حسين) حمدي عبد المنعم حسين:** أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، ١٩٨٨م.

٧. **(حسين) كريم عجيل حسين:** الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢- ٩٤هـ) (٧١١- ١١٠٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/١، ١٩٧٦م.

٨. **(ديفر):** أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، الاسكندرية، مصر، ١٩٥٨م.

٩. **(الزركلي) خير الدين الزركلي:** الإعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط/٥، ١٩٨٠م، ط/٦، ١٩٨٤م.

١٠. **(سالم) السيد عبد العزيز سالم:** تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النهضة، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

* في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، ١٩٨٥م.

١١. **(الشنتاوي) خورشيد، يونس أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس:** دائرة المعارف الإسلامية: راجعها محمد مهدي علاّم، دار الفكر، بيروت- لبنان.

١٢. **(الشيخ) محمد محمد موسى الشيخ:** تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة، الاسكندرية- مصر، ١٩٩٤م.

* الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، الاسكندرية- مصر، ط/١، ١٩٧٥م.

١٣. **الطاهر مكي:** ملحمة السيد (ملحمة أندلسية باللغة القشتالية)، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط/١، ١٩٧٠م.

١٤. **طرخان، ابراهيم علي طرخان:** دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة، القاهرة- مصر ، ١٩٥٨.

١٥. **(أبو طعمة) ياسر أبو طعمة:** محمد بن أبي عامر في الشعر الأندلسي، دار الكتاب الثقافي، اربد- الأردن، ٢٠٠٥م.

١٦. **(عاشور) سعيد عبد الفتاح عاشور:** أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ط/٧، ١٩٩٤م، (ج١-٢).

* تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان.

١٧. **(العبادي) أحمد مختار العبادي:** تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية- مصر، ٢٠٠٤م.

١٨. **(العدوي) إبراهيم أحمد العدوي:** المسلمون والجرمان، مطبعة رياض الصالحين، ١٩٩٤م.

١٩. **(عفيف) عبد الرحمن عفيف:** معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة، المجمع الثقــافي، أبو ظبي: الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣م.

٢٠. **(عمران) محمود سعيد عمران:** معالم تاريخ أوروبا فــي العــصور الوســطى، دار النهضة، بيروت- لبنان، ط/٢.

٢١. **(عنان) محمد عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، **(**العصر الأول، القسم الأول والثاني**)**، مطبعة الخانجي، القاهرة- مصر، ط/٤، ١٩٦٩م.

* دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي **(**العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس**)** مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٩٦٩م.

٢٢. **(فرح) عيد فرح:** تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منــشورات جامعــة دمشق، ١٩٩٥م.

٢٣. **(كانتور)، نورمان ف. كانتور:** العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق قاسم عبــده قاسم، مصر، ١٩٦٩م.

٢٤. **(كحالة) عمر رضا كحالة:**معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحيــاء التراث، بيروت- لبنان.

* معجم أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/٥، ١٩٨٤م.

٢٥. **(لانجر) وليام لانجر:** موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، دار النهضة المصرية، مصر، ج/٢.

٢٦. **(محمود) حسن أحمد محمود:** قيام دولة المرابطين، دار الفكــر العربــي، القــاهرة- مصر، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٧. **(أبو مصطفى) كمال السيد أبو مصطفى:** تاريخ مدينـــة بلنـــسية الإســـلامية، مركـــز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية- مصر.

٢٨. **(مؤنس) حسين مؤنس:** فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس منذ الفتح الإســـلامي إلى قيام الدولة الأموية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٥٩م.

* ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي ١٠٢- ١٣٦هـــ/ ٧٢١-٧٥٣م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ١٠، المجلد ١، مايو ١٩٤٨م.

* معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة- مصر، ط/١، ١٩٨٠م.

٢٩. **(موس) هـــ. سانت ل.ب. موس:** ميلاد العصور الوسطى، (٣٩٥- ٨١١)، ترجمـــة عبد العزيز توفيق/ السيد الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

ج. المراجع الأجنبية

1. **Aguddo, Bleye**: Manule La Historia de Espana T.1, Madrid, 1947.

بلي أجويدو: دليل حول تاريخ إسبانيا.

2. **Bory (J.B): History** of the Later Roman Empire, (2 vols), London, 1923.

(جي. بي) بوري: تاريخ الامبراطورية الرومانية المتأخرة.

3. **Bradley (H):** the Goths, from the Earlist times of the gothic domin in Spain, London, 1887.

برادلي: عصر القوط، من المراحل المبكرة لفترة القوط في إسبانيا.

4. **Caramona, D, Fransesco diaz,** compendio de, historia de Espaňa, Barcelona, 1911 .
5. **Deanesly (M):** A History of Early Medlieval Europe, London, 1956.

دينيسلي: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى المبكرة.

6. **Dozy (R.): Histoire** des Musulmanes d'Espagne, Leiden, 1932.

دوزي: تاريخ المسلمين في إسبانيا.

7. **Garicia Gomez (Emilio):** Notas sobre La Topografia Cordobesa en Las Anales de Al- Hakam 11, par ISA- Razi, Al- Andalus, vol, III, 1965 fasc, 2.

جارسيا قومز (إيميليو): ملاحظات حول طوغرافية القوط في سنوات الحكم الثاني.

8. **Hussey (J.M):** the Byzantine world, London, 1967.

هوسي: العالم البيزنطي.

9. **Leviprovenal:** Histoire de L'Espagne Musolmone, 3 vols, Leiden, 1950-1954.

ليڤي بروڤنسال: تاريخ إسبانيا المسلمة.

10. **Moss (H. Sant. L.B. Moss):** the Birth of the middle ages, Oxford, 1947.

موس (هــ- سانت ل.ب. موس): ميلاد العصور الوسطى.

11. **Oman sir Charles**: the Dark ages, 476- 918, London, 1962.

أومان سير تشارلس: العصور المظلمة.

12. **Osthoge rsky (C.):** History of the Byzantine state, Oxford, 1956.

اوسثوج رسكي: تاريخ الدولة البيزنطية.

13. **Palencia (GonZales):** Los Mozarabes de Toledo en los siglos XII YXIII. Madrid, 1926.

بالنثيا (جونزاليس):

14. **Rafale Altamiraa**: Histoire of Spain from the present Date thans. By Munalee, London, 1952.

رافاييل التامير: تاريخ إسبانيا منذ التاريخ الحالي.

15. **Saavedra (Edourdo):** Estudio Sobre la Invasion de los arabes en Espana, Madrid, 1992.

سافيدرا (ادواردو): دراسة حول غزو العرب لإسبانيا.

16. **Sanches- Albornoz:** La Jornada del Guadaceletc, dans B.R.A. H, T, C, 1932.

سانشيز البورنز:

17. **Vasilieve A,:** The Byzantine Empire Madison. 1952.

فازيسليف: الامبراطورية البيزنطية.

18. **Wallace- Hadrill (J.M):** the Barbarian west, London, 1952.

واليس هادريل: الغرب البربري.

الفهارس

١. فِهرس الأعلام المترجم لهم.

٢. فِهرس الأماكن المترجم لها.

٣. فِهرس الأشعار والقوافي.

٤. فِهرس الأمثال العربية

٥. الفِهرس العام.

فهرس الأعلام المترجم لهم

ت	اسم العلم	رقم الصفحة
٤٨.	محمد بن عبد الملك بن أيمن	
٤٩.	محمد بن قاسم أشكهباط	
٥٠.	محمد بن لب بن موسى بن فرتون	
٥١.	مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب	
٥٢.	المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي	
٥٣.	موسى بن محمد بن سعيد بن حدير	
٥٤.	هشام بن الحكم بن عبد الرحمن (المؤيد بالله)	
٥٥.	هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضي الأموي)	
٥٦.	هشام بن عبد العزيز	
٥٧.	يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (المأمون)	
٥٨.	يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر)	
٥٩.	يحيى بن سعيد بن يحيى الحديدي أبو بكر	
٦٠.	يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي	
٦١.	يعيش بن محمد يعيش	

فِهرس الأماكن والمدن المترجم لها

فِهرس الأشعار والقوافي

ت	الروي	القافية	البحر	الشاعر
١.	الغضب	ب	الطويل	أحمد المكادي أبو العباس
٢.	هاربُ	بُ	الطويل	عبد الله بن عبد العزيز الأموي (الحجر)
٣.	مردّاتُ	تُ	البسيط	مجهول
٤.	براحُ	حُ	الطويل	ابن عطيون
٥.	نصحى	ح	السريع	أم العلاء بنت يوسف الحجابة
٦.	محمدُ	دُ	الطويل	ابن غروان
٧.	المورد	د	الطويل	أبو محمد المصري
٨.	لغد	د	الوافر	يحيى بن محمد بن بقي الطليطلي
٩.	بعيد	د	الوافر	مجهول
١٠.	تصيّدا	دَ	الطويل	المتنبي
١١.	اعورارُ	رُ	الطويل	أبو المخشي
١٢.	موتورُ	رُ	البسيط	مؤمن بن سعيد
١٣.	ثغورُ	رُ	الوافر	مجهول
١٤.	يقدر	ر	الكامل	أبو المخشي
١٥.	النصر	ر	السريع	عباس بن فرناس
١٦.	الصقر	ر	السريع	أبو محمد المصري
١٧.	أسترُ	رُ	الطويل	عيسى بن دينار
١٨.	الصّغارا	رَ	الكامل	عبد الملك بن غصن الحجاري
١٩.	نهر	ر	البسيط	ابن أرفع رأسه
٢٠.	ميّاس	س	البسيط	محمد بن عبد الله بن أبي عييسى
٢١.	عويصا	صَ	الرمل	ابن طاهر
٢٢.	نهوضُ	ضُ	الوافر	غالب بن رباح الحجَّام
٢٣.	فَمضى	ضَ	الرمل	أبو المخشي
٢٤.	القرميط	ط	الرمل	صفوان بن عباس
٢٥.	الغلط	ط	البسيط	ابن العسّال

ت	الروي	القافية	البحر	الشاعر
.٢٦	نتنصّفُ	فُ	الطويل	حرقة بنت النعمان
.٢٧	ملتفِّ	ف	الطويل	عباس بن فرناس
.٢٨	غريقُ	قُ	المتقارب	عبد الملك بن غصن الحجاري
.٢٩	قليلُ	لُ	الطويل	مجهول
.٣٠	دليلُ	لُ	الوافر	عبد الله بن إبراهيم الحجاري
.٣١	المفتّل	ل	الطويل	امرؤ القيس
.٣٢	النجومُ	مُ	البسيط	راشد بن عريف
.٣٣	ينسجمُ	مُ	الطويل	ابن العسال
.٣٤	للنّقم	م	البسيط	حبيب بن عبد الملك
.٣٥	الحمام	م	الوافر	المتنبي
.٣٦	الزمنُ	نُ	الرمل	أم العلاء الحجارية
.٣٧	معنونه	هـ	الطويل	عبد الملك بن حصن
.٣٨	تيها	هـ	الخفيف	حفصة بنت حمدون
.٣٩	ورائيا	ي	الطويل	عمر بن الافطس
.٤٠	أذني	ي	الطويل	محمد بن قاسم بن أشكهباط
.٤١	راضيا	ي	الطويل	عبد الرحمن بن مسعدة
.٤٢	الشجي	ي	الوافر	الحسن بن حسان النساط

فِهرس الأمثال العربية

الفِهرس العام